دراسات الأديان

مجلَّة نصف سنوية محكَّمة تصدر عن قسم دراسات الأديان في بيت الحكمة ـ بغداد
العدد (٣٢) لسنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

رئيس التحرير
د.احسان الامين

سكرتير التحرير
أ.م.د.مياس ضياء باقر

الهيئة الإستشارية

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد
أ.د. محمد جواد محمد الطريحي
أ.د. انـور الجـاف
أ.د.سلامة حسين كاظم الموسوي
أ. د. سليم جرجيس دكاش اليسوعي
أ.د.ضياء محمد محمود
أ.د.صديق خليل
أ.د.هدى عباس قنبر

المراجعة اللغوية والطباعية
ا.م.د.أركان رحيم جبر

أهداف وضوابط النشر

اهداف بيت الحكمة

بيت الحكمة مؤسسة فكرية علمية ذات شخصية معنوية واستقلال مالي واداري مقره في بغداد ومن اهدافه:-

* العناية بدراسة تأريخ العراق والحضارة العربية والاسلامية .
* ارساء منهج الحوار بين الثقافات والاديان بما يسهم في تأصيل ثقافة السلام وقيم التسامح والتعايش بين الافراد والجماعات .
* متابعة التطورات العالمية والدراسات الاقتصادية وآثارها المستقبلية على العراق والوطن العربي
* الاهتمام بالبحوث والدراسات التي تعزز من تمتع المواطن بحقوق الانسان وحرياته الاساسية وترسيخ قيم الديمقراطية والمجتمع المدني .
* تقديم الرؤى والدراسات التي تخدم عمليات رسم السياسات .

ضوابط النشر

- تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها ويتم اعلام الباحث بقرار المجلة خلال ثلاثة اشهر من تاريخ تسلم البحث .
- ترسل نسخة واحدة من البحث باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانكليزية لا تزيد كلماته عن ٢٠٠ كلمة شريطة ان تتوفر فيه المواصفات الاتية :

أ- ان يكون البحث مطبوعاً على قرص مرن (CD) بمسافات مزدوجة بين الاسطر وبخط واضح .

ب- ان لا تتجاوز عدد صفحات البحث (٢٠) صفحة بقياس(A4) عدا البيانات والخرائط والمرتسمات.

ج- ان تُجمع كل المصادر والهوامش مرقمة بالتسلسل في نهاية البحث وبمسافات مزدوجة بين الاسطر .

- يحصل صاحب البحث المنشور في المجلة على نسخة مجانية من العدد الذي ينشر فيه البحث .
- تعتذر المجلة عن اعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .
- يحتفظ القسم بحقه في نشر البحث طباعياً والكترونياً على وفق خطة تحرير المجلة .

المحتويات

كلمة العدد

رئيس التحرير ٧

البحوث والدراسات

التداول القيمي لمفردة (السلام) بين الإنجيل والقرآن (تأملات مقارنة)

أ.د.علي حداد ١١

مشكلة إثبات وجود الله في الفلسفة المسيحية إبّان العصر الوسيط

د.إحسان علي الحيدري ٢٥

المعتقدات الدينية والأسس الفكرية للحركة الحسيدية

د.عبير سهام مهدي ٤٥

مفهوم الاصولية اليهودية

د. فوزي عباس فاضل ٦٣

الصلاة والتراتيل والادعية في بلاد الرافدين

د.خمائل شاكر أبو خضير ٨٥

المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة ومواجهة الارهاب الفكري

د.عماد الكاظمي ١٠٥

كلمة العدد

مرّ تاريخ البشــرية بأدوار مختلفة ، بدائية ومدنية، متطورة وحداثوية ، إلا ان تاريخ البشرية لم يخلُ يوماً من وجود التدين وممارســة الإنســان لطقوس العبادة ، ولو اتخذ هذا التدين وتلك الطقوس أشكالاً مختلفة ، مما يدل على أن التدين حاجة فطرية جبل الإنسان عليها .

فــي عصرنا الحديث ومع تطور العلم واتســاع رقعة المعرفــة ، والحداثة الهائلة التي دخلتنا من كل بــاب، وما أفرزته ثورة الاتصالات وانفجار المعلومات من تغيير في حياة الانســان وفكره .... ظهــرت نظريــات كثيرة تتحدث عن (موت الإلــه) وأفول عالم الأديان واكتفاء الانســان المعاصر بالعلم والمعرفة، وعدم الحاجة الى تفســيرات غيبية وما ورائية للعالم المادي ، وأن الأنسان بات يجد الاجابات الكافية والشافية لأسئلته ومتطلباته ، وهذا ما نجده عند كل تغيير أو قفرة كبيرة على صعيد الاكتشافات والنظريات العلمية وتطبيقاتها الحياتية.

ولقد ســارع بعض الحداثويين الاوائل الى إلغاء دور الّدين، منذ بدايات الثورة الصناعية الى هذا القول، رحل هؤلاء، وبعد قرنين من الزمان أو يزيد لازال الدّين له وجود في كل قارات العالم ،يحجّ الى صومعته، الرؤســاء والعلماء والمثقفون وعامة النــاس ، ولا يؤمن به آخرون كما كان في قديم الزمان ولازال.

ولكن مع كل هذا وذاك يبقى السؤال قائماً بأن الدّين بوصفه نظام اجتماعي -لا كرسالةِ منزلة - هل يتأثر ويتطور بكل ما يحدث في العالم من تغيير ،أم يبقى كما هو؟

فالأنظمــة الاجتماعية نشــأت في بيئاتها، تؤثــر فيها تارة وتتأثر بها تــارة أخرى، لأن اللاعب الرئيس فيها ؛هو الانســان ، وإنســان اليوم بلا شك يختلف عن انســان العقود الماضية ، فضلاً عن القرون والدهور السالفة ، وحاجاته النظرية وأسئلته الوجودية قد تكون من نوع واحد إلاّ أنّ متطلباته الاجتماعية وتمظهراته الفكرية هي من أنواع وأنساق أخرى وليست نوعاً آخر فحسب.

ما نريده هنا أن ندعو الباحثين في الاديان الى مقاربات جدية وجديدة، لا تساهم في حل الإشكالات المعقـدة للفكر المعاصر فحســب، بــل تنهض بالفكر الدينــي ليكون له موقعه الأخلاقــي والخلاّق في مستقبل البشرية.

رئيس التحرير

البحوث والدراسات

التــداول القيمي لمفردة (الســلام) بين الإنجيل والقرآن

(تأملات مقارنة)

د.علي حداد (*)

خلاصة البحث:

تقــارب تأملاتنــا في هــذه الورقــة مفردة (الســلام) انطلاقاً من حدها اللغوي الذي استقر لهــا وتداولتــه معاجــم اللغــة العربيــة ، حيث الدلالة المعنوية المتســعة التي تشرع أفق التلقي علــى تداولية قيمية مؤطرة بمســاحة كبيرة من التمثلات التي تؤشــر مكنونها اللغــوي وتتنافذ مــع مضامينها التعبيرية وهي تتكيف في فضاء تداولــي خاص أنتجته اللغة العربية في أنســاق من التشكل لا تكاد تجاريها فيها أية لغة أخرى.

وقــد جعلنــا مــن ذلــك منطلقــاً لمراجعــة الدلالات التي اكتنفتها مفردة (السلام) في حدها الاصطلاحي وهي ترد في سياق تداول (الكتاب المقدس) في عهده الجديــد (الإنجيل) واضعين ذلك بــإزاء اي (القــرآن الكريــم) التي ترددت تلــك المفردة بيــن ثناياها ، معنيــة ـ في ما قام عليه أفقها الدلالي ـ بمســاحة متسعة من التشكل المعنوي الذي نصت عليه.

(*) أ.د./ مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

ولاشــك في أن ذلــك الجهد كلــه كان ينهل من الرغبة في الاســتجلاء التداولي للمضامين القيميــة (فكــراً وســلوكاً) التــي اكتنزتهــا هذه المفردة ، وهي تشيع بوصفها مساحة من التمثل الذي يؤســس لقيمه في جوانب الحياة الإنسانية كلها ، عبر ما اشــتغلت عليه الديانات السماوية التوحيدية في الجوهر من رسالاتها .

البعد اللغوي لمفردة السلام :

تــورد معاجــم اللغــة العربية عن مفردة (السلام) ما يلي :

(سلم) : السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ... فالســلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى ،قال أهل العلم : الله جل ثناؤه هو السلام ، لســلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقــص والفناء. قال جل جلاله : **(والله يدعــو إلى دار الســلام)**[1] ، فالســلام الله جل ثناؤه ، وداره الجنة. ومن الباب أيضاً الإســلام وهو الانقياد ، لأنه يســلم من الإباء والامتناع . والســلام : المسالمة ـ وفعال تجيء في المفاعلة

ـ كثيـراً ... ومن بـاب الإصحـاب والانقياد... والسلّم : معروف وهو من السلامة أيضاً ، لأن النـازل عليـه يرجى له السـلامة ..ومن الباب الأول السَّلم ، وهو الصلح ، وقد يؤنث ويذكر[٢] قال تعالى: (وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها) [٣] .

أما في (لسان العرب) فترد المفردة مكتنفة المعانـي ذاتها ، مـع إضافات دلاليـة أخرى : فـ (السـلام والسـلامة) : البراءة و(تسلم منه) : تبرأ... و(السلامة) : العافية ... و(سلم) و(سلام) واحد ...و(السـلام) : التحية. و(التسليم): مشتق من اسـم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص. و(السـلام) :أمـان الله فـي الأرض. و(دار السـلام الجنة...و(السّلم):المسالم...و(الإسلام) و(الاستسلام):الانقياد[٤] .

وبنـاء علـى المعطيـات المعجمية يمكن تقنين كلمة (السلام) في الدلالات الآتية :

ـ الله (سـبحانه وتعالـى) ، الجنـة (دار السـلام)، الدعاء والصلاة ، العافية والسلامة ، التحية ، الأمان والطمأنينة ، الصلح والمسالمة. وسـنلاحظ لاحقـاً أنهـا جميعاً قد اسـتمدت من القرآن الكريم ، ليكون التساؤل عما كان لها من دلالة عند العرب قبل الإسلام ؟ .

فلاشـك أنهم لم يعرفوا دلالتها على الخالق (جـل وعلا) ، ولا علـى الجنـة ، وليس لديهم مـا يؤكـد دلالتها علـى الدعـاء أو الصلاة أو التحيـة . وعلى ذلـك فلعل دلالـة المفردة على المعنى الأكثر شـيوعاً (السـلام) الذي هو ضد الحـرب هو الحـد الدلالي الذي يمكـن الركون إلـى أنهم تداولوها فيـه ، وهو ماورد في بعض شـعرهم، كقول الشـاعر(زهير بن أبي سلمى) في معلقته[٥] :

وقد قلتما إن ندرك (السلم) واسعاً
بمال ومعروف من القول نسلم

وكذلك بمعنى الاستسـلام ، كما في البيت الذي ورد في لسان العرب [٦] :

دعوت عشيرتي للسلم لما
رأيتهم تولـوا مـدبرينا

ومقارنـة بين العربيـة وأخواتها من اللغات الشـرقية القديمة والحديثة الأخـرى فقد جاءت المفردة بلفظ يتواتر معه لفظها في العربية[٧] .

مفردة (السلام) بين الإنجيل والقرآن :

١ـ نذهـب إلـى دلالة مفردة (السـلام) في (الإنجيـل)[٨] مـن خلال اللغـة العربيـة ذاتها لأسـباب تتعلق بالإنجيل نفسـه الـذي لم يكتب أصـلاً ـ ومنذ أول أمره ـ بلغة واحدة بل تعددت لغات كتابته تبعاً للغات من كتبه من تلاميذ السيد المسـيح (ع)[٩]. كما أن الـدلالات اللغوية لهذا الكتاب المقدس لم تكن هي الشـاغلة لمن كتبه، ومـن تلقـاه منـه ، أو موضع خـلاف مفهومي بينهم ، إذ انصب الخلاف ـ غالباً ـ على التداول المعنوي للأفكار، وعلى سرد الوقائع والمواقف والأخبـار المتصلة بحياة السـيد المسـيح (ع) ومكابداته . و تأسيساً على هذا فنحن حين نقارن بيـن البعد الدلالي لمفردة (السـلام) بين القرآن والإنجيل إنما نتحـدث عن قرآن واحد وأناجيل عـدة[١٠] ، ولعل ذلك يتضح بالعودة إلى أسـفار الإنجيـل المعتـرف بها التي حـددت في أربعة أناجيل ، هي[١١] :

إنجيل متى: ويقال له (لاوي) ، وهو أحد تلاميذ السـيد المسـيح ورسله الاثني عشـر. وقد كتب الإنجيل المسمى باسمه باللغة السريانية الكلدانية وفي حدود السنة الثامنة بعد الصلب[١٢].

*إنجيل مرقس : الذي كان تلميذاً لأحد حواري السيد المسيح ، هو(القديس بطرس).وقد كتب مرقس هذا الإنجيل باللغة اليونانية ، كما هو راجح ، وفي نحو السنة الثانية عشرة لصعود المسيح[١٣] . وبصنيعه الخاص في صياغة النصوص يعد مرقس ممن صنع الأسلوب الأدبي الذي جاء عليه الإنجيل[١٤].

*إنجيل لوقا : ولوقا طبيب يوناني من المسيحيين الأمميين (ليس من أصل يهودي) « وهو الأممي الوحيد الذي أرشده الروح القدس ليكتب إنجيلاً من أناجيل العهد الجديد الأربعة . وكان صديقاً حميماً للرسول بولس ورفيقاً له في السفر، وقد كتب أيضاً سفر أعمال الرسل، والسفران متكاملان» [١٥]. وكان تلميذا للحواري(بولس) وكتب إنجيله باليونانية بعد المسيح بأربع وعشرين سنة [١٦].

*إنجيل يوحنا : وعرف في آواخر المئة الأولى من عمر الكنيسة وجاء مكتوباً باللاتينية ، وقد حاول القديس يوحنا أن يصحح مسار كثير من الأفكار المسيحية التي رآها قد ابتعدت عن أصل الفكر المسيحي[١٧] .

تتجلى في هذه الأناجيل الأربعة ـ وما ترادف معها في (العهد الجديد) من (أعمال الرسل) ورسائل القديسين إلى أكثر من مدينة ـ مساحة دلالية بينة لمفردة (السلام) والقيم التي تبوح بها ، لتصبح هذه المفردة واحدة من المفاتيح الأساس لقراءة الفكر المسيحي والتمثل التعبيري والسلوكي الذي نهض عليه.

وسنلاحظ أن هناك تكريساً تداولياً لمعان محددة تتمحور حول بعض المفاهيم التي أشيعت عن هذه المفردة في سياقها اللغوي العربي، وبعض ما تداوله النص القرآني منها، وذلك ما يمكن أن تخبر عنه الاقتباسات النصية الآتية :

ـ «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ»(إنجيل متى٥:٩)

ـ «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (إنجيل لوقا ٢: ١٤)

ـ «عِيشُوا بِالسَّلاَمِ، وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ»(من رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣: ١١)

ـ «مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي»(إنجيل لوقا ١٩: ٣٨)

ـ «اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨: ٦)

ـ «رَبُّ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُعْطِيكُمُ السَّلاَمَ دَائِمًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. الرَّبُّ مَعَ جَمِيعِكُمْ» (رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي ٣: ١٦)

ـ ثَمَرُ الْبِرِّ يُزْرَعُ فِي السَّلاَمِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلاَمَ (رسالة يعقوب ٣: ١٨)

ـ «لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ» (رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ٢)

ـ «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ

وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ

وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ. لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى **الأَبْرَارِ**، وَأُذُنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ، وَلكِنَّ

وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ». (رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٠-١٢)

ـ « لِتَكْثُرْ لَكُمُ الرَّحْمَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْمَحَبَّةُ » (رسالة يهوذا ١: ٢)

تمثل النصوص أعلاه المساحة المطلقة التي هيمنت على تداول (الإنجيل) لمفردة (السلام) ،

وهو تداول يتكرس تشكله بين أفقين: (سماوي) تفيض به الذات الإلهية ، حيث يقترن فعل (السلام) بالخالق (سبحانه وتعالى) ، فهو (رب السلام) الذي يسبغه على الأرض، هبة منه لأولئك الذين يجدون في إثره ، ويكرسون حياتهم لفعله، متخطين نوازع (الجسد) وهيمنته إلى حيث الروح التي لا تجد طمأنينتها إلا عندما يؤطر السلام وجودها ، وحين تمد يدها للآخرين بتراحم ومحبة ، كي يتلاقى طالبوا السلام وصانعوه ، ليعيشوا في كنف ما وهبه الله لهم من نعمه .

٢- عدّ سياق التداول اللغوي واحداً من وجوه إعجاز القرآن الكريم[١٨] ، حيث تهيأ للعربية أن تتسع الدلالات فيها من خلاله ، وأن تجري مناقلة كبيرة لكثير من مفرداتها من حيزها الأول إلى آخر ذي طبيعة فقهية أو سياسية أو معرفية[١٩]. ومن هنا فقد شغل الحيز الدلالي لكثير من المفردات مساحة تداولية متسعة ، تعددت فيها المعاني وسياقات التمثل وصيغ التوظيف ، الأمر الذي صنع لكل مفردة منها معجمية جديرة بالتأمل والاستقراء . وذلك ما يستبين أمره حين نستقري دلالة مفردة (السلام) ومرادفاتها الاشتقاقية في المصحف الشريف، واضعين ذلك بإزاء التداول الدلالي المقنن للمفردة في الإنجيل ، كما مر ذكره .

وردت المفردات المستمدة من الجذر الثلاثي (سلم) في القرآن الكريم - وبمختلف اشتقاقاتها الدلالية - في مائة وسبع وخمسين آية[٢٠] ، وذلك يعني أن معدل ترددها في السور المباركة التي بلغت مائة وأربع عشرة سورة يتجاوز المرة الواحدة والثلاث في كل منهن ، وهو ما يمكن أن نبوبه في الدلالات الآتية :

- **سلّم** : كقوله تعالى : (ولكن الله سلّم) (الأنفال/٤٣)
- **سلمتم** : بمعنى أعطيتم ، كقوله :(فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف) (البقرة/٢٣٣)
- **تسلموا :** (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) (النور/٢٧)
- **سلموا:** (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله) (النور ٦١)
- **يسلموا : يسلموا تسليما .**
- **سلموا / تسليما**: كقوله تعالى : (يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) (الأحزاب ٥٦)
- **أسلم :** وردت في خمس آيات
- **أسلمت** : وردت في ثلاث آيات
- **أسلمتم** ، أسلمنا ، أسلموا ،أسلم، تسلمون ، يسلمون ،نسلم ، يسلم
- **السِّلم :** (يا أيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافة) (البقرة/٢٠٨)
- **السَّلم :**(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) (الأنفال ٦١)
- **السَلَم** : ألقوا إليكم السلم (وردت في أربع آيات) (النساء ٩٠/٩١)(النحل ٢٨/٨٧)
- **الإسلام :** وردت في ثماني آيات ، فضلاً عن صيغ متعددة أخرى: إسلامكم /إسلامهم
- **مسلماً :** (آيتان) :آل عمران/٦٧ ، يوسف /١٠١.
- **مسلمون** (في ست عشرة آية)
- **مسلمين** : (في احدى وعشرين آية)
- **مسلمة / مسلمات مسلّمة/ تسليماً/ مستسلمون**

ـ سلّم : كقوله تعالى : (أم لهم سلماً يستمعون فيه) (الطور/٣٨) ، وقوله : فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء (الأنعام /٣٥)

ـ سليمان :(ورد الاسم في سبع عشرة آية)(٢١).

وأخيراً :

ـ **ســلام** : وقد وردت في ثلاث وأربعين آية ، اشتملت عليها سبع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم .

نشير إلى أن مفردة **(سلمْ)** في العربية تأتي بصيغة (المصدر) الذي ذهب البصريون إلى أنه أصل الكلام ، ومنه استوفيت ماسواه من الاشتقاقات(٢٢) ، وخالفهم الكوفيون فنادوا بالفعل أصلاً لذلك .

يبرز تداول القرآن الكريم لمفردة (السلام) الدلالات الآتية :

* **الله** (سبحانه وتعالى): (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام) (الحشر/٢٣)

* **الجنة:** (لهم دار السلام عند ربهم) (الأنعام/١٢٧)

***التحية :** (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم)(الأنعام/٥٤)

***الصلح والسلم :**(ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) (النساء/ ٩٤)

***الأمان :**

ـ(قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك) (هود/٤٨)

ـ (قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)(الأنبياء/٦٩)

ـ(يهدي الله لمن اتبع رضوانه سبل السلام) (المائدة / ١٦)

٣- يمكن لتأمل السياق التداولي القار في مفردة (السلام) أن يرصد تلاقيات دلالية متعددة توافر فيها النصان (الإنجيلي والقرآني) على معان مشتركة ، أشرت الآفاق القيمية التي كان مصدرها التوجيه الإلهي الواحد الذي كرسها في ذلك الحد من الاشتغال المتطابق .

لقد كانت هناك بعض السياقات التي وردت مختلفة التعبير ولكنها تلتقي في واحدية المقاصد القيمية ، كالقول في المسيحية أن (الابن هو السلام)، في حين ارتقى القرآن الكريم بنسبة السلام إلى الخالق (سبحانه) ، إذ السلام واحد من أسمائه .

وإذ نصت العربية في معجميتها وما تداوله لها القرآن الكريم من أصل دلالة ، حيث «السلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى» فإن ما كان للسيد المسيح من معجزة شفاء هو التمثل العملي لتلك الدلالة اللغوية المتأصلة في المفردة .

وسيتجلى لنا التطابق القيمي التام بين محتوى الكتابين المقدسين حين تطالعنا ، ـ ومن خلال نصين فيهما ـ دلالة مفردة (السلام) على معنى التحية والطمأنينة ، إذ يرد في الإنجيل :

ـ(وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ)،

« وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ» (إنجيل متى ١٠: ١٣؛ إنجيل لوقا ١٠: ٥، ٦)

وهو التوجيه القيمي ذاته الذي قال به القرآن الكريم :

ـ (لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) (النور٢٧)

ـ (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله) (النور٦١).

وفي وراثة الخالق سبحانه وتعالى (الأرض) لمن انتقاهم من عباده ، ينص الإنجيل على

القول :

- «أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة» (مز٣٧:١١).

ويماثله القول القرآني : (إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)(٢٣)

وفي الموقف من الأعداء يصدح النص الإنجيلي بدعواه الإنسانية:

- سمعتم أن قيل تحب قريبك وتبغض عدوك،وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم (ص٥)

ويماثله القرآن بالقول:

(وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)(٢٤)

وحين يهتف السيد المسيح (ع) بحواريه :

- «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ»(رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٨)

يتهامى حديث الرسول محمد (ص) إلى المسلمين طالباً أن :

- «افشوا السلام بينكم»(٢٥) .

وحين يسيء إليك أحد فإن واقعة للسيد المسيح (ع) مع أحد حواريه تؤشر الموقف القيمي المطلوب ، حيث يرد الآتي:-

- تقدم إليه بطرس ، وقال: يارب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له ، هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات (ص١٨)

ومثله قال رسولنا الكريم (ص) مخاطباً من اتبع هديه :

- التمس لأخيك بضعاً وسبعين عذراً (٢٦) .

* السلام في التداول القيمي :

لعل الأمر الجدير باستيقاف التأمل - وقبل تناول الحد القيمي لمفردة (السلام) - هو أن ننظر في البعد الشعوري الذي تتأسس عليه الدلالات المعنوية لكثير من المفردات وأبعاد تمثلها القيمي في السلوك البشري الذي ينبغي أن تكون متأصلة فيه، حيث جبل الخالق (سبحانه وتعالى) النفس البشرية عليها، واستجابت لها في أصل حاجاتها الغريزية إليها . فبعض العواطف والمشاعر والأحاسيس هي الفطرة الأولى والأصل في الغريزة البشرية ، وضدها هو نتاج مغادرة تلك الغريزة ومجافاتها. وهكذا يكون أمر مجمل القيم العاطفية والسلوكية لدى الإنسان ، وهو يسعى إلى أن يؤثث وجوده بقيم : الخير، الحب ، الألفة ، الأمان، العائلة ، الاجتماع البشري.

ومن خلال هذه الرؤية - التي أشرها القرآن الكريم وقبله الإنجيل - ندلف إلى القول : إن احتياج الإنسان إلى الإحساس بالسلام وسعيه إليه سجية متأصلة في جبلته ، ليتكشف الوجود القيمي لبحثه عن حضورها المعين في مجمل ممارساته ومسعاه إلى استمكان وجوده والارتقاء به إلى ماهو دائب التطور . وذلك لايتم له من دون أن يشعر بالسلام والأمن والطمأنينة

وعودة إلى التداول الاصطلاحي الذي أصبح قار الدلالة في مفردة (السلام) فإننا نستطيع أن نشير إلى الحدود التداولية الاصطلاحية الآتية :

١- اصطلاح ديني : يتسع لمجمل الدلالات السابقة التي وردت في القرآن الكريم .

٢ـ اصطـلاح اجتماعي: تنظـم في ضوئه:
ـ قيم الـذات بوجودها الفردي (السـلام الذاتي) حيث طمأنينة النفس والضمير والسلوك.
ـ الـذات والآخـر القريـب :حيـث العلاقة العائليـة وما يسـودها من مـودة وتراحم، وفي المحيط القريب (الجار) والمحيط الأبعد' وعبر صلاتها مـع الآخرين في المحيـط الاجتماعي نفسـه ـ بين المجتمعات الإنسانية- حيث تنظيم العلاقات والتواصل بين دولها وشعوبها.
٣ـ اصطلاح سياسـي : له شرعته وقوانينه والمنظمـات والمؤسسـات ذات الطابع الأممي التي ترعى شـؤونه، كمنظمة السـلم والتعاون الدولي ، وسواها[٢٧].

تـردد لـدى بعـض الباحثيـن فـي الفكر الديني ـ وأدواره في بنـاء العلاقات القيمية بين المجتمعات ـ التساؤل الآتي :هل قدرة المسيحية على صنع السـلام هي أفضل من قدرة الإسلام على ذلك ؟

وقد أجاب بعضهم عن ذلك بالإيجاب ، فعنده[٢٨] أن قـدرة الديانة المسـيحية ـ وعلـى نحو عام ـ على صناعة السـلام هـي أكثر من قدرة الديانة الإسـلامية علـى ذلك . وهذا يرجـع ـ طبقاً إلى تلـك الرؤية ـ إلـى طبيعة علاقة الإنسـان بالله التي تختلف بين الديانة الإسـلامية والمسيحية. فالأخيـرة تدعو إلى تفاهم الأفـراد والجماعات فيمـا بينهـا على أمور تخـص الفكـر والعدالة الاجتماعية واحتـرام القوانين المدنية ، وتترك الإنسان وشأنه مع ربه .

وهذه الرؤية كانت سـبباً في احترام اسـتقلالية الآخـر والابتعاد عن إصدار الأحكام على فكره ومعتقـده . ولذلك فنحن لا نكاد نسـمع مثلا بأن مسـيحيا ـ فـي وقتنا الراهـن ـ أقـام الحد على مسـيحي آخـر بتهمة الهرطقـة أو الكفـر، بما يستوجب قتله. بينما نجدها في الديانة الإسلامية شـائعة جـداً، وفي مماحكـة غيـر منضبطة ، تسـتقري برؤية لا إنسـانية في مختلف شؤون الحياة ووقائعها.

وبذلك يكون الحق وصدق الإيمان متمثلاً ـ عنده ـ في الجهة الدينية أو الفرقة المذهبية التي ينتمي إليها ، لتصبح هي وحدها (الفرقة الناجية) وبما يديـن ـ مـن خلاله ـ الآخر المختلـف مذهبياً أو دينيـاً . ولعـل هذا ـ وكما تتصـوره تلك الرؤية ذاتها ـ نقيض ما في الديانة المسيحية ، حيث الله (سـبحانه وتعالى) هو الذي يكـون حاضراً مع الإنسان' وبذلك فهو يتقبل عبده الإنسان ، ويمد لـه يد رحمته وعفـوه ، حتـى وإن كان مخطئاً بحسـب نظرتنا نحن لـه . وهذا اعتقاد أسـاس وعميق في الديانة المسيحية يؤسس للسلام على نحو صريح ومؤكد.
وعندنـا فـإن مثل هذه الأفـكار التـي يقول بها البعض ينقصها الكثيـر من التأمل الموضوعي للإسـلام وظـروف التأصيـل القيمـي لنصـه المقدس. وتتأسـس طروحاتها على واقع الفكر الإسـلامي الراهن وسـلوك بعـض الجماعات المتطرفـة فيـه، ليحمـل ذلـك مسـتنداً يبرزه البعـض في وجـه القيمية الحقة التـي يؤطرها الفكر الإسـلامي فـي الجوهر منـه . ولعل في تمسـك البعـض بالفكـرة المشـوهة عـن حالة التضـاد مـع الآخر المختلف هـو الذي تتكرس لـه هذه الوجهة، وبمـا يعكس أزمة في مواجهة الذات أساسـاً « فذلك قد ينبع مـن الاعتقاد بأن تبايـن الآخر يعني انتقاص الذات . وأن اختلافه يعنـي تهديدها ، ومن ثم فاصطنـاع العداوة أو الخصومـة مع الآخر قد يعبر عـن آلية دفاعية تحركها تلكم المخاوف والأوهام» [٢٩] .

إن في الإسلام (نظرية) للسلام ذات أبعاد فكرية وسلوكية عالية القيم ،وقد غيبت كثير من مضامينها في ظل السلوك المغاير لها ، منذ أن جرى (تأويل) النص القرآني والذهاب به بعيداً عن مقاصده التي تخاطب الفطرة الإنسانية وتتمثل احتياجاتها . لقد جرى الاشتغال على التأويل والتفسير التي أصبحت طروحاتهما هي التي يجري الالتزام بها ، بإزاء مغادرة روح النص القرآني ومنطوقه الصريح ،لتستحيل **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)** [٣٠] إلى مطالبة الأخر بالخضوع الذليل لحكمك . وتصبح **(وجادلهم بالتي هي أحسن)** [٣١] مغيبة، حيث الأولى أن تجالدهم بالسيف أو غيره،وأن تستبيح ـ إن لم يستجيبوا لك ـ مقدرات وجودهم الإنساني كلها.وتصبح **(لكم دينكم ولي دين)** [٣٢] منسوخة بدعاوى أن لا دين مسموح به ولا عقيدة إلا ما أنا عليه .مع أن الخالق يقول : **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)** [٣٣] ، و(لو) في اللغة أداة امتناع لامتناع [٣٤] .

والسؤال الذي يلح علينا ـ في ظل هذا الخضم من القتل والدمار وشتى الحروب التي تعايشها المجتمعات الإنسانية ، ومجتمعاتنا العربية والإسلامية خاصة ـ هو :

متى وكيف يتهيأ للسلام أن يسود حياتنا الراهنة المحتدمة بكل ما هو نقيضه ؟ ولا نقصد بالسلام هنا ماهو ضد الحرب وحده ، بل السلام الإنساني الحقيقي الذي تلتذ بعباءة طمأنينته فضاءات الوجود الإنساني كلها ، ويكون للمسلمين ودينهم دور حقيقي فيه ؟

نعتقد ـ جازمين ـ أن ذلك ليس مستحيلاً ، وأن سبل الوصول إليه والتمسك بفيء حضوره يتم لنا ولسوانا في الحين الذي يتحقق فيه الآتي :

ـ حين تتخلص مجتمعاتنا من الأشرار وتجار الحروب وسماسرة الأزمات ، وكل الموبؤة نفوسهم بالجشع والشهوات التي يغادرون من خلالها شروط إنسانيتهم كلها.

ـ حين نتجاوز المفهوم الضيق للدولة الدينية التي لم تستطع الديانات أن تقيمها بمعزل عن تأثير وقائع ومحددات الحياة الإنسانية الأخرى . فقد فشلت ـ في الغرب ـ سلطة الكنيسة أن تفرض نمطاً (ثيوقراطياً) متزمتاً ، وبرزت الدولة المدنية الحديثة التي تجيء ممارساتها ـ في الغالب عليها ـ تطبيقاً لشعار (الدين لله والوطن للجميع).

وكان الأمر في الدول الإسلامية قريباً من ذلك ، إذ الإسلام ـ وطبقاً لرأي أحد المفكرين الإسلاميين ـ دين وأمة وليس دين ودولة [٣٥] .

ـ حين نسعى لإشاعة مفهوم دولة المواطنة والعدل وحرية الرأي والتعبير والمعتقد ، كما أسس لها الإسلام الأول، متمثلين الشعار العظيم الذي نادى به الرسول الأكرم (ص) تحقيقاً للعدالة بين الناس:« الناس سواسية كأسنان المشط» [٣٦] ، وحيث قول الأمام علي (ع) : « الناس صنفان أخ لك في الدين ، أو شبيه لك في الخلق» [٣٧] .

ـ حين نتخلص من فكرة (تكفير) الآخر واتهامه بدينه ومعتقده، وتسليط أنفسنا قيمين عليه وعلى سلوكه . بما يؤخر كثيراً البحث عن حلول مجدية للمشكلات الآنية التي يواجهها المجتمع البشري بأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ويكرس الأمر في حد من التبرير وكأن الخلاف الديني هو العقدة في الأمر ، وليس سواه . ولاشك في إن اعتبار

الدين المشكلة الأولية يضعف القوة الإيجابية للدين والثقافة معاً ، ويضفي غموضاً على قيمنا واهتماماتنا المشتركة [٣٨] .

ـ حين لا نعطي لأنفسنا تفويضاً إلهيا بالحكم على الأخر وديانته وتنفيذ إرادتنا بدعوى أنها إرادة إلهية مقدسة ، إذ ـ وطبقاً لمقولة الإمام (محمد عبده) : « ليس من حق أحد أن يدعي السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه ، أو ينازعه في طريقة نظره» [٣٩].

ـ حين يكون مدخل مناقشة الآخر المختلف معنا من خلال المعرفة والسلوك القويم والموعظة الحسنة :(وجادلهم بالتي هي أحسن)[٤٠] .

ـ حين نحترم معتقدات الآخر وقناعاته الفكرية والسياسية ، والوجهة الإعتقادية التي وجد نفسه منتمياً إليها ، وتكرست عنده قناعة روحية لا يجادل فيها ، ولا يجيز لمن يختلف معه أن ينال منه أو يقلل من شأنها ، فنحن ـ وطبقاً لرأي أحد رجال الدين الغربيين « لا نكسب شيئاً من تقليل شأن الأديان وإهانتها ... إن ذلك افتقار للاستقامة والاحترام» [٤١] .

ـ حينما نترك الخلق للخالق ونضع أمر ثوابهم وعقابهم بيده سبحانه ، الذي (كتب على نفسه الرحمة)[٤٢] .

ـ وأخيراً : حين نصغي إلى ذلك الاحتشاد القيمي الذي تدعو إليه مفردة (السلام) ـ في القرآن والإنجيل قبله ـ وهي تستحيل دعوات روحية خالصة للإنعتاق من هيمنة المصالح الأنانية الضيقة ـ التي تتملك الأفراد والجماعات ـ والتمسك بحقيقة الوجود الإنساني المؤسس على حب الخير ورغبة التعايش مع الآخر، والعمل من أجل حياة إنسانية عالية التمكن القيمي .

٤ـ يقدم لنا واقع العلاقات الإنسانية الراهنة في المجتمعات الإسلامية ، ومثلها المجتمعات الغربية ـ ومن خلال جعل مفردة (السلام) ومضمونها القيمي مجساً لطبيعة السلوك والتصورات التي تحكم العالمين ـ نمطين من التجسيد السلوكي ، الأول وتتمثله الممارسات السائدة بين المواطنين من مختلف البلدان والشعوب تلك الوجهة القيمية التي يستجيب لها التعامل اليومي المعيش عبر بساطته وإنسانيته ومن ثم فقد تمثلها موقفا وسلوكاً ، واستجابات في التعاملات والعلاقات الإنسانية السائدة واحترام الخصوصيات المختلفة ، والاستجابة الطوعية لقيم المجتمع وقواعد السلوك والقانون المتبعة فيه[٤٣] .

ولنا أن نتساءل: من أين جاءت لتلك البيئات المجتمعية هذه الرؤية الإنسانية عالية النبل ، والنزوع القيمي المسالم ؟

وعندنا فلعل الأمر يكمن في بساطة العيش ورغبة الفرد أن يعيش مطمئناً ، وتجانس بنيته الاجتماعية وإدراك حاجة كل فرد للآخر بغض النظر عن مذهبه وديانته . ولذلك قبلت تلك البيئات التنوع الديني والمذهبي والقومي وتطامنت معه ، في حين تكاد ترفضه ـ عندنا ـ الجهات التي انغلقت على رؤية دينية سلفية تتمسك بتأويلها اللغوي للنص وانغلاقه على ماتريده هي منه وتتبناه . ومثلها فقد سعت ـ في المجتمعات الغربية ـ جهات ومنظمات سياسية وإعلامية إلى الإعلان عن أقصى مظاهر التطرف المعادي للإسلام ومعتنقيه ، ومحذرين مجتمعاتهم من التطرف الذي راحوا يلصقونه بالفكر الإسلامي كله ، حتى صار بعضهم يجهر بالقول : « أن الاعتقاد بأن الإسلام دين (سلام) أمر مخادع[٤٤] ، متجاهلين العوامل

الموضوعيــة ـ التــي لا دخل لجوهر الدين بها ـ في ظهور هذا التطرف الذي ألصق بالمسلمين، ومغيبيــن دور جهــات سياســية ومؤسســات حكومية غربية في تنشــأته ودعمه واســتغلاله لتحقيق كثير من مآربها ».

لاشــك في أن كثيراً من الحركات التي تلبســت لبــوس الديــن الإســلامي ادعــاء وتمظهــراً خارجيــاً، ولعــل آخرهــا ـ وليــس أخيرهــا ـ داعش نتــاج الأفق المكبوت علــى ادعاءاته ، وعلى ضيق أفق إنســانيته ، بــل انعدامها. غير أننا لا نبريء جهات غربية ثبت باليقين القاطع أنها قدمت لهذا النهج المتطرف ماســاعده على أن يبنــي إمكاناته ويطورهــا ، ويعلن عن هذا الصنيع المغادر لقيم الإنســانية الحقة .

ومثــل ذلك وعلى نهجــه تنداح كل رؤية دينية ضيقــة تغــادر الواقــع الاجتماعــي وتتمســك بالنص النظري ـ كمــا تقرؤه هي ، لاكما تقوم عليــه روحه ـ تاركة خلفها تاريخ من التجارب الإنســانية المريرة التــي صنعتها وقائع كارثية مــن العــداء والحــروب والنزعات الشــريرة المترعــة بكراهيــة الآخر والرغبة فــي إنهاء وجوده ، ومتجاهلة الميل الغريزي لدى الإنسان أن يعيــش آمنــاً مطمئنــاً ، وأن ينمــي وجوده الإنســاني ويطوره عبر قيم الســلام والتسامح التي جــرب نقيضها فكانت نتيجتها خراباً قيمياً لــم تعد البشــرية لتطيقه ، حتــى صرنا نردد ـ مجبريــن ـ مع أحد الكتــاب الغربيين : «عالمنا ليس أكثر أمناً ، إنه أكثر خطراً . ونحن نواجه شــرور الإرهاب العالمي»[٤٥] .

ولعــل جانباً من الحل الذي يقترحه الباحث نفســه ـ ونشــاركه فيــه ـ يكمــن فــي « القدرة علــى التحــرك إلــى مــا وراء الافتراضــات المسبقة والصور النمطية المشوهة في مواقفنا وسياســتنا، والقــدرة علــى تكويــن مشــاركة تتخطى رؤيــة (نحــن) و(هــم) للعالــم»[٤٦] .

هوامش وإحالات :

(١) القــرآن الكريــم، يونــس/٢٥.

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (ســلم) .

(٣) الأنفال / ٦١ .

(٤) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (سلم) .

(٥) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص١٠٧.

(٦) ينظر: ابن منظور ، مادة (سلم) .

(٧) يتقارب لفظ مفردة (سلام) في اللغات الشرقية ، فهي في الآرامية (شالوما) والعبرية (شالوم) والسريانية (شالاما) .

(٨) جــاء في تاج العروس للزبيدي» نجل الشــيء ينجله نجلاً : أظهره ، ومنه اشتقاق الإنجيل»، مادة (نجل) . ويقــول ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : « يقال : الإنجيل عربي مشتق من نجلت الشيء: استخرجته، كأنه أمر أبرز وأظهر بما فيه » .

أمــا ابــن منظور فيــورد الآتــي : « اختلف في لفظ الإنجيل فقيل اســم عبراني ، وقيل ســرياني ، وقيل عربي ، وعلى الأخير قيل مشــتق من (النجل) وهو الأصل ، أو من نجلت الشــيء: أي أظهرته ، أو من نجلــه إذ اســتخرجه « . ينظر : لســان العرب، مادة (نجل) ».

(٩) يذكــر مجمع الكنائس الشــرقية ، (الكتاب المقدس ، ص٣٢) أن اللغــة الآرامية هي اللغة التي تحدث بها الســيد المسيح . ومن الواضح أن هذه اللغة امتزجت مــع اللغة العبريــة عندما حصل الســبي . فقد أخذوا باســتعمال اللغة الآرامية التي حلت مع اللغة العبرية كلغة للتخاطب في شؤون الحياة اليومية . وأن النص الإنجيلي انتقل من الآرامية إلى اليونانية عن طريق الترجمــة .حين كلف (بطــرس) بعضهــم بنقله إلى

اليونانية . (المصدر نفسه ، ص٧٣٦) ، ليطلق عليه في اليونانية تسمية : (البشارة) (ewi nghilion)، وهي كلمة مكونة من مقطعين (Ew)، وتعني:مرحى ،جيد، حقيقي،(Anghilion) : بشارة أو التبشير. ليصير المعنى العام (التبشير للسعادة الحقيقية). ينظر: إياد مطلك الزيدي، النزعة الروحية في الكتاب المقدس ، ص١٤٥. وينظر مصدره.

(١٠) ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم اثني عشرة مرة، ثمانية منها مقروناً بالتوراة ، في قوله تعالى :

-(وأنزل التوراة والإنجيل)(آل عمران/٣)

- (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)(آل عمران/٤٨)

- (وما أنزل التوراة والإنجيل إلا من بعده) (آل عمران/٦٥)

- (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) (المائدة / ٦٦)

- (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل)(المائدة /٦٨)

- (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)(المائدة/١١٠)

- (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)(الأعراف/١٥٧)

- (وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن) (التوبة/١١١)

وأربع مرات منفرد الذكر، في قوله :

- (وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور)(المائدة /٤٦)

- (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه)(المائدة/ ٤٧)

- (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ..)(الفتح /٢٩)

- (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل) (الحديد/٢٧)

(١١) ينظر: الكتاب المقدس ، العهد الجديد ،ص ٤٦٧.

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) المصدر نفسه . وقوله : « كتبه باللغة السريانية الكلدانية ، وهي لغتهم يومئذ ».

(١٤) يقول أفرام سقط الدومنيكي ، دليلك إلى قراءة العهد الجديد، ص١١٩. ولذلك يعتبر مرقس الإنجيلي الأول الذي كتب إنجيلاً تسلسلت فيه أحداث حياة يسوع ... والذي ابتكر الأسلوب الأدبي ... وقد فرض إطاراً جغرافياً وزمنياً لحياة يسوع ، وتبعه متى ولوقا عن كثب ، محتفظين بالإطار فقط ، ومستعرضين الأحداث بصور مختلفة .

(١٥) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ،ص٤٧٥ ومابعدها.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) المصدر نفسه ،ص٤٧٨.

(١٨) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص٣٥٣.

(١٩) كالذي حصل لمفردات مثل : الصلاة ، الحج ، الزكاة ، الوضوء ، الخلافة ، القبلة وسواها مما جرى تكريسه لتقنين دلالي محدد في الاصطلاح الإسلامي .

(٢٠) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،ص٤٥١

ومابعدها .

(٢١) تأتي الألف والنون في بعض اللهجات العربية الجنوبية القديمة بآخر الكلمة بوصفها أداة تعريف ، ليصبح (سليمان) في العربية السائدة بمعنى (السليم).

(٢٢) ينظر: ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ص٢٣٥.

(٢٣) الأنبياء /١٠٥.

(٢٤) النحل /١٢٥.

(٢٥) سنن ابن ماجة ،٢/ ٣٦٩٢/كتاب الادب - باب افشاء السلام .

(٢٦) رواه ابن عكسر في تاريخه ١/ ٧٤٧ .

(٢٧) مجلس السلم العالمي (World Peace Council)، منظمة ذات طابع اجتماعي شعبي

عالمي، تأسس عام ١٩٥٠ م. وهو يسعى من أجل تحقيق السلام والأمن ونزع السلاح ومناهضة الحروب ، والتنمية، وحقوق الإنسان، وحماية البيئة، والتراث الثقافي ، والتضامن مع الشعوب وحركات التحرر التي تقاوم الهيمنة الاستعمارية، وتناضل من أجل الاستقلال والسيادة والوطنية .

(٢٨) تداولت كثير من مواقع (الأنترنت) القضايا الخلافية بين الإسلام والمسيحية ، ومنها قضايا الحرب والسلام . ينظر على سبيل التمثيل :

http://www.aramaic-dem.org/Arabic/Tarikh_Skafe/32.htm

(٢٩) علي القريشي ، المسلمون والآخر : حوار لاصدام،ص٩.

(٣٠) سورة الانفال / ٦١ .

(٣١) النحل /١٢٥.

(٣٢) الكافرون /٦.

(٣٣) هود/١١٨. وقد ورد تكرار الفكرة ذاتها في أكثر من آية أخرى ، كقوله تعالى : (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) النحل /٩٣، وقوله : (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) الشورى/٨.

(٣٤) ينظر : ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ،٣٨٥/٢.

(٣٥) ينظر : قادري أحمد حيدر ـ دراسات فكرية وثقافية ، ص٣٩،وينظر مصدره.

(٣٦) رواه ابن عدي في الكامل في ٢/ ١٥٣ ضعفاء الرجال .

(٣٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٤/٩.

(٣٨) جون ل اسبوسيتو ، من يتكلم باسم الإسلام ، ص١٦٤

(٣٩) الإمام محمد عبده ، الأعمال الكاملة ،١٢٥/٢ .

(٤٠) النحل /١٢٥.

(٤١) اسبوسيتو، ص١٤٧

(٤٢) الأنعام /١٢.

(٤٣) ولم يكن مجتمعنا الشعبي بعيداً عن ذلك ،فهو يردد : (دع الخلق للخالق) ، و(عيسى بدينه وموسى بدينه) وسواها من الأقوال والحكم المفعمة برح التسامح الديني والاجتماعي .

(٤٤) اسبوسيتو، ص١٤١ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص١٢٩.

(٤٦) المصدر نفسه .

مصادر البحث ومراجعه :

١- القرآن الكريم .

٢- الكتاب المقدس ، العهد الجديد (الإنجيل).

٣- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله :ـ شرح نهج البلاغة ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٩م. *أسبوسيتو ، جون ل : ـ من يتكلم باسم الإسلام ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠١١م .

٤- ابن الأنباري ،عبد الرحمن بن محمد : ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة د.ت.

٥- الجرجاني ، عبد القاهر: ـ دلائل الإعجاز ، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية ، مكتبة سعد الدين، بيروت ١٩٨٧م

٦- حيدر، قادري أحمد :ـ دراسات فكرية وثقافية ، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، صنعاء ٢٠٠٩م .

٧- الدومنيكي ، أفرام سقط : ـ دليلك إلى قراءة العهد الجديد ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد ١٩٧٨م.

٨- الزبيـدي ، السـيد محمـد مرتضـى :- تـاج العروس مـن جواهر القاموس ، المطبعـة الخيرية ، القاهلرة ١٨٦٦م .

٩- الزوزني ،الحسين بن أحمد: - شرح المعلقات السبع، دار الجيل ، بيروت د.ت .

١٠- الزيـدي ، إيـاد مطلـك : - النزعـة الروحيـة فـي الكتـاب المقدس (العهد الجديد)، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠١٤م .

١١- عبـد الباقي ، محمد فؤاد :- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٨م.

١٢- عبـده ، الإمام محمد : الأعمال الكاملة ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٩٧٤م .

١٣- ابن عقيل ، عبد الله : شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محيـي الدين عبد الحميد ، مطبعة السـعادة ،القاهرة ١٩٦٤م .

١٤- ابـن فـارس ، أحمد بـن فارس بن زكريـا - معجم مقاييـس اللغة ، تحقبق عبد السـلام محمد هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق٢٠٠٢م.

١٥- القريشـي ،علـي : - المسـلمون والآخر : حوار لا صدام ، المنظمة الإسـلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الرباط ٢٠٠٧م.

١٦- لجنـة الترجمـة والتحريـر : - إنجيـل لوقا - تفسـير تطبيقي ، القاهرة ٢٠٠٠م .

١٧-ابن ماجة ، محمد بن يزيد: - سنن ابن ماجة ، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت د.ت .

١٨- مجمع الكنائس المقدسـة :- الكتاب المقدس ط٢، دار المشرق ، بيروت١٩٨٨م .

١٩- ابـن منظـور، جمـال الدين أبـو الفضل : - لسـان العرب، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥م .

The approachment among Islamic sects
Reading in the position and seek

prof. dr. Ali Haddad

Abstract

This research sheds light on the reading sight closes to the concept of (approachment) by using many ways as linguistics. culture,scientific,and others to concept it by application considered it as a goal of conception To understand this concept it must be achieved by using the previous aspects

If this word had found in Holy Quran , it can be appeared in many meanings depended on the semantic side which can be taken (approach) semantically that can be close some one to another and treat with other easily , and because the scientific side is the real active that gives this term its importance , it must be take it in our sight across the importance ways among Islamic sects described the importance of political and social position that need to change)approach(to be as a curriculum by efforts in order to achieve humanity activity and realistic in actual steps

مشكلة إثبات وجود الله في الفلسفة المسيحية إبّان العصر الوسيط

د.إحسان علي الحيدري (*)

الملخص:

حاولنا في هذا البحث الأكاديمي تقليب صفحات التاريخ بحثاً عن شخصيات فكرية أدلت بدلوها في مجال الفلسفة والدين، وكان لها نصيب في طرح أدلة خاصة بموضوع إثبات وجود الله، مع محاولة التمييز بين الأدلة المبنية على الجانب العقلي من الأدلة المبنية على الجانب النقلي، وبيان النظرة المتواترة عن تلك الشخصيات في كتب الفلسفة واللاهوت بخصوص موضوع الأدلة، وصوبنا مرامي شباكنا تجاه أبرز الشخصيات الفلسفية في الفكر المسيحي خلال العصر الوسيط لما تتسم به هذه المرحلة من تمازج بين الفلسفة والدين، وخلط بين مجال فلسفة الدين ومجال اللاهوت، والشخصيات هي: أوغسطين، أنسلم، بونافنتورا، توما الأكويني، وكل واحد منهم يُعد علماً بارزاً في الفلسفة الوسيطة، فضلاً عن الفكر المسيحي برمته، وحاولنا تبيان وجهة نظرنا الشخصية تجاه الأدلة المطروحة من خلال فقرة النقد والتعقيب متفقين في بعضها مع بعض ما ورد في كتب الفلسفة، ومختلفين مع البعض الآخر، وهذه ميزة الفلسفة، إذ تكمن في فسح المجال للآخر للتعبير عن وجهة نظره تجاه الموضوع المطروح مع إبقاء الباب مفتوحاً لآراء أخرى متجددة، وعدم غلقه عن طريق فرض الرأي على الآخر؛ لذا كان لزاماً علينا إبداء رؤيتنا البسيطة تجاه موضوع البحث قيد الدرس على وفق ما توصلنا إليه من استنتاج.

(*)/ قسم الفلسفة/كلية الاداب/ جامعة بغداد

المقدمة:

تناولت كتب الفلسفة وكتب اللاهوت أدلة وجود الله بالشرح والتحليل، ووُجِهت صوب تلك الأدلة سهام النقد، فضلاً عن وجود آراء كثيرة تبنّت بعض تلك الأدلة، لكن المتفحص لتلك الأدلة سيجد أدلة نابعة من النص الديني ومطروحة بطريقة نقلية بعيدة عن التعقل، وأدلة نابعة من النص الديني لكن مطروحة بطريقة عقلانية، وأدلة أخرى نابعة من التفكير العقلاني لكنها مطروحة بطريقة ممزوجة بين العقل والنقل، وأدلة نابعة من التفكير العقلاني ومطروحة بطريقة مجردة عن الإيمان؛ ما يولّد حالة من التشظي الفكري، سواء في مجال العقل أو النقل، وبالتأكيد لا يمكننا التعرف على كل الأدلة المطروحة في تلك الكتب بسبب محدودية البحث الأكاديمي، قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) {وما لا يُدرك كله لا يُترك جُلّه}؛ لذا ارتأيت التوجه صوب عصر تمتزج فيه الفلسفة مع الدين، والعقل مع النقل؛ لأُميز موقف الفيلسوف من اللاهوتي، فوجدت العصر الوسيط أفضل عصر تتحقق فيه هذه الغاية، وتوجهت صوب الفلسفة المسيحية تحديداً لكونها مزيج ـــ في تلك الحقبة الزمنية ـــ من الآراء المستندة إلى العقل وأخرى إلى النقل، وهذا العصر يمتد من عصر آباء الكنيسة ويستمر ليشمل العصر المدرسي (من سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى بداية عصر النهضة)، وسأحاول في هذا البحث تسليط الضوء على أهم الشخصيات التي تناولت مشكلة إثبات وجود الله عن طريق أدلة عقلية بحسب ما أوردته كتب الفلسفة واللاهوت، ومن تلك الشخصيات:

أولاً:ـ القديس أوغسطين [1]:

يصرح أوغسطين في كتابه «الاعترافات»، بأنه لم يشك في وجود الله قط على الرغم مما صادف من اعتراضات، إذ كان يرى وجود الله واضحاً عن طريق استدلال بديهي انعقد عليه إجماع الناس، واتفق عليه أفاضل الفلاسفة، والأمثلة عنده كثيرة، منها قوله: «تنظر إلى الأرض وما فيها من قوة وجمال وكأنك تسائلها، ولمّا كان من الممتنع أن تكون حاصلة على هذه القوة بذاتها؛ فإنك تدرك حالاً أنه لم يكن أن توجد بقوتها الذاتية»[2]، وقوله: «إن العالم نفسه بتغيره المنظم تنظيماً عجيباً، وبأشكاله البديعة؛ يعلن في صمت أنه مصنوع»[3]؛ لذا يعتقد أوغسطين أن الإلحاد جنون مطبق، ويصرح بأن الملحدين ينكرون وجود الله بسبب شهواتهم[4].

ويرى أوغسطين أن الحقائق الثابتة لا تتأتى من الأشياء، ولا تكشفها الحواس، فالأشياء في تغير مستمر؛ وما هو متغير لا يمكن أن يعطينا معرفة ثابتة، قد تكون الحقائق الرياضية في البدء منتفعة من الأشياء الحسية، لكن قوانينها وتركيباتها لا تخضع لذلك، والإنسان عاجز عن إعطاء تلك الحقائق لأنه متغير؛ إذن لا بد من البحث عن مصدر تلك الحقائق خارج العقل الإنساني، وبما أن الحقائق مشتركة بين العقول الفردية وهي ليست من نتاجه لكونه منفعل وغير ثابت؛ إذن لا بد من كائن ثابت وضروري وخالد تنبثق منه تلك الحقائق الثابتة، وذلك هو الله[5].

ولصياغة أدلة وجود الله ـــ بحسب رؤية أوغسطين ـــ ندرج الآتي[6]:

دليل الإشراق: تستطيع النفس الإنسانية اكتشاف وجود حقائق ثابتة بنفسها، وعلة هذه الحقائق لا بد من أن تكون من جنسها؛ ما يؤدي

إلى وجـود موجود أزلي أبدي، وهـذا الموجود هو الله، وأن الوجود والماهية شـيء واحد؛ لهذا فإن الماهية التي نتصورها لله في عقولنا تقتضي الوجـود، ومن ثَـمَّ تلزم فكـرة الله الموجودة في عقولنا وجوده أيضاً؛ ما يؤدي إلى أن الله موجود.

دليل العلة الفاعلة: إن التغير في عالم الوجود يتم بأن يتخذ الشـيء صورة مضـادة له، وعلى ذلـك لا يمكن أن يكون الشـيء هو الذي يعطيها لنفسـه لأن هذا مستحيل؛ وإلا لما كان في حاجة لأن يعطي نفسـه مـا هو موجود فيهـا من قبل، فإعطـاؤه الصورة لا يمكن أن يتم إلا عن طريق موجد للصورة؛ ما يؤدي بالنتيجة إلى وجود علة فاعلة تهب الصورة، وهذه العلة متمثلة بالله.

دليل النظام: إذا نظرنا إلى ما حولنا في هذا العالم الفسيح وما يشتمل عليه من جمال وإبداع، فسـنجد تنظيمـاً عجيباً وتدبيـراً عظيماً ينم عن وجود مبدع ومنظم له لا نسـتطيع إنكاره، وهذا المبدع والمنظم لا بد أن يكون الله.

ثانياً:ــ القديس أنسلم [٧]:

عند الانتقال إلى شـخصية ثانية في العصر الوسيط ممثلة بأنسـلم، نجده يعرض أدلة ثلاث لإثبات وجـود الله ضمن كتابه «المناجاة» على النحو الآتي[٨]:

دليـل الخيـر: يقوم هـذا الدليل علـى فكرة الخير، إذ يرى أنسـلم أن الناس يعشقون الخير والكائنات تصبو إلى تحقيق الخير إلا أن مقدار الخير يختلف بين الناس، وبما أن كل خير لا بد له مـن علة؛ فيؤدي إلى وجود علل مختلفة لكل خير أو وجود علة واحـدة لجميع أنواع الخير، ويشـير الواقع إلـى أن الأشـياء إذا اختلفت في موضوع واحد فإن علتها لا بد أن تكون واحدة، فالعدالة الموجودة في عدة أفراد بنسـب مختلفة لا بد أن تكون علتها عدالة واحدة تسـود الناس جميعـاً، كذلـك الحال في الخيـر لا بد أن يكون مرجعه وجود خير أسمى أو مطلق، وهذا الخير المطلق أسـمى من جميع أنـواع الخير؛ لأنه لا بـد من التفرقـة بين ما هو خيـر بذاته، وما هو خير بغيـره، ومن البديهي أن يكون ما هو خير بذاته أشـرف مما هو خير بغيره؛ ومن ثَمَّ يكون الخيـر الذي هـو علة جميع أنـواع الخير خيراً بذاته؛ لكونه المصدر الوحيد للخير، وهذا يعني أن الخير بذاته أشـرف جميع أنواع الخير التي بغيرها؛ ما يؤدي إلى وجود خير مطلق أسـمى درجـة من الوجود متمثلاً بالكائن الأكبر، ومن ثَمَّ يمثل الخير المطلق الوجود الأكبر وهو الله.

دليـل الممكن والواجب: يقوم هذا الدليل على فكـرة الوجود، إذ يـرى القديس أنسـلم أن جميع الأشياء تشترك في كمال عام تام هو الوجود، ولكل موجود علة؛ لأن الأشـياء ممكنة وليست واجبة، ووحـده الواجب الذي يمكن أن يُعد بلا علة، غير أن العلة لجميع الموجودات متمثلة بموجود واحد أول، وهـذا الموجود الأول هو الله؛ ومن ثَمَّ نصل إلى موجود بذاته ترجع الأشياء إليه وهو الله.

دليـل التفاوت في الكمـال: يقوم هـذا الدليل على فكرة الكمال في الكائنات، فمن المسلّم به ــ بحسـب وجهة نظر أنسـلم ــ أن بعض الكائنات أكمل من بعض، فليس من شـك أن الإنسان أكمل من الحيوان، وإن لم يسلّم الإنسان بهذا لما استحق أن يكون إنسـاناً؛ ما يعنـي أن هنالك اختلاف في درجات الكمال، وهنا يثار تساؤل إن كانت درجات الكمال ترتفع إلى ما لا نهاية أو تقف عند حد معين أو توجد كائنات متعددة كاملة بذاتها؟ فإن أجبنا في أن درجـات الكمال ترتفع إلـى ما لا نهاية لوقعنا

في تناقض أو على الأقل نرى من المستحيل أن تكون الكائنات غير متناهية في الكمال، وإن أجبنا بوجود مجموعة من الكائنات متساوية في الكمال وليس هناك كائن أعلى؛ سيؤدي إلى وجود صفة مشتركة وهي أن الكائنات جميعاً أكمل الأشياء، وهذا الكمال المشترك إما أن يرجع إلى ماهيتها؛ وحينئذ ستكون واحدة ما دامت ماهيتها واحدة أو يرجع إلى شيء غير الماهية؛ وهذا الشيء سيكون كمالاً أكبر من كل هذه الكمالات، فلا بد إذن من وجود كمال أعلى هو الكمال الأول وهو الله.

ويعرض لنا أنسلم في كتابه «عِظة» دليلاً رابعاً لإثبات وجود الله، وينص هذا الدليل على أن لدى كل إنسان فكرة عن موجود لا يمكن أن يُتصور موجوداً أعظم منه، وهذه حقيقة إيمانية يقدمها لنا الإيمان ويجعلنا نؤمن بها، ويترتب علينا أن نثبت أن هذه الفكرة الموجودة في العقل موجودة أيضاً في الخارج، إذ ورد «أن الأحمق قال في قلبه: لا يوجد إله»[٩]، وسنوضح للأحمق هنا أنه يناقض نفسه في قوله هذا؛ لأن الله هو الموجود الذي لا يُتصور أعظم منه، والأحمق يعرف ذلك؛ ومن ثَمَّ ففي عقله على الأقل موجود بحيث لا يتصور أعظم منه، لكن ما لا يتصور أعظم منه لا يمكن أن يوجد في العقل فقط؛ لأن باستطاعتنا أن نتصور موجوداً مثله متحققاً في الواقع أيضاً؛ ومن ثَمَّ سيكون الأخير أعظم من الأول وأكثر كمالاً منه، وتكون النتيجة أن ما لا يتصور أعظم منه يمكن تصور أعظم منه وهذا خُلف؛ إذن يوجد ــ من غير شك ــ في العقل وفي الواقع موجود بحيث لا يتصور أعظم منه، وسبب إنكار الأحمق وجود الله ووقوعه في الخُلف كونه يلفظ في قلبه اسم الله من دون تعقل معنى ما أو مع تعقل معنى آخر[١٠].

ويحاول أنسلم إيضاح حالة التصور عن طريق ضرب مثال مشابه ــ بحسب اعتقاده ــ فيصرح بأن حال الإنسان الذي يتصور موجوداً لا يمكن تصور موجود آخر أعظم منه حال الفنان الذي يتصور في عقله أولاً اللوحة التي سيرسمها، وفي أثناء تصوره لها يعلم أنها موجودة في عقله فقط من دون أن تكون موجودة في الخارج، لكن إذا استطاع تحقيقها في الخارج فسيعلم بأن لها وجودين: الأول عقلي، والثاني خارجي، فإن قلنا عن كائن إنه موجود في الخارج إلى جانب وجوده في العقل؛ فإن هذا القول يضيف إلى الكائن صفة كمال أكبر[١١].

عارض جونيلون[١٢] هذا الدليل لكونه لا يقنع من ينكر وجود الله، فأنسلم يوجه هذا الدليل إلى المؤمن بوجود الله من قبل، ويتصور أنه يحاول إثبات وجود الله لمن لم يؤمن به بعد مع أن المشكلة تكمن في معرفتنا بالله وتصورنا له، فلا يمكننا معرفة الله تماماً أو الإحاطة به إلا بالنوع أو الفصل القريب، والله أسمى من أن نحوطه بتصوراتنا المحدودة، وقد أخطأ أنسلم حين تصور وجود تناقض بين «ما لا نستطيع تصور أعظم منه» وبين عدم وجوده، فالتصور الأول مجرد إمكانية عقلية مثل تصور وجود الجزيرة الكاملة، أما الوجود الواقعي فلا يثبت إلا بالتجربة والمشاهدة، ولا يتحول الفكر إلى وجود إلا من خلال الفعل، ولا تصير الإمكانية واقعاً إلا من خلال الجهد، ولا يمكن للرسام ــ كما يدعي أنسلم ــ أن تكون لوحته موجودة بالفعل بمجرد وجودها في عقله قبل أن يرسمها، أي أن فعل الفنان وسيلة تحقيق هذه اللوحة من الخيال إلى لوحة موجودة بالفعل[١٣].

ويـرى جونيلـون أنه مـن غيـر الصحيح إثبات وجود أشـياء نتيجة تصـورات عقلية، إذ لا يكفـي تصـور الماهيـة ليتم إثبـات الوجود، فالوجود شيء والماهية شيء آخر؛ لأن الماهية تصـور ولا صلة له بالخـارج إذا نظر إليه في ذاته، ويتفق أنسـلم مع جونيلون في أن ليس كل ما يمكـن تصوره يوجد بالفعـل، فليس الوجود عين الماهيـة في كل الأحوال، لكن الوجود عين الماهيـة في حالة واحـدة هي حالة الله أو الكائن الذي لا يمكن تصور كائن أكبر منه[١٤].

وللتأكيد في أن أنسلم انطلق من عقله المؤمن وليـس من عقله المجرد؛ نجده يطالب جونيلون بالعـودة إلى ضميره وإيمانه ليلاحظ في نفسـه أنه يعقـل الله على أنه الموجود الذي لا يتصور أعظم منه، ثم يـردف ذلك بجواب ثانٍ يتلخص فـي أن معرفة الله بالتشـبيه والتمثيل ممكنة، إذ قـال القديس بولـس[١٥]: «إن كمـالات الله غير المنظورة تتـراءى للعقل في المنظورات»[١٦]، وهناك فارق ــ بحسب وجهة نظر أنسلم ــ بين أعظم الأشياء الموجودة وبين الموجود الذي لا يتصـور أعظـم منه، ذلك الفـارق يكمن في أن أعظم الأشـياء الموجودة يتمثل بموجود نسبي؛ ومن ثَمَّ يكون ذلك الموجود مفتقراً لشـيء آخر كي يوجد، في حين أن الموجود الذي لا يتصور أعظـم منه مطلق؛ ولـذا كان موضـوع الدليل وواسـطته في آن واحـد، فالجزيـرة الكاملة لا تتضمن ضرورة ذاتية للوجود، لكن الانتقال من الوجود في الفكر إلى الوجود في الواقع ممكن، بل ضروري في حالة واحدة هي حالة الموجود الـذي لا يتصـور أعظم منه، فكل شـيء يمكن تصوره غير موجود في الواقع ما خلا الله[١٧].

يرى كثير من الفلاسفة أن جواب أنسلم يمثل مصادرة علـى المطلـوب الأول، فنقطة الابتداء تمثل نقطة الانتهاء، وأيدوا بذلك موقف جونيلون، في حين نجد أن فلاسفة آخرين أيدوا موقف أنسلم، والانقسـام في الرأي ما بين مؤيد ومعارض ناتج بحسب انقسـام المذاهب الفلسفية، فالمذاهب التي تجعل الوجود ممثلاً بوجود الماهيات وتصرح بأن الماهيات أشـرف مراتب الوجود هي التي تؤمن بمثل هذا الدليـل، أما المذاهب الأخرى فهي التي لا تجعل مـن الوجود العقلي دليـلاً على الوجود الخارجي فتصـرح بأن في الدليـل خطأ منطقي ممثلاً بالمصادرة على المطلوب الأول[١٨].

ومما سـبق يتضـح لنـا أن جواب أنسـلم يعتمـد على الجدل العقلـي؛ لذلك ظل اعتراض جونيلون قائماً، فالطريقة التي اسـتعملها أنسـلم في الرد على جونيلون لا تؤدي إلى شـيء لأن اعتراض الأخير وجودي لا منطقي، ورد الأول جدلي منطقي يريـد أن يثبت بالحجج العقلية ما ينفيه جونيلـون أصلاً مع أن الحجج لا تثبت أو تنفي إلا حججاً مثلها ويمكن تفنيدها كلها عقلياً، فالعقل قادر على كل شـيء ما دام اتساق الفكر مع نفسـه هـو مقيـاس صدقه، وتلـك خطورة الجدل التي شـعر بها خصومـه، إذ من الممكن قلب الحق باطلاً والباطل حقاً بحجج سـليمة ما دامت قائمة على اتسـاق الفكر مع نفسه، وعلى مبادئ العقل الأولى مثل مبدأ الهوية، ومبدأ عدم التناقض، حتى لو اتبع أنسلم طريقة التفرقة بين مفهوميـن قد تـم الخلـط بينهما عـادة مثل هذه التفرقة التي يقيمها بين الفهم والتفكير، إذ يمكن عـدم فهم وجـود الله لكن لا يمكن عـدم التفكير فيه، فإن هذه الطريقة لا تخرج عن الجدل الذي يدور حول نفسه مرة واحدة[١٩].

وبالمقابل نلاحظ أن العنصر الموجود في فكرة الله والذي تفتقده فكرة الجزيرة الكاملة هو وجوب الوجود، فالجزيرة أو أي موجود مادي آخر جزء من عالم الإمكان، والجزيرة الكاملة حين تكون جزيرة حقيقية (قطعة من اليابسة محاطة بالمياه) يمكن تصور عدمها من دون الوقوع في أي تناقض؛ لذا لا يمكن لمبدأ أنسلم أن ينطبق عليها؛ لأنه ينطبق فقط على الموجود الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه، والذي يعرف أنه ذو وجود أزلي ومستقل (واجب الوجود)[٢٠].

إن فكرة الله التي أُقيم عليها الدليل الوجودي مستفادة من الإيمان، وسبق أن طلب أنسلم من الله أن يوفقه ليتبين صورة الله التي كانت مطبوعة في الإنسان قبل أن تمحوها الخطيئة، بالمقابل نجد أن اعتراض جونيلون عليه ناشئ من ترك هذا الموقف والتمييز بين المعرفة الطبيعية والمعرفة الإيمانية، في حين أن الرأي عند أنسلم يتمثل في أن فكرة الله مشتركة بين المؤمن وغير المؤمن لأنها مطبوعة في الإنسان بالوحي الأول، وفي هذه الحالة لا يكون الدليل دليلاً بمعنى الكلمة، بل مجرد تفسير لاسم الله[٢١].

ثالثاً: ــ القديس بونافنتورا [٢٢]:

يصرح بونافنتورا بأن وجود الله وجود واضح بنفسه، لكن مع ذلك توجد مجموعة من المسائل يجب أن تدرس قبل أن تظهر هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح، وأولى تلك المسائل متمثلة بوجود أخطاء ثلاثة تنشأ من عملية تصور فاسدة أو برهنة ناقصة أو نتيجة غير حقيقية، فإذا تصور الإنسان ــ مثلاً ــ الله تصوراً فاسداً أدى ذلك إلى عدم إدراكه لحقيقة الله، والذين وقعوا في هذا الخطأ هم أولئك الوثنيون الذين تصوروا الله بوصفه كائناً سامياً ينبئ عن المستقبل؛ فلما وجدوا أوثاناً تنبئهم عن المستقبل آمنوا بها، ونجد هناك من نظر إلى وجود النقص والشر في العالم فاستنتج عدم وجود علة مدبرة، وهناك من اقتصر على العالم المعيش فقصر عن إدراك الله، تلك هي الأخطاء التي تجعل فكرتنا عن الله غير واضحة[٢٣].

وللبحث في إمكانية معرفة الله نجد بونافنتورا يصرح بوجوب التفرقة بين الإحاطة والإدراك، فالإحاطة بشيء ما معناها أن يكون الإنسان في مستوى الشيء المطلوب معرفته فيدركه تمام الإدراك ويحيط به علماً من جميع نواحيه، أما الإدراك فهو أن تصبح حقيقة الشيء واضحة للنفس حاضرة فيها، فإذا نظرنا إلى حقيقة الله وجدنا إمكانية إدراكها، وعدم إمكانية الإحاطة بها، فالمعرفة قياساً إلى الله ممكنة بوصفها إدراكاً لا إحاطة، والمقصود بالإدراك ليس أن يدرك الإنسان حقيقة الله كاملة، إنما المقصود أن يدرك الإنسان وجود الله، فيجب إذن أن نفرق بين إدراك الماهية، وإدراك الوجود، فالإدراك قد يقصر عن حقيقة ماهية الله، لكنه لا يمكن إلا أن يدرك وجود الله[٢٤].

أما الأدلة التي طرحها بونافنتورا لإثبات وجود الله فهي على النحو الآتي[٢٥]:

دليل الفطرة: يقوم هذا الدليل على وجود فكرة الله بالفطرة في العقل الإنساني، فالإنسان بفطرته لا يمكن إلا أن يدرك وجود هذا الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه، لكن كيف يمكن أن تكون فكرة الله فطرية في العقل الإنساني مع وجود وثنيين وما يمتلكونه من تصور خاطئ عن الله؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نبدأ بالتفرقة بين إدراك وجود الله، وإدراك طبيعته، فوجود الله حقيقة موجودة بالفطرة، أما إدراك طبيعة

الله فيأتي عن طريق الاكتساب، ويختلف الناس في إدراك هذه الطبيعة، فالناس جميعاً لديهم فكرة عن الله، لكنهم يختلفون في طبيعة الله من حيث صفاته وماهيته، ويفسر بونافنتورا عبارة يوحنا الدمشقي[٢٦] «لا يوجد فانٍ لا يمكن أن يدرك وجود الله بنفسه وبطبيعته»، بأن المعرفة فطرية في الإنسان، وعلى الرغم من أن هذه المعرفة ناقصة؛ لكنها تشير إلى وجود الله، وهي فطرية فينا، ولتوضيح هذا الأمر نتوجه صوب الرغبات، فنجد أن لدينا ــ مثلاً ــ رغبة في الحكمة، وهذه الرغبة تتعلق بأكبر حكمة، فكأن لدينا نزوعاً طبيعياً نحو الحكمة الكبرى، ولا يمكن أن يعشق الإنسان شيئاً من دون أن يكون هذا الشيء موجوداً؛ فهناك إذن موضوع لعشق الإنسان وهو الحكمة العليا، وهذا موجود بالفطرة في الإنسان، كما أن لدينا جميعاً نزوعاً نحو السعادة أو نحو الخير، وهذا النزوع لا يقتصر على الخير كائناً ما كان، بل يرتفع إلى الخير الأسمى؛ فلدينا إذن نزوع فطري نحو الخير المطلق، ومعنى ذلك أن لدينا نزعة فطرية نحو الحكمة العليا، ونحو الخير المطلق وغيرها من الصفات المطلقة، وهذه الأشياء ومثيلاتها أسماء لشيء واحد هو الله، فكأن فكرة الله موجودة في عقولنا بالفطرة، والله معقول حاضر في معقول متمثل بالعقل الإنساني.

دليل العلة الفاعلة: يقوم هذا الدليل على المحسوسات مرتفعاً إلى المعقولات حتى يصل إلى المعقول الأول، ويمكن أن تكون نقطة البدء ممثلة أي شيء في العالم الواقعي، ويُعد الوجود كله فناء، والفناء جوهر مكوّن للوجود، بمعنى آخر أن الفناء من ماهية الوجود، وليس الفناء مقتصر على شيء دون آخر، فنحن نجد أمامنا كائناً فانياً بوصفه حادثاً؛ ويدل هذا على وجود مُحدث، ونجده كائناً فانياً بوصفه مركباً؛ وهذا يؤذن بوجود البسيط، لأن التركيب معناه انتفاء البساطة، ونجد كائناً فانياً بوصفه متغيراً؛ وهذا يفترض وجود كائن ثابت، لأنه لا وجود للمتغير إلا بوصفه متعلقاً بشيء ثابت؛ لأن كل حركة لا بد أن ترتكز على ثبات، فاليد المتحركة ترتكز على الكوع، وبالجملة فإن الحركة والتغير يقتضيان الثبات ضرورة، وهذه الأشياء جميعها تستلزم وجود كائن يمثل العلة الفاعلة التي تمتاز بالبساطة والثبات وهو الله.

الدليل الوجودي: يستند هذا الدليل إلى أننا إذا فهمنا حدود المبادئ الأولى للوجود فهمنا في الحال وجوبها، أي أن المحمول لازم للموضوع لزوماً قطعياً، حيث إن المحمول يكون متضمناً بالضرورة في الموضوع، فحين نقول «إن الله موجود»، فإن هذه العبارة من نوع المبادئ الأولى؛ لأن فكرة الموجود الذي لا يمكن تصور موجود أعظم منه تستلزم قطعاً وجود هذا الكائن، فالعبارة «الله موجود» يمكن أن تُعد من نوع المبادئ الأولى؛ لأن المحمول فيها متضمن في الموضوع من حيث أنه لا يمكن تصور الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه غير موجود.

ويقوم الدليل الثالث على فكرتين: الأولى ضرورة موضوع المعرفة، وهذه الحالة متحققة قياساً إلى الله وحده، فهو الكائن الذي يمكن أن يقال عنه وحده «إنّه موضوع ضروري للمعرفة»، ولا يمكن الاعتراض على هذا بفكرة الجزيرة الكاملة؛ ذلك لأن التعريف في حالة الجزيرة الكاملة متناقض بينما هو غير متناقض فيما يتعلق بالله، بل هو منطقي؛ لأن الله سرمدي غير قابل للحدوث ولا للتغير وهو بسيط، بينما الجزيرة على عكس ذلك، فالفارق واضح بين الحالتين، أما الفكرة الثانية فتتمثل

بضـرورة الانتقـال الطبيعـي مـن الماهية إلى الوجـود، وهـذه الحالـة متحققة قياسـاً إلى الله وحـده، وقد اعترض بعض الفلاسـفة على هذا الدليل مـن حيث وجود انتقالة مـن الماهية إلى الوجـود من دون مسـوّغ، غيـر أن بونافنتورا يصـرح بعدم وجود هـذه الانتقالة؛ لأن الماهية حاضرة في العقل بوصفها ممثلة للوجود، وعلى ذلك لا يوجد انتقال من إله وجوده ضروري إلى إله موجود بالضرورة[٢٧].

رابعاً:ـ القديس توما الأكويني [٢٨]:

وعند الانتقال إلـى الأكويني نجده يعتقد أن وجـود الله ليس واضحاً بذاتـه؛ لذلك يحاول أن ينقـض أقـوال القائليـن بهذا الأمـر، وهم على النحو الآتي[٢٩]:

طائفـة تصرح بـأن وجـود الله فطري في الإنسـان وعلى رأسـهم يوحنا الدمشـقي، لكن هـذا القـول باطل؛ ذلـك لأن من النـاس من لا يقولون بوجود الله، كذلك لأن الموجود بالفطرة في نفس الإنسـان ليس وجـود الله، بل المبادئ التقليدية التي يسـتطيع أن ينتقل منها إلى إثبات وجـود الله، فليس الوجود إذن هو الفطري، إنما المبادئ العقلية التي يستدل بها على وجوده.

طائفة تصرح بأن وجود الله واضح بنفسـه؛ لأن كل إنسـان منـا يسـعى نحو السـعادة، والله هو الغاية التي بها تتحقق السـعادة، فكل منا إذن يسـعى نحو الله، ويقول بوحدة الوجود، ويجيب الأكوينـي على هذا الأمر بقوله، إننا على الرغم من كوننا نسعى نحو السعادة لكن الناس مختلفون في معرفة حقيقة هذه السـعادة، فمنهم من يظنها الثروة، ومنهم من يظنها الذات، ومنها من يظنها الله، فليس بصحيح أن مجـرد وجود الرغبة في السعادة يؤذن بضرورة الإيمان بوجود الله.

طائفة يثبتون وجـود الله عن طريق التمعن فـي فكرة الله، إذ لا بـد من القول بـأن الوجود والماهية شـيء واحد فيمـا يتصل بالله؛ لأن الله هـو الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه، والوجـود فـي العقـل والخارج معـاً أعظم من الوجود فـي العقل فقط، فالكائـن الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه لا بد أن يوجد في الخارج والعقـل معاً، فكان جواب الأكوينـي موافقاً لما صرح بـه جونيلون من أنه مـن غير الصحيح أن يكـون مجرد الوجود في العقل معناه الوجود في الخارج وإلا لاستطعنا باستمرار أن نتصور كائنـاً يعلو كلما وجدنا كمالاً جديداً نسـتطيع أن نضيف إليه، ومن ناحية أخرى يلاحظ أنه ليس بصحيح كذلك أن كل إنسـان فكرته عن الله هي أنـه الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أعظم منه، فإننا نجد من بين هؤلاء الذين يذكر لنا الدمشقي أراءهـم عـن الله من يقولـون إن الله هو العالم، بـل إننـا لا نجد واحـداً ذكر الدمشـقي تصوره لله يعـرف الله هذا التعريف الذي قال به أنسـلم وغيـره، فمـن مجرد تصـور الله لا ينتج القول بأنه قياس إلى الله الماهية والوجود شيء واحد.

طائفة تبرهن على أن وجود الله واضح بذاته عن طريق فكـرة الحقيقة، فيقولون إنه مهما قلنا فإننا في أي قول نقوله نقول بوجود الحقيقة، فإذا قلنـا إن الحقيقة موجودة فمعنى هذا إننا نقول من الحـق أن الحقيقـة موجـودة، وإذا أنكرنا وجود الحقيقـة فإننـا نقول من الحق أن الحقيقة ليسـت موجـودة، وأيّاً ما كان فإننا نقول دائماً من الحق، ومجـرد قولنا من الحق يدل على وجود الحقيقة، فالحقيقـة إذن موجودة، والله هو الحقيقة؛ إذن الله موجود وموجود وجوداً واضحاً بذاته؛ لأن وجود

الحقيقة واضح بذاته قياساً إلى الإنسان، والله هو الحقيقة؛ لأن الله يقول[٣٠]: «أنا الطريق والحقيقة والحياة»، ويجيب الأكويني عليهم بقوله، إنه إذا كان الأصل صحيحاً فليست المقدمة الصغرى صحيحة من الناحية العقلية؛ ذلك أن قولنا «إن الله هو الحقيقة» يُعد قولاً غير مأخوذ من العقل، بل مأخوذاً من الوحي، فأوراق اعتماده مأخوذة من ميدان خارج نطاق العقول؛ ومن ثَمَّ ليس القول بوجود الله واضحاً بذاته عقلياً.

مما تقدم أعلاه يستنتج الأكويني أن القول بوجود الله ليس واضحاً بذاته، بل توجد من الأسباب ما يجعل هذا القول عسيراً في النظر، إذ يلاحظ أولاً أن من الناس من لا يستطيعون بعقولهم أن يصلوا إلى إدراك الله، وثانياً يلاحظ ــ استناداً إلى نظرية المعرفة عند أرسطو[٣١] ــ أن كل معرفة تنشأ من الحس فلا بد أن تكون نقطة الابتداء دائماً هي الحس، والحس لا يستطيع أن يصل إلى إدراك المعقول إدراكاً تاماً، والله معقول صرف، وكل خاصية تضاف إلى شيء فيجب أن تكون تابعة في درجة تحديدها لدرجة معرفتنا بالماهية، وماهية الله فوق كل إدراك لأنها معقولة صرفة، بينما إدراكنا مشارك للمحسوس والمعقول؛ فلن نستطيع إذن أن ندرك ماهية الله الإدراك الكامل؛ ومن ثَمَّ لا يستطيع الحس أن يصل إلى إدراك ماهية الله تماماً، إنما يجب علينا الارتفاع من المحسوس إلى المعقول من أجل بيان وجوده لا من أجل بيان ماهيته، وهكذا نجد الأكويني يقول من ناحية إن وجود الله ليس واضحاً بذاته، ومن ناحية أخرى يجب أن نبدأ من المحسوس لأن كل معرفة تنشأ من المحسوس كما صرح بذلك أرسطو، وهذه المعرفة البادئة من المحسوس لا يمكن أن تصل إلى إدراك المعقول التام في ماهيته، إنما كل ما تستطيع أن تصل إليه هو القول بوجود هذا المعقول، وسنجد أن هناك هوة لم يفطن لها الأكويني أو لم يشأ أن يبين لنا أنه فطن لها لأسباب دينية، وهي أنه إذا كان يقول إن المحسوس لا يمكن أن يرتفع إلى المعقول أو إذا ارتفع إلى المعقول فكأنه يقول بوجوده، فلا يمكن أن يتيقن بأن هذا المعقول هو الله، فإنه لا يمكن البرهنة على وجود الله بطريقة عقلية، لكن الأكويني لم يستبح لنفسه هذه النتيجة، إنما اقتصر فقط على القول بأن إثبات وجود الله ممكن بالطرق العقلية ابتداءً من الوجود المحسوس؛ ولهذا كانت أدلته في إثبات وجود الله تبدأ من المحسوس لكي يرتفع إلى الله[٣٢].

بعدما حاول الأكويني نقد آراء الطوائف الفكرية المتعلقة بإثبات وجود الله، انتقل لطرح أدلة بديلة لإثبات وجود الله مستقاة من العالم المحسوس، وقد طرحها في كتابه الخلاصة اللاهوتية بشكل موجز وعلى النحو الآتي[٣٣]:

دليل الحركة: من المحقق الثابت بالحس أن في عالمنا هذا أشياء متحركة، وكل متحرك فهو يتحرك من آخر؛ لأنه ليس يتحرك شيء إلا من حيث كونه بالقوة إلى ما يتحرك إليه، وإنما يحرك شيء من حيث كونه بالفعل، إذ ليس التحريك سوى إخراج شيء من القوة إلى الفعل، وإخراج شيء إلى الفعل لا يمكن أن يتم إلا بموجود بالفعل، كما أن الحار بالفعل مثل النار يجعل من الخشب الحار بالقوة حاراً بالفعل، وبذلك يحركه ويغيره، لكن لا يمكن لشيء واحد بعينه أن يكون بالقوة وبالفعل معاً من جهة واحدة، بل من جهات عدة؛ لأن ما هو حار بالفعل لا يمكن أن يكون من الجهة نفسها حاراً بالقوة أيضاً، بل هو من هذه الجهة بارد بالقوة؛ ومن ثَمَّ لا يمكن أن يكون شيئاً محركاً

ومتحركاً فـي آن واحد، أي محركاً لنفسـه من جهـة واحـدة؛ لذا فـإن كل ما يتحـرك لا بد أن يتحرك من آخـر، وإذا كان هذا الآخر متحركاً فـلا بـد أن يتحـرك من آخـر، وهنـا لا يجوز التسلسل إلى غير نهاية وإلا لم يكن محركاً أول ولـم يكن محركاً آخر؛ لأن المحركات الثانية لا تحـرك إلا بما هي متحركة من المحرك الأول، كما أن العصا لا تحرك إلا بما هي متحركة من اليـد؛ ومن ثَمَّ لا بد من الانتهاء إلى محرك أول غير متحرك من آخر وهو الله.

دليـل العلـة الفاعلـة أو المؤثـرة: نجد في المحسوسات المشاهدة ترتيباً بين العلل المؤثرة، ولا يرى مع ذلك أن شيئاً يكون علة مؤثرة لنفسه للزوم وجوده قبل نفسـه وهذا محال، والتسلسل ممتنع في العلـل المؤثرة؛ لأن الأول بين جميع العلل المؤثرة المترتبة هو علة الوسط، والوسط علة الأخير سواء كان ثمة وسط واحد أو أوساط كثيـرة، لكنه إذا ارتفعت العلـة ارتفع المعلول؛ ومن ثَمَّ لو لم يكن في العلل المؤثرة أول لم يكن فيها أخير ولا وسط، ولو تسلسلت العلل المؤثرة لـم يكن علة أولى مؤثرة فلـم يكن معلول أخير ولا علل مؤثرة متوسـطة، وهـذا بيّن البطلان؛ فلا بد إذن من إثبات علة مؤثرة أولى وهي التي يسميها الجميع الله.

دليل الممكن والواجب: إننا نجد في الأشياء مـا يمكـن وجـوده وعدمـه، إذ منها مـا يرى معروضـاً للكـون والفسـاد؛ ما يعنـي إمكانية وجـوده أو عدمـه، وكل مـا كان كذلـك فيمتنع وجـوده دائمـاً؛ لأن مـا يمكـن أن لا يوجد فهو معـدوم في حين ما، فإذن لـو كان عدم الوجود ممكنـاً في جميع الأشـياء للزم أنـه لم يكن حيناً ما شـيئاً، ولو صح ذلك لم يكن الآن أيضاً شيئاً؛ لأن مـا ليـس موجـوداً لا يبتـدئ أن يوجد إلا بشـيء موجود، فإذن لو لم يكن شـيء موجوداً لاسـتحال أن يبتـدئ شـيء أن يوجـد فلم يكن الآن شـيء وهـذا بيّـن البطلان؛ فإذن ليسـت جميـع الموجـودات ممكنة، بل لا بـد أن يكون في الأشياء شـيء واجب، والواجب إما واجب بذاته أو بغيره والتسلسـل في الواجبات بغيرها مسـتحيل كاسـتحالته في العلل المؤثرة على ما مر في الدليل السـابق؛ ومـن ثَمَّ لا بد من إثبات شـيء واجب بذاته وليس واجباً بعلة أخرى، بل غيره واجب به، وهذا ما يسميه الجميع الله.

دليـل التدرج فـي الكمـالات أو في مراتب الوجود: نلاحظ في الأشـياء تفاوتـاً في الأكثر والأقل من حيث الخير والشـرف والحق ونحو ذلـك، والأكثر والأقل يقالان على أمور مختلفة بحسـب اختلافها في القرب إلى ما هو غاية في شيء، كما أن ما كان أقرب إلى ما هو غاية في الحرارة فهو أحر؛ ما يؤدي إلى أن من الأشـياء مـا هو غاية في الخير والشـرف والحق وهكذا غايـة فـي الوجود، لأن مـا كان غاية في الحق فهو غاية فـي الوجود، وما كان غاية في جنس فهو علة لكل ما ينـدرج تحت ذلك الجنس، كما أن النـار التـي هي غاية في الحـرارة علة لكل حـار؛ ومن ثَمَّ يوجد شـيء يكـون بمنزلة علة لمـا في جميع الموجودات من الوجود والخيرية وسائر الكمالات وهذا ما نسميه الله.

دليل وجـود النظام أو التدبيـر: نرى بعض الموجـودات الخالية من المعرفـة مثل الأجرام الطبيعية تفعل لغايـة، وهذا ظاهر من أنها تفعل دائمـاً أو في الأكثر على نهج واحد إلى أن تدرك النهاية في ذلك، وبهذا يتضح أنها لا تدرك الغاية اتفاقـاً بل قصداً، على أن ما يخلو من المعرفة لا

يتجه إلى غاية ما لم يسدد إليها من موجود عارف وعاقل كما يسدد السهم من الرامي؛ ومن ثَمَّ يوجد موجود عاقل يسدد جميع الأشياء الطبيعية إلى الغاية وهو الذي نسميه الله.

يُعد الدليل الأول (دليل الحركة) في نظر الأكويني أهم الأدلة في مسألة إثبات وجود الله من حيث أنه استطاع عن طريق هذا الدليل أن يستنتج أهم صفات الله، فالبساطة والفعل المحض والثبات تستنتج مباشرة من كون الله محركاً أول، فالله فعل محض لكونه محركاً أول؛ ومن ثَمَّ لا توجد فيه قوة وإلا لما وجد شيء، وإذا كان فعلاً محضاً فهو بسيط؛ لأن مبدأ التركيب يأتي من خلال وجود القوة أو الهيولى، فضلاً عن كون الدليل يشير إلى المحرك الذي لا يتحرك، أي المحرك الثابت، والتغير ينشأ عن وجود القوة، فما يكون خالياً من القوة يكون غير قابل للتغير؛ ما يؤدي بالنتيجة إلى أن صفات الله الرئيسة يمكن استنباطها من كون الله محركاً أول.

يُلاحظ وجود تشابه بين الدليل الأول (دليل الحركة) مع الثاني (دليل العلة الفاعلة) من حيث أن دليل الحركة يشاهد حركة فيبحث عن علتها، والدليل الثاني يشاهد وجود فيبحث عن علته، فطابع العلية موجود في كلا الدليلين الأول دليل علية الحركة، والثاني دليل علية وجود، ويلاحظ كذلك على الدليل الخامس (دليل وجود النظام) قيامه على أساس تصور العلل مرتبة ترتيباً تصاعدياً بعضها قياساً إلى بعض، أعني أن العلل كما هي الحال في المتحركات والمحركات تترتب فيما بينها وبين بعض ترتيباً عمودياً لا ترتيباً أفقياً، فالعلل المرتبة ترتيباً أفقياً يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية، بل الفلسفة تقول بذلك في الواقع، وكذلك الحال في العلل المحركة المرتبة ترتيباً أفقياً، ومن هنا فإن هذا الدليل القائم على الحركة يصح أيضاً مع قولنا بأبدية الحركة وأزليتها؛ وذلك لأن الأبدية والأزلية هنا أبدية وأزلية أفقيتان، لكن من حيث التعامد والتصاعد لا بد من الوقوف عند حد معين ليكون بمنزلة الحد الأول، ففي حالة الحركة إذا نظرنا إلى العالم نظرة عمودية أعني من حيث ترتيب الحركات بعضها قياساً إلى بعض ترتيباً تصاعدياً من حيث تحريك للآخر تحريكاً عمودياً، فإننا نجد حينئذ أنه لا بد من الوقوف عند حد أول يكون المحرك الأول، وكذلك في حالة العلية إذا نظرنا إلى الكون بوصفه مرتباً أعني أن للوجود مراتب، فالحجر في مرتبة دنيا ويعلو عليه الإنسان ثم العقل الفعال ثم الملائكة، وأخيراً فوق القمة الله، نجد هنا تسلسلاً تصاعدياً مستمراً لا بد أن يقف عند حد أول، لكن من الناحية الأفقية توجد إمكانية للاستمرار في التسلسل، فمثلاً في مرتبة النوع الإنساني يوجد ما لا نهاية له من أفراد الإنسان، وفي الحركة يصح أن تكون أزلية أبدية، بل والعقل يقضي بذلك إن لم يقل به النقل، والخلاصة أن كل من الدليل الأول والثاني يقوم على فكرة أن كل مرتب ترتيباً جوهرياً لا بد أن يكون مرتباً ترتيباً تصاعدياً [٣٤].

انتقد كثيرون الدليل الرابع (دليل التدرج في الكمالات)، إذ صرحوا بأن هذا الدليل ينتقل من التصور أو من الماهية إلى الوجود على نحو ما فعل الأوغسطينيون في الدليل الوجودي للبرهنة على وجود الله؛ لأن الأكويني ينتقل مما هو حق مطلق إلى ما هو موجود مطلق، ومما هو نبل مطلق أو خير مطلق إلى ما هو موجود مطلق، لكن الحق تصور عقلي وليس وجوداً، كذلك الحال في الخير المطلق والنبل المطلق، فكيف

يحـق للأكويني أن ينتقل من الماهية إلى الوجود مـع أننا رأينـاه قد نقـد بعنف الدليـل الوجودي عند أنسـلم وبونافنتورا؛ لهذا اختلف الشراح في تفسيرهم لهذا الدليل وقيمته من الناحية التوماوية، ولا سـيما أن الأكويني يقـول إن من الواجب أن نبـدأ دائمـاً مـن المحسـوس، وإن الانتقـال من الماهيـة إلى الوجود لا يمكـن أن يتم عن طريق المعرفة من المحسوس، وعلى كل حال فإننا نجد أن الأكويني صاحب نزعة أوغسطينية واضحة، ومهما قيل في إيجاد مسـوّغ عكس هذا لا يمكن أن ينكر أننا في هذه الحالة سننتقل من الماهية إلى الوجود من مجرد إدراكنا للماهية [٣٥].

يتضـح لنا مما تقدم من أدلـة الأكويني أنها تتميز بسـمات معينـة تجعله يفتـرق تماماً عن الفلاسفة المسيحيين الذين سبقوه مثل [٣٦]:

سـاد عند الفلاسـفة المسـيحيين ابتداءً من أنسـلم الدليل الوجودي، وهو الدليل الذي يثبت وجود الله ابتـداءً من ماهية الله التي نتصورها، بيـد أن الأكويني قـد أدرك أن العلم يقتضي أن نبتدئ من المحسوس والمنظور لنرتقي منه إلى غير المنظور، فالمحسوس هو نقطة البداية في كل معرفة حقة.

السمة الثانية التي تميز أدلة الأكويني متمثلة في كونها تفترض جميعها العلية، فإذا سـقطت مصـادرة العلية سـقطت الأدلة كلهـا، وتاريخ الفلسفة يشهد بوجود من أنكر مبدأ العلية، سواء من الفلاسفة المسلمين أو من الفلاسفة المحدثين.

السمة الثالثة هي أن الأدلة جميعها ولا سيما الدليلان الأول والثاني تفترض أن الأشياء مرتبة ترتيبـاً تصاعدياً ومتوقفـة بعضها على بعض، بحيث أن الابتداء من أدناها لا بد من أن يؤدي بنا في نهاية المطاف إلى مبدأ أول هو الله.

السـمة الرابعـة متمثلة فـي أن اجتماع هذه الأدلة معاً يعطينا فكرة شـاملة عن الله من حيث هـو المحـرك الأول الـذي لا يتحـرك، والعلة الفاعليـة الأولـى، والموجـود الواجـب بذاته، والكامل مصدر كل كمال، والمنظم لهذا العالم.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من سـرد أهـم ما جاء في كتب الفلسفة واللاهوت من آراء بشأن إثبات وجود الله في الفلسفة المسيحية إبّان العصر الوسيط، سنحاول إبداء رؤيتنا الشـخصية في التعقيب على ما جاء سـلفاً، مع الأخذ بالحسـبان عملية الاختزال التي مارسناها في سـرد الآراء كانت بسبب محدودية صفحات البحث الأكاديمي، فضلاً عن أن مسـألة اختيارنا لشـخصيات محددة دون غيرها في تلك الحقبة الزمنية يعود إلى أن تلك الشخصيات أدلت بدلوها بشـأن موضوع البحث قيد الدراسة وكان نتاجهم واضحاً أكثر من غيرهم.

ونبتـدئ أولاً بالتعقيب علـى ما جاء من آراء بشأن أوغسـطين، فنجد أن نقطة الانطلاق عنده في إثبات وجـود الله المتمثلة بالدليل الأول (دليل الإشـراق)، كانت من نابعة من النفس الإنسـانية أو العقل الإنسـاني من خلال التحري عن وجود حقائق ثابتة، ثم الصعود في سـلم التسامي للبحث عـن علة تلك الحقائق؛ لأن علة الكليات لا يبحث عنهـا في عالم الجزئيات، لنصـل في النهاية إلى الله السـرمدي الكلي، أما في الدليـل الثاني (دليل العلة الفاعلة)، نجـد أن الانطلاقة كانت من عالم الجزئيات، وملاحظة عملية التغير التي تطرأ على الأشياء، ثم الصعود مرة أخرى في سلم التسامي؛ للبحث عن علة التغير في عالم الثبات؛ لأن البحث في سلسـلة العلل بصورة أفقية سـوف لن يفضي بنا إلى علة نهائية، في حين أن البحث في سلسـلة

العلل بصورة عمودية لا بد أن يقف عند علة أولى ثابتة تكون بمنزلة علة التغير في عالم الجزئيات وهي تمثل الله، في حين نجد أن نقطة الانطلاق في الدليل الثالث (دليل النظام) تمثلت في عملية استنطاق لما موجود في العالم الخارجي من إبداع وتنظيم وتصميم وتدبير، وقد أشار أوغسطين في كتابه «الاعترافات» إلى مواطن كثيرة تعبر عن مساءلة الطبيعة عمن خلقها؛ لتكون الإجابة متوجهة نحو الله المبدع والمدبر لكل شيء.

ومما سبق نستنتج أن أوغسطين كان ذو نزعة مثالية صوفية عن طريق استكشافه لمجموعة من الثوابت في نفسه التي لم تأتِ إليه اكتساباً، إنما وُهبت له عن طريق الله، وفي الوقت نفسه ذو نزعة واقعية من خلال استقراء الجزئيات للوصول إلى الكلي، فضلاً عن التحري عن المؤثر (المبدع) من خلال تقصي الآثار، لكن هل يا ترى كانت عمليات الاستكشاف والاستقراء والتحري التي قام بها أوغسطين مجردة عن الإيمان، وهو السائر على طريق «أؤمن كي أتعقل»؟! هذه النقطة التي ظُلم بها أوغسطين من لدن الباحثين، إذ أولوا كل تحرٍ وتقصٍ لأوغسطين نابع من إيمانه، علماً أن لا ضير في أن يكون الإيمان مُلهماً للبحث العلمي، ولو كان أوغسطين رجل علم فقط؛ لما حُكم عليه حكماً ينتزعه من حقل فلسفة الدين ليضعه في حقل اللاهوت.

وعند الانتقال إلى القديس أنسلم نجد الدليل الأول (دليل الخير) يعتمد على فكرة التفاوت في امتلاك صفة الخير قياساً للمخلوقات؛ ما يؤدي إلى وجود علة لهذا الخير المتفاوت ممثلةً الخير المطلق، وفي الوقت نفسه ممثلةً الخير بذاته، وأن صفة الخير المتفاوتة لدى المخلوقات تمثل الخير بغيره؛ لكونها تستمد الخير من الخير بذاته، فهو علتها، ووجوده يمثل الوجود الأكبر وهو الله، في حين نجد أن فكرة الدليل الثاني (دليل الممكن والواجب) تعتمد على مبدأ الممكن والواجب، فيرى أنسلم أن الوجود سمة يشترك فيها كل موجود، ولا بد للأخير من علة؛ لكون وجوده متعلق بعالم الإمكان وليس بعالم الواجب، لأن الله وحده متعلق بعالم الواجب؛ لذلك فهو لا يحتاج إلى علة لأنه علة كل شيء، ووجوده واجب، أما في الدليل الثالث (دليل التفاوت في الكمال)، فنجد أن فكرته تعتمد على التفاوت في صفة الكمال بين مخلوق وآخر، ولا بد لهذا التفاوت من أن يصل إلى حد معين من دون الاستمرار في التسلسل إلى ما لا نهاية متمثلاً بالكمال الأسمى وهو الله، ويتضح لنا من سرد الأدلة الثلاث، اعتماد الأول والثاني على مبدأ العلية، والثالث على مبدأ التدرج في سلسلة الكمالات، وهذه أدلة ترتكز على الجانب العقلي، غير أنها متأثرة بآراء الفلاسفة السابقين، ولا تشتمل على جانب الأصالة.

أما الدليل الرابع الذي طرحه أنسلم وعُرف بالدليل الوجودي (الأنطولوجي) الذي لا يستمده من النظر في الوجود، بل من مجرد فكرة الله، فيشتمل على جانب الأصالة؛ لكونه لم يأخذه من غيره، بل ابتكره من عند نفسه، فعُرف باسمه، وهو دليل قبلي يرتكز على فكرة موجودة في عقل الإنسان بالفطرة من دون حاجة إلى معرفة مكتسبة من الخارج، وفي هذا الدليل نجد مسحة الإيمان تسبق مسحة التعقل، إذ تتضح ملامح فلسفة أنسلم أنها سائرة في التيار الذي يحمل شعار «إن لم تؤمنوا فلن تفهموا»، وهي مقولة لأشعيا[٣٧] تبناها أوغسطين، وسار عليها تلامذته.

يتضح لنا مما سبق ارتكاب أنسلم خطأً جسيماً حين ضرب مثالاً للتشبيه بين حال الانتقال من فكرة متصورة في العقل إلى فكرة لها وجود حقيقي في الخارج، مع حال الفنان الذي يريد

رسم صورة، فتكون الخطوة الأولى للفنان تخيل تلك الصورة في العقل، ثم تليها الخطوة الثانية متمثلة برسم تلك الصورة المتخيلة على اللوحة في الواقع، وبذلك سيكون للصورة وجودين: الأول في العقل، والثاني في الواقع الخارجي، فهذا المثال لا ينطبق على مفهوم وجود الله أو الكائن الذي لا يتصور أعظم منه، وهي مقاربة في غير محلها، فالانتقال من الوجود العقلي إلى الوجود الخارجي مبني على تدخل الحواس والفعل الإنساني، والله من حيث الفهم الإيماني بعيد عن عالم الحس، وهو في عالم ميتافيزيقي مع التسليم بحسب الرؤية الإيمانية أنه لا ينضوي في عالم محدد؛ لكونه أعظم من كل شيء.

ونعود مرة أخرى لنؤكد وجود المسحة الإيمانية الطاغية على المسحة العقلية في فلسفة أنسلم حين يتفق مع جونيلون في أن الماهية شيء والوجود شيء آخر، باستثناء حالة وجود الله بوصفها تمثل عين ماهيته، ويضرب مثالاً على ذلك بمقولة للقديس بولس متعلقة بالكمالات غير المنظورة لله، وإدراكها عن طريق المنظورات، وهنا يقع أنسلم مرة أخرة ضحية لمقاربة في غير محلها، فكمالات الله الخارجة عن أفق الحس يمكن إدراكها بوساطة العقل في المنظورات أمر صحيح، لكن موضوع مقاربتها مع عملية الانتقال من الوجود العقلي إلى الوجود الخارجي فيما يخص الموجود الأعظم شيء آخر، فضلاً عن أن فرض وجود الله في التصور والواقع قياساً للمؤمن شيء بديهي ومسلّم به، لكن ذلك لا ينطبق على غير المؤمن، فقد يرضى بوجود الكائن الأعظم من ناحية التصور العقلي لكن، لا يقبل بوجوده في الخارج عن طريق هذه الحجة.

ونستنتج مما سبق أن أنسلم كان فيلسوفاً حين طرح أدلة عقلية لإثبات وجود الله على وفق الأدلة الثلاثة المدرجة في كتابه «المناجاة»، لكننا نجده لاهوتياً قد لبس عباءة الفيلسوف في طرحه للدليل الوجودي، علماً أن الدليل الأخير يُدرج في كتب الفلسفة ضمن أهم الأدلة العقلية لإثبات وجود الله، ولقي تطويراً على يد فلاسفة لاحقين أمثال ديكارت [٣٨] وغيره، لكن المتفحص لسيرة أنسلم سيجد أن الأخير كان يبحث عن فكرة وجود الله في عقل الإنسان بالفطرة قبل أن تتأثر بالخطيئة ــ بحسب المعتقد المسيحي ــ ما يؤدي إلى أن الانطلاقة كانت على وفق الإطار النقلي قبل أن تصطبغ بالصبغة العقلية.

وعند الانتقال إلى شخصية ثالثة في العصر الوسيط ممثلة بشخصية بونافنتورا، نجد في الدليل الأول (دليل الفطرة) الذي طرحه، أن فكرة وجود الله موجودة في العقل الإنساني بالفطرة ولا تحتاج إلى عملية اكتساب خارجي؛ ويعزو سبب وجود من هم غير مؤمنين بوجود الله إلى التصور الخاطئ الناشئ من عملية إدراك ماهية الله؛ لأن إدراك الماهية الإلهية متعلقة بالاكتساب الخارجي، وهو أمر متفاوت بين البشر نتيجة اختلاف تحصيل المعارف واكتسابها بين البشر، في حين نجد في الدليل الثاني (دليل العلة الفاعلة)، انطلاقة لبونافنتورا من العالم المحسوس ليرتقي بعدها إلى العالم المعقول من خلال عملية استقراء لما موجود من حولنا من أشياء جزئية حادثة ومركبة ومتحركة؛ ليصل إلى الكائن الكلي الخالق والبسيط والثابت المتمثل بالله، أما الدليل الثالث (الدليل الوجودي) فنلاحظ أنه مأخوذ من أنسلم، والفرق يكمن في أن بونافنتورا يحاول إيجاد المسوّغات المنطقية لإثبات صحة هذا الدليل، فيصرح بأن المحمول (موجود) في عبارة «الله موجود» قرين بالموضوع (الله) ولا يمكن الفصل بينهما، وأن الماهية الإلهية ممثلة للوجود الإلهي، وبما أن

الماهية حاضرة في العقل؛ فإذن لا وجود لعملية انتقال من التصور العقلي إلى الوجود الخارجي؛ لأن ماهيــة الله ووجوده حاضران في العقل وفي الخارج سوية من دون انفصال.

كمــا نلاحــظ أن بونافنتــورا علــى الرغم من اســتعماله دليلاً حســياً (دليل العلة الفاعلة)، إلا أنه لم يســتعمله ليشــتغل بالمحسوسات، بل ليشــتغل بالمعقولات أيضاً، ذلك أن المعقولات في نظر بونافنتورا ســابقة على المحسوســات، ولا وجود للأخير من ناحية المعرفة إلا بوجود الأولى، فنقطة البدء هنا هي المعقولات وليست المحسوسات؛ ذلك لأننا إذا صرحنا بالحدوث أو التركيــب أو بالتغير، فإننــا لا نقول بهذا كله إلا بوصفه مقابلاً لصفات إيجابية موجودة في عقلنا من قبل، وهي صفات القِدم والبســاطة والثبات، فهذه الصفات الإيجابية أســبق في الوجود وفي العقل الإنســاني مــن الصفات الأخــرى، فيقوم هــذا الدليــل إذن علــى المعقــولات وليس على المحسوسات بوصفها نقطة بدء مطلقة.

ونســتنتج مما ســبق فــي آراء بونافنتورا، تســليمه بوجــود الله منــذ البدايــة لكون مســألة وجــوده واضحــة وليســت بحاجة إلــى إثبات، وأن وجــود المشــركين والملحدين في الواقع لا يتناقض مع مسألة الوضوح في الوجود الإلهي، إنمــا الســبب يرجع إلى تصور فاســد أو برهنة ناقصة أو نتيجة مغايرة للحقيقة ــ بحســب رأي بونافنتــورا ــ كما لا يمكن للإنســان المخلوق الفانــي المحدود أن يــدرك ماهية الله من خلال الإحاطة بــالله الخالق الســرمدي واللامتناهي، لكــن بإمكانــه إدراك وجــود الله، وهذه مســحة لاهوتيــة واضحة، فضــلاً عمّا طرحناه بشــأن الدليــل الثاني والثالث، فيكــون بذلك بونافنتورا أقــرب إلــى الجانب اللاهوتي منــه إلى الجانب الفلسفي في مسألة إثبات وجود الله.

حين الانتقال إلى الشخصية الرابعة والمهمة في العصر الوسيط لتفحص الرؤية المقدمة، نجد الأكويني يرفع راية التفكير العقلاني ــ بحســب ما ورد في صفحات كتب الفلســفة ــ في طرحه لأدلــة إثبات وجــود الله، فعند التمعــن في آرائه نجده يتفحص الأدلة والآراء التي ســبقته قبل أن يبتدئ في طرح أي دليل تجاه موضوع الإثبات، ويُعد هذا التفحص خطوة مهمة في طريق البحث العلمي، فوجد فريقاً يؤكد موضوع الفطرة، وآخر موضوع الســعادة، وثالث موضوع التوحيد بين الماهية والوجود، ورابع موضوع الحقيقة، وكان رد الأكويني المتمثل بالرفض مستنداً إلى الواقع المعيــش، إذ نجد فيه اختلافاً في الرؤى والأفكار من حيث تبني بني البشر لمعتقدات لا عدّ لها ولا حصر، وهو ما ينقض مسألة الفطرة والوضوح وما شــاكلها، فضلاً عن وجود إشــكالية منطقية لدى البعض حين تصور نفسه يسير سيراً منطقياً ففــز من التصور العقلي إلى الوجود الخارجي، كذلك تقديــم البعض بعض المســلمات الإيمانية لجعلها مقدمات أولى في طريق الإثبات العقلي، وهو أمر غير جائز عند محاولة إثبات وجود الله لمن هو خارج عن المعتقد المنبثقة تلك المســلمة الإيمانية منه.

وعند تفحــص الدليل الأول (دليــل الحركة) عند الأكويني، نجد تركيزاً على النظرة الأرسطية للحركــة في كونها انتقالة من الوجــود بالقوة إلى الوجود بالفعل مع الإشارة إلى وجود دافع مستقل أثر في هذه الانتقالة؛ لعدم إمكانية انتقال الشــيء مــن كونه موجــوداً بالقــوة إلى موجــود بالفعل، والأمر نفسه ينطبق على الدافع المحرك للشيء، لكــن لا يمكن الاســتمرار إلى مــا لا نهاية ولا بد مــن الوقــوف عند محــرك أول لا يتحــرك وهو الله، وتجــدر الإشــارة إلى أن هــذا الدليل مأخوذ عن أرســطو والفلاســفة المســلمين، ويستند إلى

مبدأين هما: الأول أن كل متحرك يتحرك بغيره، والثاني لا يمكن التسلسل إلى ما لا نهاية في سلسلة المتحركات والمحركات، ولا بد من الوقوف عند محرك أول لا يحركه غيره، ويحرك هو غيره.

أما في الدليل الثاني (دليل العلة الفاعلة)، فنجد تركيزاً على نسق العلل الفاعلة في العالم المادي، وافتراض عدم إمكانية وجود شيء في هذا العالم في أن يكون علة فاعلة بذاته، وبالطريقة السابقة نفسها يصرح الأكويني بعدم إمكانية الاستمرار في تسلسل العلل إلى ما لا نهاية، ويجب أن نقف عند علة فاعلة أولى وهو الله، ويرجع هذا الدليل إلى أرسطو الذي يعتمد على فكرة العلة الفاعلة.

في حين نجد في الدليل الثالث (دليل الممكن والواجب) تركيزاً على مسألة الممكن والواجب، فيرى الأكويني أن ما نلاحظه في العالم الخارجي المحسوس من وجود أشياء تأتي إلى الوجود، وتوقف أشياء أخرى عن الوجود؛ يؤدي إلى إمكانية وجود أشياء، وإمكانية عدمها، ويستحيل وجود تلك الأشياء بصورة دائمة، ومن ثَمَّ فوجود كل شيء جائز وليس ضرورياً؛ ما يعني وجود زمن فيما مضى لم يكن فيه شيئاً موجوداً، ومن المنطقي أن نقول أن لا شيء يأتي من لا شيء؛ فينتج أن لا شيء موجوداً الآن، لكن الواقع يصرح بعكس هذه النتيجة؛ لذا لا يمكن قبول فرضية أن كل شيء جائز، إذ لا بد من وجود كائن ضروري لا يستمد ضرورة وجوده من أي كائن آخر، بل من ذاته، وهذا الكائن الضروري هو الله، ويرجع هذا الدليل إلى الفلاسفة المسلمين، وفكرته تستند إلى مبدأ الممكن والواجب.

وفي الدليل الرابع (دليل التدرج في الكمالات)، نجد تركيزاً على التفاوت في درجات الكمال، إذ يصرح الأكويني بأننا نلاحظ وجود أشياء تكون أكثر كمالاً من أشياء أخرى، ما يترتب على هذا الأمر الوصول إلى أعلى مرتبة من الكمالات؛ ما يعني وجود كائن يكون بمنزلة الأفضل والأكمل من بقية الكائنات، وبما أن هذا الكائن الأكمل سيكون متربعاً في الجنس العالي؛ ما سيؤدي إلى كونه سبباً لكل ما يندرج تحته من أجناس وأنواع، وهذا الكائن هو الله، كما نلاحظ في هذا الدليل أنه ذو طابع أفلاطوني [٣٩]؛ لأنه يعكس النظرة الأفلاطونية القائلة بأن الأشياء في العالم تشارك في الوجود الكامل، وأقصى ما يمكن استنتاجه من مقدمات هذه الدليل هو وجود كائن يحوز على أعلى درجات الكمال، لكن هذا لا يبرهن على وجود كائن يمثل أعظم الكائنات بالمعنى النسبي، وليس بالمعنى المطلق الذي يستلزمه مفهوم العبادة الدينية، ويشبه هذا الدليل بعض الشيء الدليل الوجودي، ويعتمد على ما نشاهده من تفاوت في الصفات، فلا بد من وجود من يملك أكمل الصفات وهو في الوقت نفسه يكون في أعلى مراتب الوجود.

وفي الدليل الخامس (دليل وجود النظام)، نلاحظ تركيز الأكويني فيه على مسألة الغائية، إذ يصرح بوجود أشياء غير عاقلة في العالم الخارجي التي تنقصها المعرفة والذكاء توجه أفعالها نحو غاية معينة للحصول على أفضل نتيجة؛ ومن ثَمَّ نستنتج أن هذه الأشياء لا تحقق غايتها عن طريق الصدفة، بل عن طريق التصميم، لكن بما أن تلك الأشياء تنقصها المعرفة والذكاء؛ فلا بد من وجود موجه لها في سيرها نحو غاية محددة، وهذا الموجه لا بد من أن يكون كائناً عاقلاً وهو الله، وفي هذا الدليل نلاحظ التأثير الأرسطي من حيث استنتاج الأخير وجود عقل منظم للكون نتيجة عملية استقراء للواقع، وهذا الدليل مأخوذ من

يوحنا الدمشقي، ويقوم على أساس ما يشاهد في الموجودات من تدبير وإحكام.

ونستنتج مما سبق في الرؤية التوماوية لإثبات وجود الله، أن الأكويني أراد إثبات وجود الله عن طريق أدلة عقلية خالصة بعيدة عن مصدر الوحي، ومستنبطة من العالم الطبيعي، كما نجد أدلته الخمسة على وجود الله تنضوي تحت راية الدليل الكوني (الكوسمولوجي)، وتختلف عن الدليل الوجودي في كونها حجج بعدية وليست قبلية، أي أنها تنطلق من التجربة والمشاهدة في العالم الخارجي، وليست منحصرة في العالم العقلي.

وعند الموازنة بين أشهر شخصيتين في العصر الوسيط ــ بحسب ما ورد في كتب الفلسفة ــ طرحوا أدلة عقلية لإثبات وجود الله (أنسلم والأكويني)، نجد كلا المنهجين يسيران على وفق طريقة عقلانية، لكن الفرق بينهما أن كل واحد منهما انطلق من بداية كانت بمنزلة النهاية التي انتهى إليها الآخر، فنجد أن القديس أنسلم انطلق من ماهية الله ليصل إلى وجود الله كما سبق شرحه في الدليل الوجودي، في حين نجد الأكويني حاول أن ينطلق من عملية إثبات وجود الله للوصول إلى معرفة ماهية الله، فبعد أن أثبت الأكويني وجود علة أولى، انتهى إلى أنها هي الموجود الذي لا نستطيع أن نتصور أعظم منه، والذي لا يمكننا تصوره غير موجود.

الهوامش

(١) (القديس أوغسطين) Augustine, Saint (٣٥٤ - ٤٣٠) م: فيلسوف وقديس مسيحي، يُعد من أبرز آباء الكنيسة ومعلميها، ومن أهم الشخصيات التي أثّرت في مستوى الفكر المسيحي، ولا تزال آراؤه معمولاً بها على نطاق واسع لدى رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت على حد سواء. من أعماله: ((الاعترافات))، و((مدينة الله))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص (٧٨ – ٨٠).

(٢) كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٥) زيعور (علي): أوغسطينوس، ط١، دار اقرأ، لبنان، ١٩٨٣م، ص ١٤٦.

(٦) قارن: بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ط٣، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (لبنان)، ١٩٧٩م، ص (٢٦ – ٢٧)، مع النشار (مصطفى): مدخل جديد إلى فلسفة الدين، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥، ص (١٧٢ – ١٧٣)، كذلك كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص ٢٩.

(٧) (القديس أنسلم) Anselm (١٠٣٣ - ١١٠٩) م: فيلسوف ولاهوتي إيطالي، أشتهر بدليله الأنطولوجي على وجود الله. من أعماله: ((المناجاة))، و((العِظة))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص ٧١.

(٨) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (٦٩ – ٧١).

(٩) الكتاب المقدس، العهد القديم، (مزمور ١٣، آية ١).

(١٠) يُنظر: كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص ٨٧.

(١١) يُنظر: سولمون (روبرت): الدين من منظور فلسفي، ترجمة: حسون السراي، ط١، العارف للمطبوعات، (بيروت ـــ ابنان)، ٢٠٩٩م، ص (٥٥ – ٥٦).

(١٢) جونيلون: راهب معاصر لأنسلم، نشر رسالة تحت عنوان ((الدفاع عن الأحمق))؛ محاولاً فيها تفنيد الدليل الوجودي لأنسلم.

(١٣) حنفي (حسن): نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ص (١٠٨ – ١٠٩).

(١٤) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (٧٢ – ٧٣).

(١٥) (القديس بولس) Paul, Saint (٥ – ٦٩) م: لُقب برسول الأمم، أي الوثنيين، تُعد رسائله تلخيصاً للعقيدة المسيحية، وأصبحت تشكل جزءاً مهماً من العهد الجديد، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(١٢٩ – ١٣٠).

(١٦) كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص ٨٨

(١٧) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٨٨.

(١٨) يُنظر: مبروك (أمل): فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠٨.

(١٩) حنفي (حسن): نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص (١٠٩ – ١١٠).

(٢٠) هيك (جون): فلسفة الدين، ترجمة: طارق عسيلي، ط١، دار المعارف الحكمية، لبنان، ٢٠١٠م، ص ٢٨.

(٢١) كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص (٨٨ – ٨٩).

(٢٢) (القديس بونافنتورا) Bonaventura, Saint (١٢٢١ – ١٢٧٤) م: فيلسوف ولاهوتي إيطالي، يُعد من فلاسفة العصر الوسيط البارزين، تمحورت فلسفته حول موضوع الله، وكان يرى أن الفلسفة الحقة تتخذ من دراسة الله نقطتها المركزية. من أعماله: ((طريق النفس إلى الله))، و((رد الفنون إلى اللاهوت))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(١٣١ – ١٣٢).

(٢٣) يُنظر: بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج١، ط١، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧ه، ص ٣٨٤.

(٢٤) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص ١٠٤.

(٢٥) قارن: بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (١٠٥ – ١٠٩) مع النشار (مصطفى): المصدر السابق، ص (١٧٥ – ١٧٦).

(٢٦) (القديس يوحنا الدمشقي) Damascus, John Saint (٦٧٥ – ٧٤٩) م: فيلسوف ولاهوتي دمشقي، يُعد من معلمي الكنيسة الشرقية، حاول إثبات وجود الله انطلاقاً من المعرفة الفطرية الموجودة في داخل كل إنسان. من أعماله: ((ينبوع المعرفة))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(٦٨١ – ٦٨٢).

(٢٧) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٢٨) (القديس توما الأكويني) Aquinas, Thomas Saint (١٢٢٥ - ١٢٧٤) م: فيلسوف ولاهوتي كاثوليكي إيطالي، يُعد من أكبر فلاسفة العصور الوسطى، أستاذ اللاهوت في جامعة باريس وجامعة نابولي. من أعماله: ((الخُلاصة اللاهوتية))، و((في الوجود والماهيّة))، و((في وحدة العقل الفعّال))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(١٥٨ – ١٦٢).

(٢٩) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (١٣٧ – ١٣٩).

(٣٠) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، إصحاح ١٤، آية ٦.

(٣١) (أرسطو) Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢) ق. م: فيلسوف يوناني، وعالم موسوعي، ومؤسس علم المنطق، يُعد من أبرز الفلاسفة في تاريخ الفكر الفلسفي، ترك أثراً عميقاً في الفكر اليوناني ومن بعده في الفكر المسيحي والفكر الإسلامي والفكر

الحديث، لُقّب بالمعلم الأول، من أعماله: ((المق ولات))،و((العبارة))،و((التحليلات الأولى))، و((التحليلات الثانية))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(٢٠ – ٢٤).

(٣٢) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (١٣٩ – ١٤٠).

(٣٣) الأكويني (توما): كتاب الخلاصة اللاهوتية، المجلد الأول، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨١م، ص (٣٢ – ٣٤).

(٢٤) بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ص (١٤٧ – ١٤٨).

(٣٥) المصدر نفسه، ص (١٥١ – ١٥٢).

(٣٦) غالي (ميلاد ذكي): الله في فلسفة القديس توما الأكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، بلا تاريخ، ص (٣٠ – ٣١).

(٣٧) (أشعيا) Isaiah (القرن الثامن) ق. م: أحد أنبياء بني إسرائيل.

(٣٨) (رينيه ديكارت) Descartes, Rene (١٥٩٦ - ١٦٥٠) م: فيلسوف فرنسي، يُلقب بأبي الفلسفة الحديثة، مؤسس المذهب العقلي في المعرفة. من أعماله: ((مقال في المنهج))، و((تأملات في الفلسفة الأولى))، و((مبادئ الفلسفة))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(٢٣٥ – ٢٤١).

(٣٩) (أفلاطون) Plato (٤٢٨ - ٣٤٧) ق.م: فيلسوف يوناني، يُعد من أشهر فلاسفة اليونان القديمة إلى جانب معلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وقد تركوا أثراً عميقاً في تاريخ الفكر الإنساني، غلب على مؤلفاته طابع المحاورة الذي ورثه عن أستاذه سقراط، وقد زخرت هذه المؤلفات بشتى أنواع المعرفة، من أعماله: ((دفاع سقراط))، و((بروتاغوراس))، و((المأدبة))، و((فيدون))، وكتاب ((الجمهورية))، وللمزيد مراجعة: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ٢٠٠٠م، ص(٤٧ – ٥٢).

مصادر البحث ومراجعه

الكتاب المقدس.

١- الأكويني (توما): كتاب الخلاصة اللاهوتية، المجلد الأول، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨١م.

٢- بدوي (عبد الرحمن): فلسفة العصور الوسطى، ط٣، وكالة المطبوعات (الكويت) ودار القلم (لبنان)، ١٩٧٩م.

٣- بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج١، ط١، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧ه.

٤- حنفي (حسن): نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.

٥- زيعور (علي): أوغسطينوس، ط١، دار اقرأ، لبنان، ١٩٨٣م.

٦- سولمون (روبرت): الدين من منظور فلسفي، ترجمة: حسون السراي، ط١، العارف للمطبوعات، لبنان، ٢٠٩٩م.

٧- غالي (ميلاد ذكي): الله في فلسفة القديس توما الأكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، بلا تاريخ.

٨- كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، لبنان، ١٩٧٩م.

٩- مبروك (أمل): فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٠- النشار (مصطفى): مدخل جديد إلى فلسفة الدين، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٥.

١١- هيك (جون): فلسفة الدين، ترجمة: طارق عسيلي، ط١، دار المعارف الحكمية، لبنان، ٢٠١٠م.

The problem of proving the existence of God in Christian philosophy during the Middle Ages

dr.Ihsan Ali Abdul Amir Al Haidari

Abstract

We tried in this academic research flipping the pages of history in search of intellectual figures made its contribution in the field of philosophy and religion, and had a share in a private put the subject to prove the existence of God guides, with an attempt to distinguish between based on the mental side of the evidence based on the evidence transfer texts side, and frequent statement about those characters in the books of philosophy and theology on the subject of evidence outlook, and concede goals at us towards the most prominent figures in the Christian philosophical thought during the Middle Ages as these are phase of the blending between philosophy and religion, the confusion between the field of philosophy of religion and the field of theology, the characters are: Augustine, Anselm, Bonaventure, Thomas Aquinas, every one of them is a prominent note in the intermediate philosophy, as well as the whole of Christian thought, we tried to show our point of view toward personal evidence adduced by paragraph Monetary agree in each other and comment with some of the provisions in the books of philosophy, and different with others, this philosophy advantage, It lies in giving way to another to express his point of view about the subject at hand while keeping the door open to other views of the rolling, and not to close it by imposing an opinion on the other; so we had to make simple vision towards research topic under consideration according to what we have reached the conclusion.

المعتقدات الدينية والأسس الفكرية للحركة الحسيدية

د.عبير سهام مهدي (*)

الملخص

تعد (الحسيدية) فرعاً من فروع التيار الديني الارثوذكسي التي ظهرت في القرن الثامن عشر في اوربا، وقد ساعد على ظهورها، سوء الحالة التي كان يعيشها اليهود آنذاك، وبمرور الزمن اتسع نشاط هذه الحركة، مما اسهم في مراكمة حجم قوتها التأثيرية، وأزداد عدد المنتمين إليها حتى اصبح أفرادها اليوم يقدرون بمئات الالاف منتشرين في كثير من بلدان العالم، ولهم تأثير كبير في داخل اسرائيل وخارجها.

وللحركة الحسيدية اليوم مجموعات كثيرة ومتعددة، ولكل واحدة منها زعيمها ومرشدها الخاص، لاسيما اذا أدركنا ان اكبر هذه الجماعات، هي حركة (حبد) الحسيدية، التي تمتاز بمعارضتها للصهيونية، وعدم اعترافها بالدولة الاسرائيلية.

وفي ضوء ذلك نحاول من خلال بحثنا هذا تسليط الضوء على اهم الافكار والمبادى الرئيسة التي جاءت بها هذه الحركة، وانساق قوتها التأثيرية في اسرائيل.

المقدمة

من الظواهر التي ميزت تاريخ اليهود في شرق أوربا خلال القرن الثامن عشر: ظهور حركة دينية عرفت باسم (الحسيدية).

والحسيدية بالعبرية (حسيدوت)، وهي: مصطلح مشتق من الكلمة العبرية (حسيد)، أي (تقي)، ويستخدم المصطلح للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور القديمة والوسطى. لكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها وتزعمها (إسرائيل اليعيزر) .

وقد ظهرت الحسيدية لأسباب اجتماعية، تاريخية، واقتصادية، إذ كانت في بداياتها بمثابة

(*) أ . م. د / جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية

قوة متمـردة ضد ما هو قائم في الحياة اليهودية في شـرق أوربا (سـيطرة الربانيين من رجال الديـن الأرثوذكس)، وإشـاعة روح التمرد ضـد الصـور المتحجـرة للماضي ، ودعت إلـى المزيـد مـن الحريـة للفـرد اليهودي، وبسـبب أفكارهـا هـذه واجهـت الحسـيدية معارضة عنيفة من (اليهودية الأرثوذكسـية التقليديـة)، وذلـك بسـبب المكانـة الثانويـة التـي أولتهـا لتعليـم التـوراة، وبسـبب التخـوف مـن أفكارهـا بشـأن التقـرب من الله ومخاطبتـه، غيـر أنها – إي الحسـيدية- بمـرور الوقـت أبرمـت اتفاقـاً مـع القوى القديمة التـي حاربتها في البداية، وأصبحت حارسـة متعصبة للتقاليـد اليهودية وحاربت أي اتجـاه لتحديـد الحيـاة اليهوديـة.

تكمـن أهمية التركيز فـي هذه الحركة: فـي إن الدين اليهودي ليس دينـاً أحاديا كما يعتقـد الكثيـر، بل هـو ديـن تتوزعه فرق، مثـل: السـامريين، والقرائييـن، والفلاشـا، والدونمـة، واليهـود السـود، وغيـر ذلـك، ومذاهـب مثـل: المذهـب الأرثوذكسـي، والإصلاح، والمحافظيـن، ومذاهب(إعادة بنـاء اليهوديـة)، والأرثوذكـس الجـدد، واليهود اليسـوعيين، وغيرها من المذاهب، وكذلـك هنـاك اتجاهـات أهمهـا: الاتجـاه الحسـيدي الـذي خصصنـا له هـذا البحث، وكمـا فـي إي دين مـن الأديـان الأخرى، فـأن هـذا التعدد يسـتحق البحث والدراسـة والمعرفـة

ومـن هنا تنطلق فرضية الدراسـة، التي مفادهـا: أن الحركة الحسـيدية فـي إيمانها، وفـي رحلتها الروحية قد طـورت جملة من العقائـد والمبـادئ والممارسـات الجديـدة الخاصـة بهـا التـي تميـزت بها عـن باقي الحـركات والجماعـات الدينيـة اليهوديـة التقليديـة، كمـا إن هذه الحركـة مهمة عدداً وتأثيـراً فـي عالم اليهـود، إذ إنهـم يبلغون مئـات الآلاف وهـم منتشـرون فـي إنحـاء كثيرة مـن العالم، وان كانـوا يتركزون في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وإسـرائيل، وتأثيرهـم يتمثـل في أن الكثيـر من أفرادها أثريـاء كبار يدعمون مشـاريع هذه الحركة ومؤسسـاتها داخـل إسـرائيل وخارجهـا، فضـلاً عن إن البعض من الأحـزاب الدينية في إسـرائيل ليسـت بعيـدة عن تأثيـر يهود الحسـيديم، ويبـدو أن هـؤلاء- كمـا تشـير الإحصائيـات- سـيكونون ثقلاً عدديـاً كبيراً فـي المسـتقبل، كمـا أن معـدل الـولادات مرتفـع عندهـم جـداً، إذ أن وجـود أحـد عشـر طفلاً أو اثنا عشـر طفلاً ليسـت شيئاً اسـتثنائياً للعائلـة الواحدة، وقـد ضاقت بهم أماكنهـم التقليدية في إسـرائيل، لذلك أخذوا ينتشـرون في أماكن أخرى جديدة لم يعرفها من قبل الحسـيديم ، وللبرهنـة على فرضية البحث نطرح التسـاؤلات الآتية

١- مـا هـي أهـم الأفـكار الأساسـية للحركة الحسيدية؟

٢- مـا هـي رؤية الحركـة للفكـرة الصهيونية ومشروعها؟

٣- ما هي الأسـباب التـي أدت إلى نجاح هذه الحركة؟

وعلى ضوء التسـاؤلات التـي تم طرحها، فقـد تـم توزيـع البحث بيـن ثلاثـة مباحث، تناولنـا في المبحث الأول/ النشـأة التاريخية للحركة الحسـيدية، في حين خصص الثاني/

لمناقشة المبادئ الرئيسة للفكر الحسيدي، وأنتظم المبحث الثالث والأخير لدراسة رؤية الحركة للصهيونية، ولمشروعها المتمثل في قيام الدولة الإسرائيلية المعاصرة، وأخيرا جاءت الخاتمة متضمنة الاستنتاجات الرئيسة، ثم قائمة المصادر.

المبحث الأول

النشأة التاريخية للحركة الحسيدية

تعد الحسيدية أحدى أجنحة الأرثوذكسية اليهودية في عالمنا المعاصر[١]، والحسيدية بالعبرية (حسيدوت)، وهو مصطلح مشتق من الكلمة العبرية(حسيد)، إي (تقي)، ويستخدم المصطلح للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور القديمة والوسطى، ويستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية[٢]، التي أسسها (إسرائيل اليعيزر)* الذي عرف باسم(إسرائيل بعل شيم طوف) أو اختصاراً لـ(بعشط) (إسرائيل ذو السمعة الطيبة)[٣]، الذي أصبح الشخصية الرئيسة للعديد من الأساطير التي حيكت حول حياته وأعماله ومعجزاته وكراماته[٤].

بدأت الحركة في جنوب بولندا، وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، ولاسيما في مقاطعة(بودوليا) التي ظهرت فيها الحركة الفرانكية، كما ظهرت فيها فرق مسيحية حلولية ذات طابع غنوصي متمردة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وقد كانت هذه المقاطعة تابعة لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، وانتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا، ثم إلى المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية: جاليشيا، وبوكوفنيا، وترانسلفانيا، سلوفاكيا، المجر، ورومانيا، ولكن أقصى تركز لها كان في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها[٥].

قد انتشرت الحسيدية في بادئ الأمر في القرى بين أصحاب الحانات والتجار الريفيين والوكلاء الزراعيين، ثم انتشرت في المدن الكبيرة حتى أصبحت عقيدة أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوربا بحلول العام(١٨١٥)، بل يقال أنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك، إلى جانب: أنها عقيدة اغلب يهود اليديشية، ويلاحظ أن الحسيدية لم تضم في صفوفها كثيراً من العمال والحرفيين اليهود، لان الأساس الاقتصادي لوجودها كان ثابتاً، كما أن من أتبعوها من المتعلمين كانوا لا يدرسون إلاّ التوراة، بل كانوا يتركون المدارس بسبب فقرهم، ولهذا فأنهم لم يكونوا يخوضون في دراسة الشريعة الشفوية، ومن ثم عرفوا: أن أفكار الحسيدية غريبة وغير مفهومة، كما نجحت الأحزاب الاشتراكية والثورية في ضمهم إلى صفوفها[٦].

يرجع نجاح الحسيدية في اكتسابها المزيد من الإتباع إلى عوامل اجتماعية وتاريخية منها[٧]:

١- ضنك العيش: فالجماهير اليهودية كانت تعيش في بؤس نفسي وفقر اقتصادي شديد بسبب التدهور التدريجي للاقتصاد البولندي.

٢- الإحباط الجماعي والعميق ،بعد فشل دعوة (شبتاي تسفي)، وتحوله إلى

الإسلام فقد كان أملاً لاح في الأفق بأن (المسيح المنتظر) قد جاء لإنقاذ اليهود، وعودتهم إلى ارض الميعاد كي يحكموا العالم، فإذا بالمسيح يعلن أسلامه (نفاقاً).

٣- التخلف الثقافي: وقد صاحب هذا الوضع الاقتصادي المتردي تدن في الحياة الثقافية والدينية داخل الجيتو إلى درجة كبيرة، وصار اليهود يعيشون في شبة عزلة عن العالم، بل في عزلة عن المراكز التلمودية في المدن الكبرى.

٤- انتشار السحر والشعوذة والتراث القبالي، فقد أحكمت القبالاه هيمنتها على الفكر الديني اليهودي بين جماهير اليهود، وحتى بين طلاب المدارس التلمودية العليا وأعضاء المؤسسة الحاخامية.

٥- التأثر بالمحيط النصراني، بعد إن عاش اليهود بين فلاحي أوكرانيا وشرق أوربا لمئات السنيين بعيداً عن المؤسسات الحاخامية في المدن الكبرى والمدن الملكية وتأثروا بفلكلور فلاحي شرق أوربا، وبمعتقداتهم الشعبية الدينية، وبوضعهم الحضاري المتدني بشكل عام.

وقد نجحت الحسيدية في تحقيق قدر من الاستقلال عن المؤسسة الحاخامية، فأتبعت بعض التقاليد السفاردية في الشعائر(ربما تحت تأثير القبالاه اللوريانية ذات الأصول السفاردية)، كما ادخلوا بعض التعديلات على طريقة الذبح الشرعي، (وهو مايعني في واقع الأمر: السيطرة على تجارة اللحم)، وأصبح للحسيديين معابدهم الخاصة وطريقة عبادتهم، ولذلك تحولت الحركة من يهودية حسيدية إلى يهودية صدّيقية(نسبة إلى الصدّيق الذي يقوم بالوساطة بين أتباعه والآله)[٨].

وقد أصبح هذا مفهوماً محورياً في الفكر الحسيدي، إذ كان الحسيدون يعمدون إلى إحلال(الصدّيق) محل الحاخام (لتقليص سلطان المؤسسة الحاخامية) كلما كان ذلك بوسعهم، والصدّيق نوع من القيادة الكاريزمية يحل مشكلة المعنى، والانتماء لإتباعه متجاوزاً المؤسسات التلمودية، وقد تحولت الحسيدية (الصدّيق) إلى بيروقراطية دينية لها مصالحها الخاصة واستولت على (القهال)* في كثير من الأحيان، ولكنها لم تدخل إي إصلاحات اجتماعية، بل كان القهال أحيانا يزيد الضرائب على اليهود بعد استيلاء الحسيديين عليه، وقد ارتبطت كل جماعة حسيدية بـ (الصدّيق) الخاص بها، ولذا انقسمت الحركة إلى فرق عدة، فبعض هذه الفرق اتجه اتجاهاً صوفياً عاطفيا محضاً، في حين اتجه بعضها الأخر، مثل: حركة (حبد) اتجاهاً صوفياً ذهنياً يعتمد على دراسة كل من القبالاه والتلمود[٩]، وعلى الرغم من الانقسامات والخلافات بين الحسيدية واليهودية الحاخامية، فقد وحد الحسيدية صفوفهم في النهاية، بسبب انتشار العلمانية، والاستنارة والتنوير والنزعات الثورية بين اليهود، كما كان (القهال) قد تداعى كإطار تنظيمي، فأن الحسيدية استطاعت إن تحل محله كإطار تنظيمي جديد، ولذا فان الحسيدية لم تنتشر جغرافياً وحسب، بل انتشرت عبر حدود الطبقات أيضا[١٠].

يمكن القول: إن الإسهام الكبير للحسيدية قد تجلى في عدة اتجاهات أهمها[١١]:

١- المجال الشخصي: إذ أبرزت الحسيدية الأساس الفردي في اليهودية، وهو الأساس الذي كبح لأجيال عدة، إذ أكدت الحسيدية في هذا المجال على إن الأهمية لا تكمن في أقامه

(الشرائع)، بل في الصحوة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذاتية.

٢- عنصر البهجة: إذ أدخلت الحسيدية عنصر البهجة إلى قلوب معتنقيها في شرق أوربا، وبذلك أتاحت لهم القدرة على مواجهة التحديات والمشكلات.

٣- الديمقراطية الحسيدية: إن الحسيدية لم تبلور مجتمعاً يهودياً جديداً، ولم تخلق زعامة روحانية اجتماعية تختلف عن الزعامة السابقة المتساوية، ولم تكن هذه الصحبة (كيبوتساً) موجودة فيه مساواة اقتصادية، بل كانت عبارة عن إطار هرمي روحاني، الفصل فيه هو: (الصدّيق) وليس (الحاخام)، وفي هذه الصحبة محاولة لتقليل الفوارق الاقتصادية (على غرار ماهو قائم في المجتمعات الاشتراكية) ، ولكن بوجود مساواة فريدة من نوعها، فالغني والفقير يتساويان بكونهما مرتبطين بـ (الصدّيق)، ولا يتعالى كل منهما على الأخر، وليس هناك من هو(منحط)، ومن هو (متفوق)، وان كل فرد يعرف قدرته ومرتبته الروحانية، حتى يتسنى له إن يتعرف إلى نفسه، ويعيش وفقاً لذلك[١٢].

٤- التجويد الحسيدي: حيث أسهمت الحسيدية في تطور الموسيقى اليهودية، والتجويد الحسيدي يضم في ثناياه: الشجن، والبهجة، والأمل، والحماس، والإيمان الفطري، وهي من العناصر المهمة في شرعية الحسيدية.

٥- القصة الحسيدية: حيث كانت هناك دائماً موروثات من القصص اليهودية، ولكن الحسيدية أضفت على القصة مكانة خاصة، وجعلتها (مقدسة) عندما جعلتها محل تكريم وتقدير، إذ كانت القصة حتى مدة الحسيدية مجرد (تسلية) غير جديرة بالواقعية، وعندما شاعت القصص عن (الصدّيقيم)، والتي أصبحت جزءاً من تراث الحسيدية، حظيت هذه القصص بالانتشار، وأصبحت مصدرا للمتعة الروحانية لآلاف الحسيديم.

المبحث الثاني

المبادئ الرئيسة للفكر الحسيدي

قامت الحركة الحسيدية على أفكار ورؤى(إسرائيل اليعيزر) (بعشط) الذي كان من المتبحرين في الطرق الصوفية القبالية، وأفكار(شبتاي تسفي) التي قامت على الفكر القبالي الصوفي، ولم يترك(بعشط) وراءه أي كتاب أو اثر فكري يسجل آراءه وأفكاره، فكل ما بقي من أثار هو: مجموعة من التعاليم الشفوية التي كان أتباعه الذين بلغ عددهم عند وفاته ثلاثمائة ألف يحفظونها غيباً، كما إن أتباع(بعشط) لم يضعوا أفكار الحسيدية بشكل منظم، وإنما هناك العديد من التعليمات المتناثرة والآراء المختلفة، وبعض المعتقدات القبالية التي تشكل معاً ما يمكن إن نطلق عليه(الفكر الحسيدي)[١٣].

ويمكننا أن نجمل هذه الآراء والمعتقدات بالنقاط الآتية:

١- إن الله موجود في كل شيء، وحلولية التصور اليهودي حلولية كامنة في بنية اليهودية تنفجر على شكل حركات مسيحانية، فالله موجود في كل شيء[١٤]، في النباتات والحيوانات، وفي إي فعل إنساني في الخير والشر، ويستخدم الحسيدون استعارات ومصطلحات صوفية تقليدية للتعبير عن رؤيتهم الحلولية المتفجرة، فالخالق مثل النور الإلهي اللانهائي الذي يختفي

بشكل تدريجي حتى لايبتلع كل شيء في جلاله وبهائه، وحتى تتمتع المخلوقات بوجود مستقل، والعالم ثوب الله، صدر عنه ولكنه جزء منه تماماً، مثل: محارة الحيوان- الحلزون- فهي قشرته الخارجية، ومع ذلك هي جزءً لا يتجزأ منه[١٥].

وتنظر الحسيدية إلى ألآله نظرة قريبة، فكل فرد عادي (يهودي) يمكنه إدراك الله، وعليه إن يشعر بـ الله ويدركه بنفسه وذاته، لأنه موجود، ومن الممكن إيجاده وإدراكه مادام موجوداً في الخليقة على اختلاف أشكالها، وعلى المتعبد إن يمارس عبادته ليدرك الله ببشاشة، وفرح وعن طريق الرقص، ويرى الفكر الحسيدي: إن القوة المقدسة للإله محبوسة في حروف أسم الرب(يهوه)[١٦].

٢- الصّديق: يعرف (الصدّيق) باسم (ربي) تمييزاً له عن (الرابي) المعروف بـ(اليهودية التلمودية) أو الحاخام، ويطلق على (الصدّيق) في إسرائيل اليوم لقب (الادمور)، وهو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي: (سيدنا، واستأذنا ومعلمنا)[١٧].

وفي الجيل الأول من نشأة الحسيدية، لم يكن(الصدّيق) يختار بواسطة طائفة الحسيدية، بل كانت صفاته(الكاريزمية) هي التي تجعل منه زعيماً للطائفة، ولكن ابتداءً من الجيل الثاني والثالث بدأت تنشأ الأسر الحسيدية التي كانت تنتقل فيها الزعامة بالوراثة، وقد كان لكل(صدّيق) معبد خاص به يجتمع فيه إتباعه المقربون إليه للصلاة طوال أيام الأسبوع، ولم يكن(الصدّيق) يظهر في أثناء الصلاة، إذ كان يبقى في غرفة خاصة خفية، وكان الحسيدم بعد الصلاة يمرون قبالته ليباركهم بعد إن يؤدى صلاته على انفراد[١٨].

في بداية الحسيدية كان الدور الأساس (للصدّيق) نشر رسالة الحسيدية، وتعليم مبادئها وأفكارها لكل من جاء للانضمام إلى الحركة، ولكن في مدة زعامة (يعقوب يتسحاق هوروبيتس) الذي بدأ العمل في بولندا، وبدأت جماهير غفيرة في السفر إلى(الصدّيق) طلباً في علاجه وإنقاذه، مما دفع بالعديد إلى معارضة هذا الأسلوب، وكان من بينهم أيضا تلميذه الرابي (يعقوب يتسحاق مفشيسحا)- الذي يلقبه الحسيديين باسم (اليهودي المقدس) بزعم إن مثل هذا التصرف سيحول الحسيدية إلى حركة صوفية وشعبية، وليس حركة فلسفية للصفوة[١٩].

لقد حل الصدّيق عند الحسديين محل التوراة، وغدا شائعاً بينهم قولهم:(حديث الصديق توراة)، وتجدر الإشارة إلى إن أساس مكانة (الصدّيق) السامية وقداسته ليس درجته العلمية وتقواه وورعه، وإنما شخصيته الآسرة، وقدرته على اجتذاب الآخرين، وشعبيته بين إتباعه، وكان الحسيدون يقدمون للصديق أموالاً تسمى (الفدية) تعفيه من ممارسة العمل، ويقوم بجمع هذه الأموال جباة (جبائيم)، وضريح (الصدّيق) بعد موته يصبح مقاماً يرجع إليه إتباعه، حيث لايعد الحسيديون (الصدّيق) ميتاً بعد وفاته، فهو يستمر في الوساطة بين شعب إسرائيل والرب، ويلغي الإحكام الإلهية السيئة[٢٠].

عن طريق ماتقدم نرى: إن شخصية(الصدّيق) مثلت أحدى الأفكار الرئيسة في شريعة الحسيدية على المستويين: الروحي والمادي على السواء، إذ للصدّيق رسالتان: الأولى/ إن يكون زعيماً روحانياً لأبناء طائفته، وهذا العمل هو من اجل الرب، والأخرى/ إن يكون زعيماً عملياً لأبناء طائفته، وهذا العمل تنظيمي عملي[٢١].

٣- للحسيديين طقوس للعبادة تختلف عن طقوس اليهودية التلمودية، وتأخذ من طقوس كل من : الاشكينازيين، والسفارديين، فالصلاة لابد إن يصاحبها رقص وغناء وتصفيق ومرح، وتتم بصوت عالٍ، ولم يكن للحسيديين أماكن خاصة للصلاة، ألا انهم بمرور الزمن طوروا لأنفسهم أماكن للعبادة خاصةتسمى(شتبليخ)[٢٢].

٤- ترى الحسيدية: إن اليهود ليسوا (شعب الله المختار)، والخلاص والافتداء فردي، وليس(جماعياً، وكشعب بأكمله كما ترى الأصولية)، وان كل فرد عليه إن يصل إلى خلاصه الذاتي عن طريق التعبد وإصلاح ذاته، حتى يدرك(النور السماوي)، وحين يحقق كل فرد خلاصه يظهر أخر الزمان (المسيح المخلص) [٢٣]، ونتيجة لهذا الطرح، وعدم اعتراف الحسيدية بمختارية(الشعب اليهودي الإلهية) فقد ناصبت الأصولية الحركة الحسيدية العداء، وعارضوا مبادئها وأفكارها، وقد عرف المعارضون للحسيدية باسم (متنجديم)، وقد أطلق على الصراع بين الطرفين: الصراع الحسيدي- الليتواني(نسبة إلى ليتوانيا التي انحدر منها جل اليهود الأرثوذكس) أو الصراع بين(المتصوفين والتشريعيين)، لقد ظهر هذا الصراع لأول مرة منذ مايقرب مائتي عام، ومايزال قائماً حتى اليوم، إذ ظهر في البداية بين أنصار الحسيدية وإتباع الأرثوذكسية التقليدية في أوربا، وهو اليوم قائم في (إسرائيل) بين الأحزاب والجماعات والحاخامات الأرثوذكس غير الحسيديين[٢٤].

كانت ابرز الدعاوي التي هاجم (المتنجديم) بسببها (الحسيديم) مايلي[٢٥]:

١- وجود اتجاهات حلولية متطرفة شديدة الوضوح داخل الحسيدية، ولذلك فقد رأى (المتنجديم) إن المفهوم الحسيدي للإله ينفي عنه أي تسامي أو تجاوز.

٢- موقف الحسيدية من الشر، تسامٍ قال الحسيديون: إن الشر غير موجود، فالشر نفسه التصقت به الشرارات الإلهية، وهي رؤية حلولية تتنافى تماماً مع التمييز بين الخير والشر.

٣- ويرتبط بهذا اعتراض(المتنجديم) على دور (الصدّيق) في الشفاعة عند الإله، وفي الوساطة بينه وبين المخلوقات، وفي تمتعه بقوى خارقة.

٤- اعتراض (المتنجديم) أيضا على أن الحسيديين أهملوا دراسة التوراة والتلمود التي هي الهدف الأساس من وجود اليهود.وهم يخصصون وقتاً طويلاً في الإعداد العاطفي والنفسي للعبادة، بل يهملون العبادة نفسها.

٥- اعتراض (المتنجديم) على التعديلات الشعائرية المختلفة التي كان الحسيديون يحاولون عن طريقها تحقيق قدر من الاستقلال

عـن المؤسسـة الحاخاميـة، ومـن بيـن هـذه التعديلات: تبني فصل القبالاه السـفاردي الذي كان يؤكد على ترقيب المسـيح، والتعديل الذي أدخل على الذبح الشـرعي، وبطبيعة الحال فقد وجـد الحاخامات أن قيام الحسـيديين بتأسـيس معابد يهودية خاصة بهم يدعم شكوكهم .

٦- تغيير الزى اليهودي التقليدي.

وإذا كانـت الحسـيدية فـي بدايتهـا قـوة متمـردة ضد ماهو قائم فـي الحياة اليهودية في شـرق أوربا (سـيطرة الربانيين من رجال الدين الأرثوذكسي) ، وأشاعت روح التمرد ضد الصـور المتحجرة للماضي، ودعت إلى المزيد مـن الحرية للفرد اليهودي، فأنها بمرور الوقت أبرمت اتفاقاً مع القوى القديمة التي حاربتها في البداية(المتنجديم)، وأصبحت حارسة متعصبة للتقاليـد اليهودية، وحاربت بضـراوة إي اتجاه لتجديد الحياة اليهودية، ولاسـيما عندما تحالفت مـع اللتوانيين(إتباع الشـريعة التلمودية) ضد الهسكالاه (حركة التنوير اليهودية).

وعلـى الرغـم من هـذا التحالـف الذي حدث بيـن (المتنجديـم) و(الحسـيديم) ضد (حركة التنوير)، و فشـل حركة (الهسكالاه)، وظهور الصهيونيـة علـى مسـرح الإحـداث، أطلـت المعركـة التي بدأت قبـل قرنين من الزمان من جديـد، ومازالـت محتدمـة في إسـرائيل حتى الآن، وتعـد الحملة التي قادها الحاخام (شـاخ) الليتواني ضد القيادات الحسـيدية في اسـرائيل وخارجها استمرارا لها.

المبحث الثالث

الصهيونية ومشروعها في فكر الحسيدية

تتمحـور رؤية الحركة في عـدم الاعتراف بالصهيونيـة ومشـروعها (الدولة الإسـرائيلية المعاصـرة)، فـي إن الصهيونيـة اسـتبدلت الخـلاص الإلهـي بخـلاص دنيـوي، وذلـك بدعوتها اليهود إلى (العودة) (للأرض المقدسة) دون انتظار (المسيح) ،الأمر الذي يعد خروجا على الإرادة الإلهية، وتدخلا في شؤون السماء، فالخلاص هو: عملية سـماوية لا أرضية ، ولا تتـم ضمن حركـة التاريخ الفعليـة، وإنما تأتي نفياً لحركـة التاريخ الواقعية [٢٦]، وعلى اليهود إن يضلـوا فـي المنفى حتـى يظهر (المسـيح المخلـص) ، إذ انه وحده المكلف من قبل الرب بإنقاذ(الشـعب اليهودي) والعودة به إلى أرضه لتأسـيس(مملكة إسرائيل) [٢٧]،مستندة في ذلك إلـى نصوص مـن الكتاب المقدس مـن بينها : ((هكـذا قال الـرب مجاناً باعوكـم، وبلا فضة تفكـون)) [٢٨]، و((ولا بالقدرة، بل بروحي قال رب الجنود)) [٢٩]، وكذلك من وصايا التوراة : ((لا تحاول إن تسـتعجل نهايـة الأيام، ولاتثور ضد الشعوب التي تحكمك))[٣٠].

ومـن هنـا واصلـت الحسـيدية مهاجمتهـا للصهيونية،إذ كتب الحاخام(حاييم سولوفيشيك)- ابـرز حاخامـات الحسـيديين في نهايـة القرن التاسع عشر- في العام ١٨٩٩: ((إن كل واحد من الصهيونيين سـيء السـمعة في بلده..، وأن مقصدهم كما أعلنوه ونشروه هو : اقتلاع الديانة من أصولها))، وفي بيان حاخامي رسـمي من تلـك الحقبة ذم الصهيونيين، وعدواً((مضللين جداً)) يعلمون الشباب (الفسق والفجور)، ومن

شأنهم: أن ((يستجروا على امتنا كارثة مادية أعظم من كل ماانجز على الشعب من كوارث على أيدي الأنبياء المزيفين، ومروجي الأضاليل عن خلاص إسرائيل في الماضي))[٣١].

ولم تقتصر معارضة الحسيدية على الحركة الصهيونية فحسب، بل انتقدوا هدفها بإنشاء (دولة يهودية) باحتسابها خرقاً للدين اليهودي، لاعتقادهم: بأن فكرة الدولة مرتبطة بعقيدة (المسيح المنتظر)، أما إسرائيل العلمانية، فلا تتوافر فيها الشروط الروحية أبداً، وهذا ما عبر عنه (المربرجر) في تطرقه إلى عقيدة(المسيح المنتظر) بقوله: (الماشيح سيأتي حسب الرواية الدينية التقليدية في الوقت الذي يحدده الرب، وبالطريقة التي يراها، ولا يملك الإنسان سوى الانتظار)[٣٢]، في حين إن الصهيونية تسعى إلى تحقيق الدولة بنفسها، وبذلك فهي تتعارض مع الدين اليهودي ، لأنها تسعى إلى تحويل اليهود من جماعة دينية إلى جماعة قومية، لذا رأوا في الصهيونية: أنها بمثابة الرفض التام للطابع الروحي، وهكذا عدت الحسيدية إقامة (الدولة) قبل قدوم (المسيح المنتظر) هو عقاب خطر من الله، وان (الكنيست) تدنيس لأوامر الله وأهانه للتوراة، لان قانونه يناقض شريعة موسى[٣٣]، وهكذا فإذا كانت الحسيدية قد ربطت (الخلاص) بـ (المسيح)، فان الصهيونية جاءت لتدعو اليهود إلى (الانعتاق الذاتي) معتمدين على جهودهم، مقتدين بأمم أوربا التي انتزعت استقلاله في دولها القومية مستمدة الشرعية من وعيها القومي بذاتها[٣٤] ، وهذا ما أكده (هرتزل) بقوله: (إن لم يكن الشعب قادرا على مساعدة نفسه بجهوده الخاصة ، فانه شعب لا أمل فيه، وهذا ما نريده نحن الصهيونيون، نريد إثارة المساعدة في الشعب)[٣٥]، وأضاف: (أنا مفكر حر، ومبدأ حركتنا سيكون: إن لكل إنسان إن يبحث عن خلاصه بطريقته ...)[٣٦].

وفي الوقت ذاته يجب إن لا يفوتنا إن نذكر من ان فلسطين (ارض إسرائيل) تحظى بأهمية دينية كبيرة لدى الحسيدية ، وان هدف استيطانها وإقامة كيان سياسي لليهود فيها هو هدف قائم بذاته ،ولكن الاختلاف جاء في الوسيلة والتوقيت.

إذ ترى الحسيدية: إن فلسطين (ارتس إسرائيل) هي:(قلب العالم ، إذ يتدفق منها الخلاص والرحمة، وعلى اليهود الخروج من بلاد الاغيار المدنسة)، والاستيطان في (فلسطين المقدسة)، وهذا العمل هو : شعيرة دينية وعملاً مقدساً، وهو ما دفع إتباع الحركة للهجرة إلى فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بأكثر من ربع قرن، ويرى أحد زعماء الحركة(نحمان براسلاف): (أن من يريد إن يكون يهودياً حقيقا عليه إن يذهب إلى أرض إسرائيل مهما كانت الصراعات والعوائق، فأرض فلسطين تعطي اليهود سمواً روحياً، وفي فلسطين يؤكد اليهودي على عقيدته ويتعلم الحكمة) ، وفي هذا المجال عبر (مناحم مندل) عن ذلك بقوله:(إن من يعيش في أرض إسرائيل من اليهود يصبح مقدساً وطاهراً، ويتمكن كذلك من إن يطهر الآخرين، ويؤثر في يهود الشتات)[٣٧].

وهكذا فقد كان لهجرة الحسديم الى فلسطين سببين رئيسين هما[٣٨]:

١- نشر شريعة الحسيدية وإقامة مركز حسيدي في فلسطين.

٢- الرغبة في استعجال الخلاص عن

طريق الهجرة إلى فلسطين، وهو أساس مسيحاني بارز في الشريعة الحسيدية.

وقد حاول مؤسس الحركة (بعشط) الهجرة إلى فلسطين أكثر من مرة، ولكن لسبب غير معروف عاد من حيث أتى في منتصف رحلته، وقد هاجر من بعده صهره (أبرهام غرشوف) في العام ١٧٤٧، واستقر مع مجموعة من رفاقه في مدينة الخليل أولاً، ثم القدس، وفي العام ١٧٦٥ هاجرت مجموعة أخرى من الحسيديين إلى فلسطين، واستقرت في (عكا، وطبريا)[٣٩][٢٤]، وتعد هجرة ربي (مناحم مندل)، وبضع مئات من الحسيديين إلى فلسطين في العام ١٧٧٧، واهم هجرة جماعية حسيدية، وقد أستقر هولاء في (صفد، عكا، والخليل)[٤٠].

ولما ظهرت الحركة الصهيونية وعارضتها الحركة الحسيدية، ووقف الحسيديم بالمرصاد للصهيونية الدينية على وجه الخصوص، وعلى الرغم من إن التوجه العام داخل الحسيدية كان ضد الهجرة إلى فلسطين بعد ظهور الحركة الصهيونية فأن بعض المجموعات الحسيدية انضمت إلى موجات الهجرة، فأسسوا في فلسطين مستوطنة (بني براك) قرب تل أبيب في العام ١٩٢٤، وفي وقت لاحق تم إنشاء مستوطنتي: (كفار حسيديم) ، (كفار حبد)[٤١].

وبعد قيام الدولة الإسرائيلية رفضت الحركة الحسيدية الاعتراف بشرعيتها بسبب طابعها العلماني، وعلى الرغم من تسليم الجماعات الحسيدية المختلفة بهذا الموقف من الدولة، فأن طبيعة علاقة هذه الجماعات مع الدولة تختلف من جماعة إلى أخرى[٤٢].

يوجد في إسرائيل اليوم عشرات الجماعات الحسيدية ولعل اشهرها:

١- حسيدية برسلاف: وهو التيار الحسيدي الذي أسسه (ربي نحمان) من برسلاف الذي ارتقى بمكانة (الصدّيق) الأعلى مرتبة روحانية، وكان يخشى العلوم الدنيوية التي رأى: أنها تمثل خطراً على الدين، لدرجة انه رفض كتاب (دليل الحائرين) (موسى بن ميمون)، لأنه يعتمد على الفلسفة العقلانية، وعد السرور والطرب والرقص جزءاً رئيساً من عبادة الرب، كما أنها تربط الإنسان بالرب.

٢- حسيدية فشيسحا: وهي حركة حسيدية شكلت مايسمى بـ(التيار الثوري)، وقد أسسها (يعقوب بتسحاق) الذي عرف بلقب (اليهودي المقدس)، وكانت بمثابة المعارضة بالنسبة للحسيدية القديمة.

٣- حسيدية حبد: إذ تأسست حركة حبد الحسيدية على يد الحاخام (شنيور زلمان ملاوي) لتشكل تياراً مستقلاً في الحسيدية لايتجاهل دور العقل، وتعاليم التوراة، ويرفض فكرة (التسامي عن طريق الغوص في الرذيلة)، نشأت الحركة في (بيلاروسيا)، ثم انتقلت إلى (لاتفيا)، ثم (بولندا)، ثم (الولايات المتحدة الأمريكية في العام (١٩٤٠)، وأكبر تجمع للحركة اليوم موجود في الولايات المتحدة الأمريكية، ويليه التجمع الذي في إسرائيل[٤٣]، وهناك نشاط للحركة في أكثر من ثلاثين دولة، وقدر عدد مراكز الحركة في العالم بنحو ألف وخمسمائة مركز، كما لها محطة خاصة في فرنسا، تبث منها برامج دينية، ودروساً في التوراة يومياً[٤٤].

وتبدي الحركة معارضتها للحركة الصهيونية التي ترتكز على أساس: أن يظل اليهود في المنفى حتى يظهر (المسيح المخلص)، إذ انه وحده المكلف من قبل الرب

بإنقاذ (الشعب اليهودي)، والعودة به إلى أرضه لتأسيس (مملكة إسرائيل)[٤٥].

وتدعو حركة حبد الحسيدية إلى استخدام السياسة القمعية مع العرب، وهي تؤيد فكرة (أرض إسرائيل بأكملها)، وعلى الرغم من تعاون هذه الحركة مع الحكومات الصهيونية جميعها، ألا أنها لا تعترف بدولة (إسرائيل)، إذ أنها ترفض إلى الآن الاعتراف بالحدود القائمة، وتطرح شعارات تؤكد على إن دولة إسرائيل هي إسرائيل بأكملها التي أشارت إليها التوراة)[٤٦].

ولقد حققت الحركة نفوذاً واسعاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إسرائيل، فخارج إسرائيل يمارس إتباع الحركة حقوقهم السياسية كمواطنين، إذ يسعى مختلف المرشحين للانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على سبيل المثال للحصول على أصواتهم، وفي داخل إسرائيل تتمتع الحركة بنفوذ كبير، إذ تتبنى مواقف سياسية محددة، ويمارس أتباعها وأنصارها حقوقهم السياسية بحرية، فعلى صعيد الشؤون الداخلية تطالب الحركة بتعديل قانون العودة بهدف ضمان نقاء (الجنس اليهودي المختار)[٤٧]. وعلى الرغم من إن الحركة تعد نفسها حركة غير حزبية، ولم تشارك في إي انتخابات عامة أو محلية، ولم تؤيد رسمياً أية قائمة انتخابية، ألا إن إتباعها كانوا يصوتون دوماً لمصلحة حزب (بوعالي أغودات أسرائيل) عام ١٩٦٥، حينما أمرهم زعيم الحركة (شنيورسون) بالتصويت لمصلحة حزب المفدال، ولعل من أبرز أدوار هذه الحركة أنها قامت بتمويل الحملة الدعائية لـ(بنيامين نتنياهو)* في أخر أسبوعين من حملته الانتخابية عام ١٩٦٥ بفضلها حسم فوزه على (شمعون بيريز)**[٤٨].

للحركة أراء متشددة إزاء العرب، فهي تؤيد فكرة (أرض إسرائيل كلها) على الرغم من عدم اعترافها علناً بدولة إسرائيل، ولهذا ترفض فكرة(الأرض مقابل السلام)، وتطالب الحكومات (الإسرائيلية بضم الأراضي المحتلة، والقيام بحملة (لتلافي إرجاع إسرائيل الأراضي التي حصلت عليها خلال حرب عام ١٩٦٧)، وذلك لان السيطرة اليهودية على كل (أرض إسرائيل) هي شرط مسبق لا غنى عنه لظهور (المسيح المنتظر)، وارتباطاً بهذه الفكرة دعا زعيم الحركة (شينورسون) إلى ترحيل العرب من أراضيهم، بل نادى في تشرين الأول عام ١٩٦٧ بقتل العرب صراحة، كما أيد (شينورسون) حركة (غوش أيمونيم) ومشاريعها الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة[٤٩].

وهكذا وعلى الرغم من ان حركة (حبد) الحسيدية حركة معارضة للصهيونية، ولا تعترف بالدولة، ألا أنها لم تقاطع هذه الأخيرة، بل أن طلاب مدارسها يخدمون في الجيش بعد انتهائهم من دراستهم، كما أن أنصار الحركة يتقربون دوماً من العلمانيين بغية توبتهم باحتساب أن هذا شرط لقدوم المسيح المخلص في نظرهم[٥٠].

الخاتمة:

في ختـام بحثنا الموسـوم بـــ (المعتقدات الدينية والأسـس الفكريـة للحركة الحسـيدية) توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- يمثـل الفكـر الحسـيدي فرعـاً مـن فـروع التيـار الديني الأرثوذكسـي، وإتباعه يتبعون النمط التقليدي للشـريعة اليهودية، إلا إنهـم يختلفون عـن إتباع هذا النمـط في إنهم يتبعون فضـلاً عن مبادئ الشـريعة اليهودية تعاليـم مؤسـس الحركة وزعيمها (اسـرائيل اليعيزر)، الذي أسـس الحركة الحسـيدية في القـرن الثامن عشـر فـي أوربا الشـرقية، إذ أصبـح للحسـيديم تقاليد في العبادة والسـلوك والتفكيـر تختلـف عـن النمـط التقليـدي فهم يركزون في الغناء والرقص والموسيقى كجزء من العبادة.

٢- مـن بيـن أهـم المعتقـدات والافـكار التـي يؤمن بهـا الحسـيدون هي:(الصديق)، فالصديـق له مكانة رفيعة بيـن إتباعه تقترب مـن الإلوهية، فهـو (أبن الله)، ووسـيط بين السـماء والأرض، كما ان حديثه توراة.

٣- يعد الفكر الحسـيدي خروج اليهود من (بلاد الاغيار المدنسـة) إلى (بلاد فلسـطين المقدسـة) شـعيرة دينية وعملاً مقدسـاً، وهذا مادفـع الكثيـر مـن الحسـيديم للهجـرة إلـى فلسـطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بأكثر من قرن من الزمان.

٤- تنطلق الحسـيدية في رفضها للحركة الصهيونية من إن الحركة الصهيونية استبدلت الخلاص الدنيوي البشـري بالخلاص الإلهي، وذلك بدعوتهـا اليهود إلى (العودة) (للأرض المقدسـة) دون انتظار(المسيح)، الأمر الذي يعـد خروجـاً عـن الإرادة الإلهيـة، وتعاليم التـوراة، وكان طبيعيـاً إن ترفض الحسـيدية الدولة التي أقامتهـا الحركة الصهيونية، لأنها دولـة علمانية تقوم على هويـة وثقافة علمانية تتجاهـل هوية اليهود وقيمهم وتعاليـم دينهـم.

٥- للحسـيديم مـدارس دينية (يشـيفوت) كثيـرة حتـى أنهـا في إسـرائيل تبلـغ نصف مجموع المـدراس الدينية فيهـا، ولهم مراكز ثقافيـة خاصة بهـم، فضلاً عن إن للحسـيديم مسـتوطنات كثيرة في إسـرائيل، وبعض هذه المسـتوطنات أنشـأ قبل قيام الدولة.

٦- نشـأت عدة حركات وطوائف استنادا إلـى الفكـر الحسـيدي لعـل أبرزهـا: حركة (حبد) الحسـيدية، وهي حركة مهمة من ناحية العـدد والقـدرة التأثيريـة، إذ تبلـغ أعدادهـا مئات الآلاف، وهم منتشرون في إنحاء كثيرة من العالم، لاسـيما بعد علمنـا أنهم يتركزون في الولايـات المتحدة الأمريكية وإسـرائيل، وتأثيرهـم يتمثـل فـي ان الكثير مـن أفرادهم أثرياء كبار يدعمون مشـاريع هـذه الجماعة ومؤسسـاتها داخل إسـرائيل وخارجها.

الهوامش

1- JacobsL,The Jewish Religion :A companion,Oxford university press ,Oxford,1995,p.218.and look also

٢- ليندسي جونز، وجوناثان إسرائيل، وإسرائيل شاحاك، الديان اليهودية: دراسة في التاريخ والمعتقدات والفلسفة السياسية والأخلاقية مع كتاب الشعب اليهودي، ج١، ترجمة:(علاء عبد الرزاق)، لا مط، بغداد، ٢٠١١، ص ١٤.

٣- ينظر عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية: أنموذج تفسيري جديد، ج٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، الموقع على الرابط الالكتروني: www.elmessiri.com . وكذلك ينظر: جعفر هادي حسن، اليهود الحسيديم، نشأتهم، تأريخهم، عقائدهم، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤.

* إسرائيل أليعيزر: ولد في جنوب بولندا في العام ١٧٠٠، وقضى فيها الجزء الأكبر من حياته، ومات هناك في العام ١٧٦٠، تزوج لأول مرة في سن الخامسة عشرة، ثم ماتت زوجته بعد مدة قصيرة، وبعد زواجه الثاني رحل إلى جبال كرباتيان في أوربا الشرقية، حيث كان يعتاش من حفر الخنادق، وفي تلك المدة مر بتجربة التأمل الداخلي الصوفي، فهجر مكان أقامته، واختلط بالناس، وأعلن إن دعوته الحقة هي: الشفاء بالإيمان، وأصبح طبيباً شعبياً يعمل في الأحجية والتعاويذ. للاستفاضة ينظر: رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل: بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤، ص ٢٤٦.

٤- ديفيد لا ندو، الأصولية اليهودية، ترجمة:(مجدي عبد الكريم)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٦١.

٥- رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠١.

٦ - عبد الوهاب ألمسيري، مصدر سبق ذكره.

٧- الحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني:.www palestine.only.net,21/5/2012

٨- اليهودية والحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني: www.plus.google.com, 28/5/2012

٩- بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة: الحركة الحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني:www.alukah.net,8/6/2012

* كلمة عبرية تعني الطائفة اليهودية في أحدى مدن الشتات اليهودي، وهو يقوم مقام الدولة تجاه المواطنين، فهو يقوم بأجراء الزواج، جمع الضرائب، تمثيل اليهود، وتعيين قضاة المحكمة الحاخامية، وأستمر ذلك إلى العام(١٨٨٤). ينظر: عبد الوهاب ألمسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٥٤.

١٠- الحسيدية، مصدر سبق ذكره.

١١- بليل عبد الكريم، مصدر سبق ذكره.

١٢- رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣-٢٠٤.

* Arnold M. Eisen, Reflections on the state of Zionist Thought, modern Judaism, VoL.18,issue.3, Oxford university, 1998, p.65.

الموقع على الرابط الالكتروني: المكتبة الافتراضية العلمية العراقية:www.ivsl.org,20/6/2012

١٣- عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مد بولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢١٢-٢١٣.

١٤- رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٦، ص ٧٧، وكذلك ينظر: جعفر هادي حسن، مصدر سبق ذكره.

١٥- عبد الوهاب ألمسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ٤١.

١٦- رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧، وكذلك ينظر: ديفيد لا ندو، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

١٧- رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل: بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦. وكذلك ينظر: ديفيد لا ندو، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٤.

١٨- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٩- حركة الحسيديم، الموسوعة الحرة، الموقع على الرابط الالكتروني:.www.wikipedia org,22/6/2012

٢٠- عبد الفتاح محمد ماضي،مصدر سبق ذكره، ص ٢١٤. وكذلك ينظر:

Dan Avnon, The Living center of Martin Buber›s political theory,VoL.21,No.1,sage publications.Inc,1993,pp.65-67.

٢١- رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل: بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

٢٢- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٣.

٢٣- المصدر نفسه، ص ٢١٤.

٢٤- نفسه، ص ٢١٥.

٢٥- رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

٢٦- عزمي بشارة، دوامة الدين والدولة في إسرائيل، مركز الدراسات الإستراتيجية، عمان، ١٩٩٦، ص ١٠.

٢٧- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٧.

٢٨- سفر أشعيا، ٥٢:٣.

٢٩- سفر زكريا، ٤:٦.

٣٠- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥.

٣١- أيان.س. لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من اجل الأرض والرب، ترجمة:(حسني زينة)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩١، ص٣٤.

٣٢- عبد الوهاب ألمسيري، الإيديولوجية الصهيونية، ج١، ط٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨، ص ١١٤.

٣٣- الأصولية اليهودية بين المستند الأسطوري والإستراتيجية العلمانية للدولة، الموقع على الرابط الالكتروني:

www.nooreladab.com, 23/6/2012

٣٤- عبد الوهاب ألمسيري، صهيونية هرتزل، العلمانية، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، م٣، العدد(٤)، ك٢، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٤٠.

٣٥- ثيودر هرتزل، خطاب المؤتمر الأول، في الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية، ترجمة:(لطفي العابد، وموسى عنتر)، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة، ١٠٧، ص ١٢٥.

٣٦- أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢٧.

٣٧- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٣.

٣٨- رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل: بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٨.

٣٩- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧.

٤٠- رشاد عبد الله الشامي،مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٨.

٤١- المصدر نفسه، ص٢٣٩.

٤٢- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٦-٥١٧.

٤٣- حركة (حباد) الحسيدية الدينية: النشأة والأفكار والأهداف، الموقع على الرابط الالكتروني: www.Tishreen.news.sy,9/7/2012

٤٤- شمويل أتينغر، الشعب اليهودي وأرض إسرائيل، في الفكر الصهيوني، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، د.ت، ص ٤٥.

٤٥- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص٥١٧.

٤٦- حركة(حباد) الحسيدية الدينية: النشأة وألا فكار والأهداف، مصدر سبق ذكره.

٤٧- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص٥٢٠.

* بنيامين نتنياهو ١٩٤٩: زعيم صهيوني، ومن ابرز زعماء النخبة الجديدة ان لم يكن أبرزهم جميعاً، ولد في (تل أبيب)، وحصل على شهادة البكالوريوس في المعمار، وماجستير في إدارة الإعمال من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية، عين رئيساً للوزراء العام ١٩٩٦. للاستفاضة ينظر: عبد الوهاب ألمسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، أنموذج تفسيري جديد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧-٢٦٠.

** رئيس وزراء عمالي، ومن أبرز الشخصيات التي تتلمذت على يد (بن غوريون)، ولد في بولندا، ثم هاجر الى فلسطين في العام (١٩٣٤)، عينه بن غوريون خلال المدة (١٩٤٧-١٩٤٨) مسؤولا عن مشتريات الأسلحة، والتجنيد في هيئة أركان الهاجاناه، ثم مسؤولا عن سلاح البحرية في العام ١٩٤٨، ورئيساً لبعثة وزارة الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية في العام (١٩٤٩)، وعمل نائباً لـ(بن غوريون) في وزارة الدفاع (١٩٥٩-١٩٦٥)، وشغل مناصب وزارية مختلفة من العام (١٩٦٩-١٩٧٧)، وخلال المدة (١٩٨٤-١٩٨٦) تولى بيريز منصب رئيس الحكومة، ثم تولى منصب نائب رئيس الحكومة، ووزير الخارجية (١٩٨٦-١٩٨٨)، وفي العام(١٩٩٥) وعلى اثر اغتيال (رابين) شكل (بيريز) حكومة جديدة برئاسته، وأحتفظ فيها بمنصبي: رئيس الحكومة ووزير الدفاع ينظر: عبد الوهاب ألمسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية: أنموذج تفسيري جديد، ج٤، مصدر سبق ذكره، ص ١١٦-١١٧.

٤٨- حركة(حباد) الحسيدية الدينية: النشأة والأفكار والأهداف، مصدر سبق ذكره.

٤٩- عبد الفتاح محمد ماضي، مصدر سبق ذكره، ص٥٢٠.وكذلك ينظر:

Arnold M. eisen, Reflections on the state of Zionist Thought, modern Judaism, VoL.18,Issue.3, Oxford university,1998.

٥٠- الموقع على الرابط الالكتروني:المكتبة الافتراضية العلمية العراقية:.www.ivsL org,11/12/2012

٥١- رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٥.

قائمة المصادر

١ـ الكتب الدينية:

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٩٩.

الموسوعات:

١- عبد الوهاب ألمسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة،١٩٧٤.

٢- عبد الوهاب ألمسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية: أنموذج تفسيري جديد، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٩.

الكتب :

١- اسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨.

٢- أنيس الصايغ (إشراف)، الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية، ترجمة:(لطفي العبد وموسى عنتر)، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة ،١٩٧٠.

٣- ايان.س.لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من اجل الأرض والرب، ترجمة :(حسني زينة)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ،١٩٩١.

٤- جعفر هادي حسن، اليهود الحسيديم: نشأتهم، تأريخهم، عقائدهم، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤.

٥- ديفيد لا ندو، الأصولية اليهودية، ترجمة:(مجدي عبد الكريم)، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩٤.

٦- رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٨٦ .

٧- رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل: بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،١٩٩٤.

٨- عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة ،١٩٩٩.

٩- عبد الوهاب ألمسيري، الإيديولوجية الصهيونية،ج١، ط٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت،١٩٨٨

١٠- عبد الوهاب ألمسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية اليهودية للواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥.

١١- عزمي بشارة، دوامة الدين والدولة في إسرائيل، مركز الدراسات الإستراتيجية، عمان، ١٩٨٦.

١٢- ليندسي جونز و جوناثان إسرائيل و إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية: دراسة في التاريخ والمعتقدات والفلسفة السياسية والأخلاقية مع كتاب الشعب اليهودي، ج١، ترجمة: (علاء عبد الرزاق)،لا مط، بغداد،٢٠١١.

١٣- مجموعة باحثين، من الفكر الصهيوني المعاصر، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، د.ت.

الدوريات :

١- عبد الوهاب ألمسيري، صهيونية هرتزل العالمية، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، م٣، العدد(٤)، ك٢، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٥.

Encyclopedia:

1- Encyclopedia of Zionism and Israel. VoL.1,Herzel press, Newyork,1971.

Books:

1- Jacobs.L,The Jewish Religion: A companion, Oxford university press,Oxford,1995.

الانترنت:

١- الأصولية اليهودية بين المستند الأسطوري والإستراتيجية العلمانية للدولة، الموقع على الرابط الالكتروني

:www.Nooreladab.com,12/8/2009

٢- بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة: الحركة الحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني:
www.alukah.net,16/9/2013

٣- حركة (حباد) الحسيدية الدينية: النشأة والأفكار والأهداف، الموقع على الرابط الالكتروني:

www.Tishreen.news.sy,6/3/2013

٤- حركة الحسيديم: الموسوعة الحرة: الموقع على الرابط الالكتروني:
www.wikipedia,org,14/8/2013

٥- الحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني:

:www.palestine.only.net,10/6/2013

٦- اليهودية والحسيدية، الموقع على الرابط الالكتروني

www.plus.google.com 14/6/2013

7- Arnold M. Eisen,Reflections on the state of Zionist modern Judaism. VoL.18,issue.3, oxford university,1998.

٨- الموقع على الرابط الالكتروني: المكتبة الافتراضية العلمية العراقية

:www.ivsL.org

9- Dan Avnon, The Living center of Martin Buber›s political theory,VoL.21,No.1,sage publications. Inc,1993.

١٠- الموقع على الرابط الالكتروني: المكتبة الافتراضية العلمية العراقية :

www.ivsL.org

Religious bliefs and the intellectual foundations of the Hasidic movement

dr.Abeer siham mahdi

College of political science

Abstract

Hassedia is considered one of the branches of orthodoxy that appeared in the eighteenth century in Europe. It appeared simul tenuously with the miserable plight of the Jews then. By time, this movement is en larged in its members and numbers counted thousands spread in all over the world countries, and having great impact on the Jews world inside and outside Israel. Hassedy movement today has many and various groups each has its own leader and special tutor. One of these largest groups is (Habad) Hassedy movement which opposes Zionism and does not recognize the state of Israel.

Accordingly, The research sheds light on major thoughts and principles of this movement.

مفهوم الاصولية اليهودية

د. فوزي عباس فاضل(*)

لتيـار الأصوليـة الدينية في اسـرائيل دور مهم وحقيقي اصبح بمقدوره التحكم في رئاسـة الحكومة واسقاط الحكومات . ولا يمكن تشكيل اية حكومة في اسرائيل دون مشاركته (رغم أن اعضاء هذا التيار غير معنيين بالسياسة بالمعنى الضيق للكلمة فهـم يهتمون بميزانيتهم بالدرجة الاولـى) وهم يسـتأثرون بوزارات المسـتقبل (التعليـم، الاسـكان ، الأرضـي، المهاجـرون الاديـان) ويتحكمـون فـي وزارة حيوية مثل وزارة التعليم ، ويقال انهم اصبح لهم نفوذ كبير داخـل الجيش فهناك حاخامية عسـكرية تتولى مهمـة التوجيـه الفكري والدينـي داخل القوات المسـلحة وهـي تباشـر كل شـؤون الاحـوال الشـخصية المتعلقة بالعسكريين ،وتشرف على المـدارس العسـكرية الدينيـة ،وتخـرج أجيالاً مسـكونة بالكراهية المطلقة للعـرب كما تتولى الحاخامية إصدار الفتاوى التي تضفي القداسـة على الممارسات والجرائم التي يرتكبها الجنود ضـد العـرب ،وقد اوصـل هـذا التغلغل داخل الجيش عدداً غير قليل من الضباط الارثوذكس إلى مراتب عليا .

وفي بحثنا هذا سـنتناول مفهـوم الأصولية بشكل عام وموقف قوى الأصولية الحريدية من القضية الفلسطينية .

المبحث الاول

مفهوم الأصولية الحريدية

مـن ضمـن التعبيـرات والتعريفـات عـن (الأصوليـة) يعرفها ريتشـارد تابر Richad Tappwer ونانسي تابرNancy Tapper في كتابيهما (بفضل الله فنحن علمانيون)، باعتبارها نظرة إلـى العالم وكلام عن طبيعـة الحقيقية .. يشـتمل على المجال الديني ويتخطاه متسامياً.. ولذلـك فإن كل حركـة أو قضية هـي أصولية بالقوة ، ويضيف (أيان لوستك) «ولذلك فسواء استعمل لفظ الأصولية في وصف البروتستانت الانجيليين في امريكا أو المسلمين الخمينيين في

(*) أ.م.د / مركز الدراسات الدولية

ايران أو الجماعات الثورية من المسلمين السنة في مصر أو اليهود في اسرائيل أو السيخ في مقاطعة البنجاب أو اتباع ما وتسي تونج في الصين أو القائلين بالقومية الطورانية في تركيا فإن الأصولية في هذه الاحوال كلها يمكن أن تفهم باعتبارها نمطاً من العمل السياسي يتسم بعلاقة وثيقة جداً ومباشرة بين عقائد المرء الاساسية وبين السلوك السياسي المصمم على تحقيق تغيير جذري في المجتمع» [١] .

تعد (الحركات الأصولية) من اهم القضايا السياسية – الاجتماعية التي واجهت المجتمعات القديمة والحديثة على حد سواء، لما ينطوي عليه من سلوك ونظرة متميزة لقضايا جوهرية تتعلق بعلاقة الدين بالدولة والسياسة والمجتمع[٢] .

حيث ظهر هذا المصطلح لأول مرة في الولايات المتحدة الامريكية عام(١٨٩٥) كصفة ذاتية اطلقها على انفسهم فريق من البروتستانتيين، بيد أن هذا الرأي لا يستقيم مع البحث لان مصطلح (الأصولية) معتمد من اللغة العربية ومن التاريخ العربي الإسلامي فهي تأتي من(الاصل) فأصل الشيء هو الاساس الذي يقوم عليه ونشوءه الذي ينبت منه و(الاصولي) هو الذي يستنبط الاحكام الشرعية من اصول الدين .

ويبين ان مصطلح الأصولية ليس مصطلحاً دينياً بحتاً إنما يشير إلى ضرب معين من ضروب السياسة المستمدة من المصادر الشرعية ومع ذلك يلاحظ تداخل مصطلح (الأصولية) مع مصطلحات مقاربة لها لعل اهمها مصطلح (السلفية)، إذ أن (السلفية) تحاول أيضاً إخضاع السياسة للمفاهيم والقيم الدينية ، حيث أن (السلفي) هو من يرجع في الاحكام الشرعية إلى المصادر الدينية الاولى ويهدر ما سواها [٣] .

بيد ان هناك اوجه اختلاف عديدة بينهما منها :-

١- إن السلفية ردة فعل على التيارات التغريبية والعلمانية ،بينما الأصولية تعد نزعة فكرية نابعة من الدين ذاته .

٢- لا تأخذ السلفية بالاستنباط العقلي بينما تأخذ الأصولية به، وان الاستنباط العقلي هو استنباط الاحكام الشرعية من الاصول الدينية وتطبيقها على الحياة المعاصرة لتبين أن السفلية هي الرجوع إلى الوراء بينما الأصولية هي دفع إلى الامام .

٣- ترفض السلفية فكرة الثيروقراطية ، بينما تعتمدها الأصولية باحتسابها الاساس الذي يتوقف عليه مجمل نشاطها السياسي .

وفيما يتعلق بالمجتمع الاسرائيلي، فإن (الأصولية اليهودية) تكتسب اهمية فائقة بسبب تكوين الفرد اليهودي الذي امتزجت لدية الحياة الدينية بالحياة الدنيوية لدرجة أن اصبح الدين اساس حياته ومحور شخصيته وذلك لاعتقاد اليهودي بأن اليهودية ما هي إلاّ دين خاص به دون سواه فالذي يقصد (بالأصولية اليهودية) هو نمط من العمل السياسي الذي يتسم بعلاقة وثيقة جداً بين العقائد اليهودية الاساسية وبين السلوك السياسي المصمم على تحقيق تغيير جذري في المجتمع الاسرائيلي [٤] .

وبناءً على ذلك سيشتمل هذا البحث على مبحثين:

المبحث الاول : مفهوم الأصولية الحاريدية

المبحث الثاني : قوى الاصول الحاريدية – الفكر والممارسة السياسية

المبحث الاول : مفهوم الاصول الحاريدية

تعـود جذور الأصولية اليهودية إلى الحاخام (ابراهيم بن اسـحاق كـوك) الذي عين من قبل بريطانيا رئيساً لحاخامي فلسطين من الاشكناز ، شـغل المنصـب حتـى وفاتـه (١٩٣٥) وتمثل الصهيونية بنظرة حركة رجوع اليهود من شتات طويـل مطهر للنفوس كي يسـتعيدوا رسـالتهم الالهية ويحققوا الخـلاص ، وعبر عن الخلاص بمراحل ثلاث الاولى في عودة اليهود من الشتات خوفاً من العقاب الجسـدي في مـكان تواجدهم، والثانيـة لقـاء الشـعب اليهودي في قلـب يهودا وسـامرا التوراتي ، اما الثالثة: فهي الخلاص ، ويدب النشاط في اليهود بفضل احتكاكهم ارض اسـرائيل ويتوبون إلى الـرب ويلتزمون اوامره ونواهيه ويقتربون من المسيح للخلاص بسرعة تتلائـم مـع التزام الشـعب اليهـودي بالفرائض الدينية .

تقوم فكرة المسيح اليهودية على ثلاثة افكار رئيسـية ، تسـتند الاولى والثانية إلـى آيات من (سـفر التثنية والعدد) التي تبشـر بعودة اليهود المتشـردين إلى ارض اسـرائيل، واعـادة بناء حياتهـم الدينية وطقوسـهم، وفي نهايـة الزمان ستشـهد بروز زعيم قوي للشعب اليهودي يهزم كل اعدائـه ،والثالثة : موجودة في كتب الانبياء، فهنـاك نبـوءات متكررة حـول فكرة السـلالة الداوديـة وتؤكـد الهالاخاة انه لا يجـوز لليهود القيام بأي خطوة تعجل من مجيء المسـيح، وان دورهـم يقتصر علـى الصـلاة والتكفير وترك الباقي لمشيئة الرب .

فالأصولية الحاريدية التي سنتناول احزابها علـى صعيـد الفكـر تعد الممارسـة السياسـية وهـي تسـمية تطلـق علـى اليهـود المتدينيـن المغالين الذي يتناقـض فكرهم مع فكر الحركة الصـهيونية العلمانيـة وايديولوجيتها لاعتقادهم انهم مؤمنون.

اليهـود الحقيقيـون بفضـل اطلاعهـم على المصادر الدينية اليهودية وفهمها [٥].

وبمعنـى آخـر :(هـي مجموعـة القـوى الأصولية التـي تؤمن بأن قيام (الدولة اليهودية) يتم بمشيئه الهية على يد المسيح المنتظر ،وترى هـذه القوى والحركات السياسـية ان الصـهيونية العلمانيـة لا تمتلـك قيمـاً دينية ، وإن سـلوكها السياسي غير شرعي[٦] .

فالأصولية الحاريدية تعتمد نسقاً كبيراً من الافكار التـي تميـل إلى التشـدد والتزمت حيـال العديد مـن القضايا، وفي مقدمتهـا الصـهيونية والدولة اليهودية وقضايا الدين والمجتمع ... الخ[٧] .

تعـود جذور قوى الأصوليـة الحاريدية إلى اوائل القرن العشرين وهو التيار الديني المناهض للصـهيونيـة وتجسـد فـي (اغودات يسـرائيل) ففي عام (١٩٠١) باشـر اليهـود (الحريديم) اي المتطرفين دينياً بنشـر الكتابات بشـأن الحركة الصـهيونية [٨] .

حيث واجهت الحركة الصهيونية في بداية نشأتها ودعوتها لإقامة (الدولة اليهودية) في فلسـطين معارضة من قبل قوى الأصولية الحاريدية التي تؤمـن ان العودة إلى (ارض الميعـاد) ، واقامة الدولة اليهودية فيها تتم على يد المسـيح المنتظر وبمشـيئه إلهية، وان اي جهد بشري لتحقيق هذا الهدف يمثل مخالفة لإرادة الله .

لقد سـعت الحركـة الصـهيونيـة لجذب هذه القـوى وكسـب دعمهـا وتأييدهـا لحاجتها إلى الدين اليهودي للترويج لمسـألة (الامة اليهودية) كعامل روحي وتوظيفه في تعزيز حركة الهجرة والاسـتيطان في فلسـطين ، واتبعت الصهيونية

اسـلوب التعاون والتنسـيق مع القوى الحاريدية التي تدعو إلى الالتزام بتعاليم التوراة والمحافظة على التقاليد اليهودية، ومد جسـور التفاهم معها لإضفـاء الشـرعية علـى الحركـة الصهيونية و(الدولة) التي اقامتها على ارض فلسطين[٩] .

إن القـوى الأصولية الحاريديـة تمثلت قبل قيام الكيـان الاسـرائيلي فـي (اغودات يسـرائيل)، (بوعالي اغودات يسرائيل)، (ناتوري كارتا) أما بعد قيام الكيان الاسـرائيلي فقد تعرض الأولان إلى انشقاقات واندماجات لم يكن للفكر السياسي أو للمشـكلة الفلسـطينية دور فيها ، بقدر ما كان للفكر الديني والعامل الاثني اثر في ذلك[١٠].

وعموماً فأن الصفحات الآتية سـوف تعرفنا اكثر على قوى الحاريدية في الكيان الإسرائيلي.

اغودات يسرائيل ... (رابطة إسرائيل)

حركة أصولية يهودية دينية توراتية ,خرجت مـن بين صفـوف حركة مزراحـي العالمية في اعقاب قرار المؤتمر الصهيوني العاشر المنعقد عـام (١٩١١) والقاضـي بتضميـن البرنامـج الصهيوني للنشاطات الثقافية ، وقد شكل مجموعة من الاعضاء المنسـحبة من حركة مزراحي مع مجموعة اخرى من اليهـود المتدينين من التيار الارثوذكسـي حركة جديـدة عـام (١٩١٢) في بولندا عملت تحت اسم اغودات يسرائيل[١١] .

وتألفت الحركة آنذاك من ثلاث مجموعات:

١- المجموعـة الأرثوذكسـية (الألمانيـة والهنغارية)

٢- المجموعة الأرثوذكسية (البولندية)

٣- المجموعة الأرثوذكسية (الليتوانية)

وكان لـكل مجموعة من هـذه المجموعات سماتها الخاصة على الصعد الثقافية والاجتماعية واللغويـة والموقـف من الصهيونيـة[١٢] ، وفي البداية اعتبـرت الحركة الام مهمتها الاساسـية التركيـز فـي التصـدي للحـركات الاصلاحية والصهيونيـة ،حيث كانت تـرى في الصهيونية (خطراً على الدين اليهودي الذي سـيدمر الحياة اليهودية الحقة) كان هذا التصدي هدف الحركة كما اعلنت توحيد اسـرائيل حسب تعاليم التوراة في جميع مظاهر الحياة الاقتصادية والسياسـية والروحية[١٣] .

بدأت نشـاطات الحركة بفعالية في فلسطين عام (١٩١٩م) بإقامة مؤسساتها الخاصة خارج إطار الحكم والإدارة غيـر اليهوديتين ، وبقيت خلال الفترة ما بيـن (١٩١٩-١٩٣٥م) تعارض مفاهيـم الصهيونية لاسـيما المتعلقة منها بفكرة (الدولة اليهودية)[١٤] .

وفـي عهد الانتـداب البريطانـي عارضت الحركة مؤسسـات الاسـتيطان العبري المنظم وقاطعـت الكنيسـت الاسـرائيلي وحاربـت المؤسسـات التعليميـة العبريـة وفـرض اللغة العبريـة كلغـة حديثـة ،الامـر الـذي ادى إلى صدامـات عنيفـة بيـن (اغـودات يسـرائيل) والمعسكر الصهيوني، ووصلت هذه الصدامات أوجها عندمـا أقدمت (الهاغانـاه) على اغتيال زعيم (أغودات يسـرائيل) فـي القدس الحاخام (يعقـوب إسـرائيل دي هان) الـذي أدار حرباً سامة ضد الاستيطان العبري ومؤسساته وضد مؤسسـات الانتـداب البريطانـي، لمحاولاتـه تحقيق تعايش مع العرب[١٥].

ولكـن موقـف (اغـودات يسـرائيل) مـن الصهيونيـة لم يسـتمر طويلاً اذ حـدث انقلاب كامـل في موقفهـا بعـد الاجتماع الـذي عقدته

الجمعيــة الكبــرى لهــذه الحركة فــي ايلول عام (١٩٧٣م)يعد مؤتمــر (مارينباد)،الذي ايد العمل لإقامة دولة يهودية في فلسطين، ومن ذلك الحين اصبحت هذه الحركة منسجمة ومؤيدة للصهيونية بحيث شاركت فما بعد في نشاطاتها الاستيطانية والعســكرية من خلال انضمام افراد الحزب إلى (الهاغاناه)[١٦] .وقــد ادى هذا التوجه الجديد إلى انشقاق مجموعة أطلقت على نفسها اسم (ناتوري كارتــا / حراس المدينة) التــي ما زالت إلى حد الان تعترف بإسرائيل[١٧] .

في تلــك المرحلة كان (اغودات يســرائيل) يشعر بعزلة في السياســة الصهيونية وهو يرى الصهيونيــة (العلمانيــة) تقترب يومــاً فيوماً من تحقيــق اهدافها فــاراد تأمين مصالحــة ، وذلك بالتواجــد والتأثيــر فــي مراكــز صنــع القرار السياسي، وقد تبنى هذا التوجيه الحاخام (يتسحاق مائيــر ليفين) زعيم الحركة في فلســطين الذي شــارك فيما بعد في اللجنة الأمنية التابعة للوكالة اليهودية ،وفي الحكومة المؤقتة بعد الإعلان عن قيام (الدولة)[١٨] .

وعندمــا تم الاعلان عن قيام الدولة اليهودية عــام ١٩٤٨ ،تحولــت حركة اغودات يســرائيل (من حركة دينية توراتية معادية للصهيونية إلى حركــة دينية سياســية متعاونة مــع الصهيونية، وحصلت على تمثيل في مجلس (الدولة المؤقت) الــذي وقع على اعلان (الاســتقلال)[١٩] وشــغل رئيســه الحاخام (ليفين) منصب وزير الشــؤون الاجتماعية من عام (١٩٤٩م) إلى عام (١٩٥٢م)، يمتلك الحزب جريدة يومية هي (هدف اسرائيل) تعبر عن طروحاته الأصولية خلافاً للمفدال فأن زعماء ومؤسسي (اغودات يسرائيل) كافة هم من الحاخامين اليهود ومن اهم شخصياته التاريخية الحاخام (يتسحاق ايزاك هيلفي) هو مؤسس هذا الحــزب في الخــارج ، وهو من اصــل بولندي ضليع فــي العلوم الدينية، والحاخام (ســلومون برويــر) زعيــم اليهــود الارثوذكس فــي المانيا حيث قام بتأسيس جمعية الحاخامين الارثوذكس فيها، والحاخام (يتســحاق مائير ليفين) وهو من مواليــد بولنــدا وكان نشــيطاً في اطــار الحركة هناك بعــد الحرب العالمية الاولى، وتقلد العديد من المناصب طوال مســيرة الحركــة ، اما أهم شــخصيات الحزب الحاليين فهم كل من الحاخام (ابراهام شابيرا) والحاخام (مناحيم بورشي)[٢٠]، ونظراً لطبيعة تكوين حزب (اغودات يسرائيل) وارتباطــه بالحركة العالمية لاغودات يســرائيل فــأن مصدر القــرار يأتي في العــادة من خارج الحزب.

السلطة العليا الفعلية للحزب هي في ايدي ما يســمى مجلس كبار حكماء التوراة (موعيتســت جدولي هتوراه) الذي يمثل المرجعية الرئيســية للحركة وهذا المجلس كباقي مؤسسات (اغودات يســرائيل) لــه ثــلاث مراكــز منهــا اســرائيل ويتكــون مــن (١٥) عضــو بينهــم (٧) اعضاء مــن «الادمورائيم» وتعني بالعبرية (المعلمين) (وهو لقب يطلق على كبار رجال الدين اليهودي مــن الحســيديم (المتشــددين) و(٨) اعضاء من رؤســاء اليشــيفوت (المــدارس الدينيــة التابعة للحزب ومعظمهم ليتوانيين)[٢١].

ينعقد المجلس عندما تكون هناك حاجة للنظر فــي القضايا المتعلقة بسياســة الحزب فقط، ولا تنشر قراراته إلاّ اذا كانت تتعلق بقضايا سياسية هامة .

تتكــون الهيكليــة التنظيميــة فــي (اغودات يســرائيل) من المؤتمر العالمــي للحركة والذي يسمى (هكنســياه هجدولاه) اي الجمعية الكبرى وهي اعلى سلطة سياسية في الحزب، وتتألف من

ممثلي فروع الحزب حيث ان بوسع كل (٢٠٠) عضو انتخاب ممثل لهم في الجمعية[٢٢] وينعقد المؤتمر مرة واحدة كل خمس سنوات ، ويليه اللجنة المركزية للحزب (البريسديوم) ،وتتشكل عادة من (٨٠) عضواً ينتخبون أو يعينون من مجالس الفروع التي يبلغ عددها (٤٠) فرعاً ، وكل (مجلس فرع) ينتخب واحداً إلى ثلاثة مملثين وفقاً لحجمه ، ويلي اللجنة المركزية القسم الاسرائيلي في اللجنة التنفيذية العالمية والتي لها ثلاثة اقسام في كل من نيويورك ،لندن واسرائيل وكل قسم يتألف من حوالي (١٤٠) عضواً .

اما تركيبته العرقية (الاثنية) فأن أغلبية اعضاء (اغودات يسرائيل) ذات اصول اشكنازية (بولندية وهنغارية) ، وهناك تقديرات تشير إلى ان نسبة السفارديم داخل الحزب لا تتعدى (١٠٪) ، ويتضح غياب العنصر السفاردي على صعيد النخبة في (اغودات يسرائيل) اذا علمنا ان معظم المناقشات الداخلية في الحزب تدار بلغة (اليديش) وليس العبرية ، فضلاً عن انه ليس هناك تمثيل للسفارديم في (مجلس كبار حكماء التوراة) .

وعلى صعيد التركيبة الطبقية للقاعدة الاجتماعية (لاغودات يسرائيل) فأن الغالبية من اصحاب الياقات البيضاء العالمين في المؤسسات الدينية وغير الدينية التابعة للحزب فضلاً عن اصحاب المهن الحرة [٢٣] .

بوعالي اغودات يسرائيل ...(عمال رابطة إسرائيل)

تعود بدايات هذا الحزب إلى حركة دينية تابعة للاتحاد العالمي لحركة بوعالي اغودات يسرائيل ، تأسست في بولندا عام (١٩٢٢) في مدينة لودج الصناعية التي يشكل العمال اليهود فيها الاغلبية ،كمنظمة عمالية ضمن إطار حركة (اغودات يسرائيل)[٢٤] ،وكانت الغاية من إنشاء الحركة تطبيق المبادئ الاجتماعية المستمدة من التوراة وتعاليمها في الحياة اليومية لتحصين العمال اليهود ضد المبادئ الاشتراكية [٢٥] .

انتظم بوعالي اغودات يسرائيل في فلسطين كتنظيم عمالي مع تدفق الهجرة اليهودية من بولندا نتيجة لسياسة التمييز الاقتصادي التي انتجتها السلطة ضد اليهود، واشتملت الهجرة على اعداد كبيرة من اليهود الارثوذكس من الطبقتين المتوسطة والعمالية، وعقدت منظمة بوعالي اغودات يسرائيل عام (١٩٢٥م) مؤتمرها التأسيسي ،وفي نفس السنة هاجر إلى فلسطين من بولندا احد القادة السياسيين لبوعالي اغودات يسرائيل الحاخام (بنيامين مينتز)، وبعد فترة أنحل التنظيم واعيد تأسيسه في (تل ابيب) عام (١٩٣٣م) بزعامة اليهودي البولندي (مينتز) والالماني (يعقوب لانراو) ،وانظمت الحركة إلى اتحاد العمال الارثوذكس (هاداتيت) في بتاح تكفا (١٩٣٦-١٩٤٦م) وفي عام (١٩٣٧م) أيدت الحركة إنشاء (الدولة اليهودية) وإقامة المستوطنات ،كما أنظم عدد من اعضائها إلى المليشيا الصهيونية (الهاغاناه) وبعد الاعلان عن قيام (دولة إسرائيل) عام (١٩٤٨م) تحولت حركة بوعالي اغودات يسرائيل إلى حزب سياسي .

تتشكل البنية التنظيمية للحزب من المؤتمر الذي يعد اعلى سلطة في الحزب ولكن عدم انتظام عقده إلا في فترات متباعدة وعدم اجراء انتخابات داخلية قبيل انعقاده،جعل تلك السلطة عديمة التأثير على نهج الحزب ويلي المؤتمر اللجنة المركزية وتتألف من (١٥٥) عضواً ، وتجتمع مرتين في السنة، ويليه اللجنة التنفيذية ومن ثم سكرتارية الحزب التي يترأسها السكرتير العام للحزب.

أنظم الحزب إلى دائرة النقابات في (الهستدرويت) وبقى مرتبطاً بحزب اغودات يسرائيل من خلال تبعيته لسلطة (مجلس حكماء التوراة)، يمتلك الحزب صحيفة (شعاريم) التي تعبر عن وجهات نظره ، لكن انفصال الحزبين بشكل نهائي عام (١٩٦٠) ،اختفى بذلك عن الساحة السياسية بعد عودته للانضمام إلى الحزب الام في أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين[٢٦].

وفيما يخص التركيبة الاثنية فأن الحزب لا يختلف كثيراً من ناحية تركيبته الاثنية وقاعدته الاجتماعية عن اغودات يسرائيل , فالنخبة القيادية في بوعالي اغودات يسرائيل كانت وما زالت من(الاشكناز) وبالتحديد من الاصول البولندية، فهناك تقدير للسكرتير العام للحزب (ابراهام فيرديغز) مفاده ان (٣٠٪) من الاعضاء هم سفارديم و(٧٠٪) من الاشكناز، اما اعضاء الحزب فيقدرون بحوالي (٤٧)الف عضواً ثلاثة ارباعهم من عمال المدن والباقي من العمال في مستوطنات الحزب الزراعية والمستخدمين في مؤسسات التعليم الديني المستقل التابعة للحزب[٢٧].

ان الاختلاف الجوهري بين الحزبين على المستوى الشعبي ، فمنذ تأسيس الحزب بوعالي اغودات يسرائيل في بولندا حدد لنفسه هدف تحقيق الاشتراكية الدينية ، والتي تختلف عن منهج اغودات يسرائيل التي تسمح بظهور الغش الفاحش لرجال الدين، اما الاختلاف الآخر بينهما فيبرز على الساحة السياسية ، حيث اخذت اغودات يسرائيل مواقف متطرفة بينما اتخذ بوعالي اغودات يسرائيل مواقف معتدلة، ومن الناحية السياسية فان بوعالي اغودات يسرائيل – كما يعتبره المتدنيون – هو الحزب الاصلب مبدئياً والاكثر نقاوة وخاصة في مجال المناورات على الساحة الداخلية بينما طغت على اغودات يسرائيل وخاصة بعد دخوله الائتلافات الحكومية صبغة الحزب الذي وراء دعم (خزينة الدولة) لمؤسساته ومراكزه التعليمية [٢٨].

ناتوري كارتا ... (حراس المدينة)

يهود فلسطين وهو ما تطلقه على نفسها هذه الطائفة اليهودية المعادية للصهيونية عداءً شديداً[٢٩] وهي جماعة دينية انشقت عن حزب أغودات بسرائيل عام (١٩٣٥م) ، تعيش في حي (مائة شعاريم – مائة باب) في بني براك بالقدس، وهو المقر الرئيسي للحركة اتخذت اسمها من الكتاب المقدس الذي يسمي اليهود الذين يتفرغون لدراسة التوراة (حراس أسوار المدينة) [٣٠] وتسمى بالارامية (ناتوري كارتا) اي (حراس المدينة).

وتمتاز هذه الحركة بمعاداتها للصهيونية وتنعزل عن اسرائيل ،كونها تمثل قمة الغطرسة إذ انتهكت العهود التي قطعوها مع الرب قبل الخروج وهي ان لا يحاولوا احتلال ارض اسرائيل وان لا يتعجلوا الخلاص وتعتبر هذه الطائفة ، الصهيونية (تمثل الخطيئة القاتلة ضد

الرب ومصير اليهود) ويرون فيها نقيضاً كاملاً لليهودية الحقه ، وان دولة اسرائيل قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الرب وارادته بإعلانهم اقامة الدولة بدلاً من انتظار المسيح المنتظر المخول وحدة اسرائيل لإقامة دولة اسرائيل[٣١] ،هذه الطائفة تقاطع الدولة الصهيونية ورموزها واشاراتها واعيادها وثقافتها وتقاليدها، ويعتبرون ان التعاون مع الدولة (نوع الضلال والكفر الديني) والمشاركة في الانتخابات (عملاً وثنياً)، وهم يقاطعون (حائط المبكى) ويهجرون القدس في الاعياد والمناسبات التي يجتمع اليهود فيها حوله: كعيد الفصد وعيد المظلة وترفض التعامل بالعملة الاسرائيلية التي تحمل صور زعماء صهاينة، ودفع ضرائب ، واداء الخدمة العسكرية ،في الجيش الاسرائيلي ،ورفضت هذه الطائفة الاعتراف باستقلال دولة اسرائيل، ورفضت الاعتراف بالقوانين التي وضعتها الدولة واعلنت ان اعضائها لن يدافعوا عن الدولة اذا ما تعرضت للهجوم ،كما أبدت الحركة رغبتها بتدويل القدس والعيش مع دولة فلسطينية واعتبروا منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني[٣٢].

وابرز من تزعم الحركة كل من الحاخامين (عرام بلاو) الذي كان يعارض المشاركة في المجلس القومي اليهودي ، و(جول) و(تيتلبوم) و(اريه لاف)[٣٣] ويعد حاخام (موشيه هيرش) من اشهر رجال وزعماء هذه الطائفة ،الذي يحمل جوازاً أمريكياً ويرفض الاعتراف بإسرائيل أو حمل جنسيتها، ويتعاطف مع العرب والفلسطينيين[٣٤] ،ويستخدم اعضاء (ناتوري كارتا) اللغة اليديشية في معاملاتهم اليومية ويقصرون استخدام العبرية في الصلاة والتعليم الديني واداء الطقوس والعبادات الدينية باعتبارها لغة مقدسة لا يجوز تشويهها بالاستعمال اليومي.

ويقدر اعضاؤها بعشرات الآلاف في فلسطين وبأكثر من نصف مليون نسمة خارجها[٣٥] وتخضع الحركة من الناحية الشرعية لسطلة دينية تسمى (المجلس الاعلى لحركة حراس المدنية) ،مكون من(٧) افراد، ولمرشدهم الفلسفي الحاخام (متسالبيوم) مؤلف شهير اسمه (ضد اليهودية) .

وقد اعلنت الطائفة عن استيائها لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل،وعبرت عن اعترافها على اعتدال عرفات في مواجهة الدولة الصهيونية وحينما تفجرت وقائع ازمة احتلال العراق للكويت وحرب (عاصفة الصحراء) ،ايدت الطائفة (صدام حسين) وارسلت رسالة كتبها الحاخام (هيرش) إلى وفود كل الدول الاعضاء في الامم المتحدة ذكر فيها (ان الرب يريد ان يطرد الصهاينة من الارض المحتلة ليخفف عن غضبه على الامة اليهودية) . ولكن الامريكين متشبثون بالابقاء عليهم في تلك الارض لذلك فإن الرب اختار (صدام حسين) للانتقام منهم ،وهذا في صالح الامة اليهودية والعالم اجمع[٣٦] .

شاس (حراس التوارة السفارديم)

على ارضية الصراع الطائفي بين اليهود الغربيين (الاشكناز) واليهود الشرقيين (السفارديم) بدأ الحاخام من الطوائف الشرقية بالتكتل [٣٧] بعد ان غدا التمييز الاثني ضد (السفارديم) من جانب نخبة الحكم الاشكنازية واضحاً فإن (مجلس كبار علماء التوراة) لاغودات يسرائيل لم يضم سفارديا واحداً ، وكانت (اليديشية) الاشكنازية هي لغة الحديث فيه ،بل هي احدى شروط الدخول إليه، لذلك

استنجد سفارديو الحزب بزعم المدارس الليتوانية الحاخام (مناحيم اليعازر شاخ) بغية مواجهة هذا التمييز، وعندما فشلت معالجة هذه المشكلة داخل الحزب أعلن مجموعة من السفارديي الحزب إنشقاقهم على (مستوى التركيبة العرقية) عن الحزب الأم عام (١٩٨٣م) وكونوا سلطة دينية خاصة بهم حملت اسم (مجلس حكماء التوراة) [٣٨] ، تزعمها الحاخام السفاردي الاكبر السابق الراب (وفاديا يوسيف [٣٩*])[٤٠] (المولد في بغداد عام (١٩٢٠م) والمعروف عنه تعمقه في دراسة الشريعة اليهودية كان عالماً كبيراً في امور الدين اليهودي ,وقد اصبح حاخاماً في سن الثانية والعشرين وتم تعيينه حاخاماً اكبر للسفارديم في اسرائيل للفترة (١٩٧٣-١٩٨٣م[٤١] .

وفي نفس الوقت كان هناك تيار آخر شبيه يتشكل في مدينة (بني براك بحيث شكلت حركة عملت تحت اسم (حاي) برئاسة الحاخام (رفائيل بنحاسي) (وهو من مواليد افغانستان وخريج مدرسة دينية كان نائباً لرئيس بلدية بني براك)،وقد حظيت هذه الحركة بتأييد الحاخام (مناحيم شاخ) [٤٢] .

في عام (١٩٨٤) اندمجت حركة (شاس) مع حركة (حاي) فظهر الحزب الجديد الذي حمل اسم (شومري هاتوراه سفارديم / حركة التوارة السفارديم), عرف اختصاراً بحركة (شاس) انظم إليه اليهود من الطائفة اليمنية من مؤسسة (هتوراه فشالوم/توراة وسلام)[٤٣] وجاء تشكيل الحزب احتجاجاً على عدم تمثيله في مؤسسات الدولة داخل الكيست الاسرائيلي ،وخاصة بعد ان شعر المجتمع السفاردي بالاضطهاد في جميع مؤسسات الدولة ، ويعرف الحزب نفسه على انه حزب ديني اثني (عرقي) شكل موقفاً سياسياً داخل المجموعة الدينية الاثنية ومن اشهر زعمائها (آربيه درعي) المتقاعد حالياً عضو الكنيست والوزير السابق الذي يبتعد ولو - ظاهرياً – عن مجريات السياسة الاسرائيلية اليوم [٤٤]،ويعرف الحزب على انه حزب ديني وسطي بين الاثوذكسية المناهضة للصهيونية والصهيونية المسحانية ،واصبح اعضاؤها في الحكومة والكنيست .

تهدف حركة (شاس)إلى رفع مستوى معيشة اليهود الشرقيين بشكل عام، لان اسباب نشأة الحزب وحالة اللامبالاة التي عومل بها أبناء الطوائف الشرقية من قبل اليهود الاشكناز في مؤسسات الدولة، تسطير (شاس) على ما يقارب (١٢٠٠) مؤسسة ،تقدم الاموال اللازمة إلى ابناء الطوائف الشرقية المتدينة وغير المتدينة .

يتمتع زعماء (شاس) بجماهيرية واسعة بين اتباعهم ،وتستخدم الحركة اساليب اعلانية تلفزيونية (على النمط الامريكي) لنشر افكارها، شق (شاس) طريقه ليكون منظمة سياسية لها جذورها داخل الدولة، حيث ضم إلى صفوفه عدداً من اعضاء الكنيست ومسؤولي الدولة وأسس شبكة واسعة مستقلة للتعليم عززت من نفوذه ومنحته وضعية مميزة داخل المجتمع[٤٥] حيث تعد (هامعين /المعين أو المنبع) التي يديرها الحزب من انشط المؤسسات التعليمية في الكيان الاسرائيلي ، وتتمتع بمخصصات مالية ضخمة .اما شبكته الاعلامية فتتضمن (١٥) اذاعة خاصة وقنوات تلفزيونية – احداها فضائية – وصحيفة يومية [٤٦] .

ويبدو ان عوامل عدة ساعدت على نمو (شاس) وتقدمه ولعل ابرزها :

لم يطرح شاس نفسه كحزب سياسي يسعى للوصول إلى السلطة بل بصيغه عبر عنها

الحاخـام (درعي) بقوله (حركة شـاس ليسـت حركة سياسية وانما حركة اجتماعية روحية).

طروحاتـه فـي الجانـب الاقتصـادي حيث يدعو إلى اعادة تقسـيم الثـروة ويكون توزيعها اكثر عدالة ونفعاً لليهود الشرقيين وكذلك تركيزه على دعم وتطوير سـائر المدن الفقيرة والاحياء الشعبية .

مهارتـه فـي ادارة الحمـلات الانتخابيـة واساليبه التي لم تستخدم في الدعايات الانتخابية لا في الكيان الاسرائيلي ولا في غيره .

الشخصية الكارزمية لزعيمه الروحي الراب (عوفاديا يوسـيف) الذي يعده انصـاره (حاخام الجيل) .

القيـادة السياسـية للحاخام (آريـه درعي) «الذي جمع بين كونه رجل دين وسياسـياً داهية ومناوراً فذاً ومتقد الذكاء».

قانون الانتخابات الذي فصل بين التصويت للحزب ورئيس الوزراء الذي استفاد (شاس) منه كثيراً [٤٧] اما جمهور (شاس) وقاعدته الانتخابية فهم من الفئات الآتية :

أ - أبناء التوراة السفارديم وخريجي المعاهد الليتوانية التابعة للحاخام (شاخ).

ب- تلاميـذ الحاخاميـن السـفارديم الذيـن يعتبرون الحاخام (يوسيف) زعيماً لهم .

ج- جمهور (التائبين) [٤٨*] من ابناء الطوائف الشرقية .

د- جمهور مهاجري البلدان الشرقية التقليدين والعلمانييـن الذيـن عششـت صـور الظلم في نفوسهم [٤٩] .

امـا أهـم الشـخصيات القيادية فهـم كل من الحاخاميـن (يتسـحاق بيرتـز) مـن مواليـد المغرب،شـغل موقع رئيس قائمة هذه الحركة، وعضو الكنيسـت ووزيـر الداخليـة و(يعقوب يوسيف) وهو خريج مدرسة دينية ترأس مدرسة القضـاة الدينيين والحاخامين في بيت شـميش، رئيـس المدرسـة الدينية لتأهيـل الحاخامين في القدس و(شـمعون بن سـلومو) (وهو من مواليد اليمن وخريج مدرسة دينية) [٥٠]

إن مؤرخي (شـاس) والسياسة الاسرائيلية يرون بالإجماع ان (شاس) أسست ما عرف فيما بعد بالصهيونية الحاريدية ،وهو نموذج جديد لم يسبقه مثيل في السياسة الاسرائيلية ومن الجدير بالذكر ان دخول (درعي) للسجن وتغير القيادة في الحركة بدأت بتلـك الصرعات الخفية داخل الحركة، والتي ادت في النهاية إلى اعلان قسم من المنشـقين عن (شاس) في تشرين الاول من عام (٢٠٠٢م) وعـن اقامة حركة جديدة هي «أهفات يسرائيل» وتعني بالعبرية (محبة اسرائيل) تحت لواء الراب الشـهير موزع البـركات والحجب، الراب (كدوري) وهو عراقي الاصل [٥١] .

ديغل هتواره ... (لواء التوراة)

لـواء التـوراة تكتل اصولي متعصـب دينياً يمثل اغلبية الطوائف الحاريدية الليتوانية يصفه المختصون باعتباره المقابل الاشكنازي لحركة (شـاس) السـفاردية بأهدافـه فـي كل القضايـا السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة, أسسـه الزعيـم الروحي للطوائـف الحاريدية الليتوانية الحاخام (مناحيم أليعازر شـاخ) عشية انتخابات الكنيسـت الثاني عشـر عام (١٩٨٨) [٥٢] بعد ان ادعى زعيم حركة (حبد الحسـيدية) [٥٣*] المقيم في نيويـورك ادمور السـابع الحاخـام (مناحيم ميلوفيتس) بأنه المسـيح المنتظر في حين ادعى مؤيديه انه هو ذاك فعلاً مما أثار غضب الحاخام (شـاخ) وانتظر من حسيدي (أغودات يسرائيل)

تكفيـر (ميلوفافيتـش) ومؤيديه ولمـا لم يقدموا على هذه الخطوة اعلن انشـقاق الليتوانيين عن الحزب [٥٤] .

يبدو ان الحاخام (شـاخ) لعب دوراً اساسـياً في حدوث هذا الانشـقاق ،لانه وقف موقف المؤيد لانفصـال الحركة عـن الحـزب الام، وعندما اسـتقال (اسـحاق بيرتـس) مـن حزب شـاس لأسباب شخصية انسحبت معه بنجاح (موریاه) الذي انظم بدوره إلى تكتل (لواء التوراة) [٥٥] .

ولهذا التكتل مرجعية دينية الا وهي مجلس حكمـاء التـوراة ، وهي مسـتقلة عـن المجلس الخاص باغـودات يسـرائيل والمجلس الخاص بحزب شـاس ويتـرأس هـذ المجلـس الحاخام (شاخ) [٥٦] .

قـد لعب هذا الحـزب دوراً مؤثراً في تغيير المعادلة السياسـية داخل اسـرائيل لصالح تكتل الليكود وتحكم في مسـار العملية الانتخابية إلى الحد الذي اهاج العديدين ضده [٥٧].

تعـد افكار الحاخام (شـاخ) بمثابـة مبادئ لهذا الحزب وهي :

أ- ينزع عن الدولة اي قيمة مقدسة .

ب- يعتقد بقدوم المسيح المنتظر .

ج- التـوراة هي التي حافظت على الشـعب اليهودي لا الدولة [٥٨] .

ادى اسـتفحال نفوذ (شاخ) الذي اهاج العديد من القوى السياسية وعلى راسها (حزب العمل) ضده من جهة، وتعاليمه على التجمعات الشرقية من اليهود الذين اعتبرهم (غير ناضجين بعد تسلم القيـادة السياسـية أو الدينية في الدولة) من جهة اخرى ,إلى محاصرة سـطوة هذا الزعيم وتجمع الخصـوم في مواجهته وفي انتخابات الكنيسـت الثالث عشر عام (١٩٩٢م) حاول فرض شروطه على الائتلاف الحكومي الجديد بعد ان فشـل في تتويج زعيم اليمن رئيسـاً للحكومة ، كما فشـل في ابعـاد حركة (ميتس)عن الائتلاف الحكومي أو حجب وزارة التعليم والثقافة عن (شـولاميت الونـي) الوزيـر العلماني، ثم جاء فشـله الاكبر في منع حركة شـاس - وقد كان احد مؤسسيها- مـن دخول ذلك الائتلاف علـى الرغم من حملة التشـهير الاعلامـي الصاخبة التي شـنها على الحركة فيما اعتبر (موتا للوصاية الاشـكنازية) وتتويجاً للحاخام (عوفاديا يوسـيف) ككبير لقادة الجمهور الديني في البلاد وفي العالم [٥٩] .

يهوديت هتواره ... (يهود التوراة)

وتعنـي بالعبرية (يهـود التوراة) وهي تسـمية اطلقـت علـى كتل تكونـت من تكتـل الحزبيين الحاريديين الاشـكنازيين (أغودات يسـرائيل)، و(ديغول هتواره) قبيل انتخابات الكنيست الثالث عشـر عـام (١٩٩٢م) تمهيـداً لإعـادة التوحيد، وخاصـة بعـد ان خفت حـدة المؤثر الـذي دفع الليتوانيين إلى الانشقاق من الحزب الام .

انشـغل (أغودات يسـرائيل) الـذي اضحى حسـيدياً بمرض الحاخام (مناحيـم ميلوفافيتش) أكثـر من انشـغاله بكونه مسـيحياً أم لا هذا من جانب ومن جانب آخر كانت هناك –شاس- وهي القوة الحاريدية السفاردية التي اخذ حجمها ينمو باضطراد على حساب الحاريديين الاشكناز الذين بانقسـامهم اصبحوا اضعف، لذلك آثر الحزبان (أغودات يسـرائيل) و(ديغول هتـواره) خوض الانتخابـات ضمـن إطـار كتلة واحـدة حملت اسـم (يهوديت هتواره ... (يهـود التوراة) التي خاضـت الانتخابات كل من الاعـوام (١٩٩٢، ١٩٩٦، ١٩٩٩، ٢٠٠٣ م) ولـم يتعـد رصيدها عن (٤) [٦٠] .

المبحث الثاني

موقف قـوى الأصولية الحريدية مـن القضيـة الفلسـطينية

في اطار دراسـة قوى الأصولية الحاريدية في الكيـان الاسـرائيلي ،كنـا قد اوضحنـا دور كل حزب في السلطة ،سواء كنا على صعيد مشاركته بالكنيسـت الاسـرائيلي أو على صعيد مشاركته بالحكومة الاسرائيلية ، ولابد من الاشارة هنا ان موضوع بحثي للقوى الأصولية الحاريدية كانت قاصرة على تلك الممثلة في الكنيست الاسرائيلي، ومن الافضل ان لا نغوص في اسـتعراض كافة القـوى التـي ظهرت علـى الخريطة السياسـية الاسـرائيلية ،ذلك لان الخريطـة قد اثقلتها كثرة الاحزاب وتعددها نتيجة الانشـقاقات المتواصلة داخل القوى السياسية في الكيان الاسرائيلي وقد كان من الضروري ان نستعرض في نفس الوقت موآقفها السياسـية خصوصاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية [٦١].

تـرى القوى الأصولية الحاريدية ان القضية الفلسـطينية والاراضي المحتلة عـام (١٩٦٧م) عبارة عن مسـألة سياسـية أمنية من اختصاص (الحكومة الاسـرائيلية) هي التي تقرر مستقبل هـذه الاراضي طبقـاً للمتطلبات الامنيـة ، وقد أجازت هذه القوى الانسحاب الاسرائيلي الجزئي من الاراضي العربية في الضفة الغربية انطلاقاً مـن نظـرة دينية تقـوم على ان هذا الانسـحاب يؤمن الحماية للعنصر اليهودي من خطر سـفك دمه ،وحياة اليهودي في نظرهم امر يسبق مسألة الحفاظ على الارض .

امـا موقفهم تجـاه عـرب الأرض المحتلة فأنه يتسـم بالغموض وعدم الوضوح، فهم لم يحددوا نوع الحقوق السياسـية التي يمكن للعرب التمتع بهـا في (اسـرائيل) كمـا يرفضون فكـرة قيام دولـة فلسـطينية لأنها على وفق نظرهم تشـكل خطراً على حياة اليهود فضلاً عن تعارضها مع الشريعة اليهودية [٦٢].

كان القلق الامني قد انتاب (أغودات يسـرائيل) شأنها شأن القوى السياسية في الكيان الاسرائيلي قبيـل حـرب حزيـران عـام (١٩٦٧م) الامـر الـذي دفعها إلى تأييد سياسـات الحكومة الامنية واجراءاتهـا العسـكرية ، ومـا ان ظهرت نتائج الحرب حتى وجدت قـوى الأصولية الحاريدية ان تلـك النتائج فوق توقعاتها بكثير، وانها عدت (كمعجزة) بل ان العلمانيين اكدوا ان قوى غيبية كانـت وراء تلـك النتائـج الامر الـذي دفع تلك القـوى إلى اضفاء مسـحة روحانية على الكيان الاسرائيلي الذي لم تمنحه الشرعية الدينية [٦٣] .

بل ان (أغودات يسرائيل) دعا إلى استثمار نتائج حرب(حزيـران ١٩٦٧م) مـن اجل اسـتقطاب المزيـد من يهـود العالـم إلى فلسـطين المحتلة وتوطينهم فيها [٦٤] .

إن حزب (أغودات يسرائيل) أيد حرب (حزيران ١٩٦٧م) والحـروب الإسـرائيلية اللاحقة وهو يتبـرع في كل مـرة لإصـدار الفتـاوى الدينية للأعمـال الحربيـة الاسـرائيلية وللجرائم التي يقترفها الجيش الاسـرائيلي ،وفـي نفس الوقت ايد اتفاقيـات كامب ديفيـد والموقف من منظمة التحرير الفلسطينية [٦٥] .

تجدر الاشارة إلى أن (أغودات يسرائيل) لم تكن نشـأته استيطانية أساساً ،وليس له أي نشاط اسـتيطاني ,فهو حزب يتركز جمهوره الاساس فـي المدن وفي بعض احيائهـا ، كما انه ليس له أية مستوطنات في الاراضي العربية المحتلة عام (١٩٦٧م) [٦٦]نظراً لعدم وجود حركة استيطانية تابعة له [٦٧] .

وفـي اعقـاب قيام اسـرائيل اكـد (أغودات يسـرائيل) رفضه إعادة اي جزء من الاراضي العربيـة المحتلة [٦٨] وخاصة تلك الاجنحة التي كانت متأثرة بحركة (حبد الحسيدية) التي كانت موجودة في (أغودات يسرائيل) وانتقلت معه إلى (يهوديت هتواره)حيـث الرفض المطلق لإعادة اي شبر من الاراضي العربية المحتلة [٦٩] وهذا ما عبر عنه الحاخام (شنئير سون) بقوله (نرفض اعادة مناطق منحنا اياها العرب وبالذات شـرق القدس حيث هناك حائط المبكى)[٧٠] ، كما كرر الحزب مراراً رفضه لفكرة قيام دولة فلسـطينية مستقلة وفقاً للمنطق .

وتأسيساً على ذلك صوت (أغودات يسرائيل) إلـى جانب مشـروع بيغن (للحكـم الذاتي) لدى طرحه على الكنيسـت الاسرائيلي لان ذلك على حد زعمهم يحول دون سفك الدماء ،يجلب النجاة للالاف من ابناء اسرائيل .

وينطلـق (أغـودات يسـرائيل) فـي تحديد موقفه من التسوية من منطلقين اساسيين هما :

١- ان الارض المقدسـة قد منحت (للشـعب اليهـودي من الرب ميثاق ابدي) ، لذلك لا يجوز شرعاً التنازل عن اي جزء منها .

٢- إن فكرة السلام تتوفق مع روح انبياء بني اسـرائيل ومع نصوص الشريعة اليهودية القائلة (إن انقاذ الارواح يرتفع فوق كل شـيء) ولذلك يجوز (أغودات يسـرائيل) شـرعاً التوصل إلى تسـوية مع العرب حفاظاً على الارواح اليهودية ولكن دون التفريط (بالارض المقدسة) [٧١] .

وفي اول مقترح تقدم به الحزب لحل المشكلة الفلسـطينية هـو (توطيـن اليهود فـي المناطق المحررة إلى اقصى حد) [٧٢]. واثناء المفاوضات التسوية العربية – الاسرائيلية التي بدأت منذ عام (١٩٩٢م) ،نجد ان (أغودات يسـرائيل) قد عاود الحديث عن الوعد الالهي لشعب اسرائيل وحقه في ارض فلسطين، ودعا الى عدم تسليم اي جزء منها إلى حكم اجنبي ، وعدم ازالة المستوطنات، وان تكون اسرائيل هي الطرف الوحيد بين النهر والبحـر الا انه مع ذلك لم يعد الحديث تماماً عن امكانية التسـوية بشـرط ان ترعى تلك التسوية الاحتياجات الامنية لاسرائيل وتضمن الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة ،ومهما يقال عن هذه المواقف من تناقض أو ازدواجية الا إنها تكشف عن امكانية ايجاد الحلول الوسطى لدى (أغودات يسـرائيل) حيال الصراع العربـي –الصهيوني عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً[٧٣] .

أمـا (بوعالـي أغـودات يسـرائيل) فلـم يكـن له دور فاعـل في اقامة المسـتوطنات في الاراضـي العربية المحتلة عام (١٩٦٧) فقد اقام المستوطنتين فقط في الضفة الغربية ساهمت في بناء احداهمـا (غوش إيمونيوم) ولكنه ظل يؤكد على ضرورة تكثيف الاسـتيطان وتوسـيعه في جميع انحاء فلسطين المحتلة [٧٤] .

وقـد قـرر فـي برنامجـه الانتخابـي لعـام (١٩٧٧م) ان ارض اسرائيل التي اعطاها الرب لشعب إسرائيل اخذت منه بالقوة ، وقد شرده منها المحتلون على مر العصور ، لكن شعب اسرائيل لم يتنازل عنها وقد ارادت العناية الالهية لشـعب اسـرائيل ان يصد المعتدين عام (١٩٦٧م) ويعيد القدس لشـعبها ويحـرر معظـم (ارض الوطن التاريخي) [٧٥].

إن (بوعالـي اغودات يسـرائيل) كان اكثر قـوى الأصولية الحاريديـة وضوحاً في رفضه القاطـع لقيام دولة فلسـطينية ، بل ورفضه لأي سبيل يعتقد انه يفضي اليها [٧٦]،بل انه اعرب عن قلقه مما ستسفر عنه مباحثات (جنيف) التي تلت حرب (ترشين عام ١٩٧٣م) من تنازل اسرائيلي

عن الاراضي المحتلة عام (١٩٦٧م) ، وبالشكل الـذي يزيـد مـن تعرض حيـاة الفـرد اليهودي للخطـر مـرة اخرى، لذلك شـجب مـا وصفه «بالتنازلات» التي قدمتها الحكومة الاسـرائيلية (للدول المجاورة وذلك لان الحكومة بهذا تخالف الوعد الالهي) [٧٧] .

وعندمـا تحقـق الهدف الصهيونـي في ايار (١٩٤٨م) بالإعـلان عـن قيام (دولـة يهودية) في فلسـطين، رفضت الحركـة الاعتراف بتلك (الدولة) أو المشاركة في مؤسساتها [٧٨] .

كما احتج اتباعها على اطلاق اسم (اسرائيل) على تلك الدولة، ذلك لان اسم (اسرائيل) ينطوي على مضمون روحي مقدس لا يجدونه في الدولة العلمانية القائمة ،وعندما تحتفل اسرائيل بذكرى تاسيسـها أو ما يسمونه (عيد الاسـتقلال) يرفع اتبـاع الحركـة الريات السـوداء علـى منازلهم دلالة على الحزن وعدم الرضا [٧٩] حيث تجنبوا المناطق كافة التي احتلها الكيان الاسـرئيلي في حـرب (١٩٦٧م) بل انهم اعلنوا الحداد على اثر الحرب ونتائجها ، ورفضوا حتى زيارة الاماكن اليهودية المقدسـة و(حائط المبكـى) لان القدس «فتحت بالقوة » وبإجراءات لا شـرعية ،وعلى الرغم من ان حي(مئة شعاريم) مركز استيطان (ناتوري كارتا) لا يبعد عن (حائط المبكى) سوى اقـل من ميل واحد فأن اتبـاع الحركة لم يقتربوا منه، وعندما تحل الاعياد الدينية ويتوافد الالاف من الزائرين اليهود إلى الحائط فان اتباع الحركة يستأجرون السيارات لنقلهم بعيداً عن الحائط إلى ضواحي القدس[٨٠] .

إن (ناتـوري كارتا) ترفض اساسـاً وجود الكيان الاسـرائيلي ، فقد ظلت تطالب بإنسحاب اسـرائيلي من الاراضي العربيـة المحتلة ,وفي رسـالة وجهها الحاخام (هيرش) إلى (اسـحاق رابين) الذي كان رئيساً لوزراء الكيان الاسرائيلي أكـد فيهـا بأنـه لا يعتـرف بـه كرئيـس للدولة الصهيونية ولكنه يتوجه إليه كيهودي، طالباً منه ان ينسـى ميوله للصهيونية ومن الافضل لليهود الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة .

بقـى ان نذكـر ان (ناتـوري كارتـا) ايدت ورحبـت بالاقتراح الذي قدمه (ياسـر عرفات) الرئيس السـابق لمنظمـة التحرير الفلسـطينية فـي خطابه امـام الجمعية العامـة للامم المتحدة (١٩٧٤م) الرامـي إلـى اقامة دولـة علمانية في فلسـطين فالحاخـام (هيرش) بعث برسـالة إلى (عرفـات) بيـن فيهـا ترحيب الحركـة باقتراح منظمـة التحرير الفلسـطينية حـول اقامة دولة تعايش فيها العرب واليهود في ظل حكومة تمكن اليهودية من الازدهار[٨١].

وفي عام (١٩٨٥م) اعلنت (ناتوري كارتا) عـن ترحيبها بما عرف بالخيـار الاردني الذي طرح من خلاله اقامة اتحاد فدرالي بين الاردن والضفة الغربية ، واجتمع ممثلون عنها برئاسة الحاخام (هيرش) بمسـؤول أردني طالبين منه ضم احيـاء (مئة شـعاريم) وضواحيها للاتحاد المقتـرح من الاردن من اجـل التخلـص مما وصفته «بالأسـر الصهيونـي»، كما إنها شـجبت (مشـروع بيريز) واعلنت تأييدها للجهـود والمسـاعي الفلسـطينية[٨٢].

ان حل المشـكلة الفلسـطينية لـدى (نتوري كارتا) يتمثل في إزلة الكيان الاسرائيلي واليهود (غير الحقيقييـن/ الصهاينة) مـن على خارطة فلسطين ، ليعود الفلسطينيون من (يهود حقيقيين) ومسـيحيين ومسـلمين متعايشـين سـلمياً مثلما تعايشـوا منذ ان ظهرت الديانـات الثلاث، وهذا ما دفعها إلى دعم المقاومة الفلسـطينية للاحتلال الاسـرائيلي، وانتقاد الولايات المتحدة الامريكية

لدعمها الكيان الاسرائيلي وترحيبها بالصواريخ العراقية التي دكت اهدافاً اسرائيلية عام (١٩٩١م) بيد ان موقف (ناتوري كارتا) هذا يجب ان لا يدفعنا إلى التفاؤل، فشانها شأن قوى الأصولية اليهودية جميعاً ، تنتظر قدوم (المسيح المنتظر) ليقيم (ملخوت يسرائيل / ملكوت اسرئيل) التي عاصمتها (أورشليم /القدس) ومركزها (ارتس يسرائيل/ أرض يسرائيل) وحدودها من النيل إلى الفرات ,وقادتها (الشعب المختار) [٨٣].

اما موقف (شاس) فأنها ليست متطرفة بما يتعلق (بأرض اسرائيل) بل إنها تعترف بوجود قضية فلسطينية وانها على استعداد لأجراء تنازلات اقليمية لحلها [٨٤] الا إنها ترفض رفضاً قاطعاً قيام دولة فلسطينية مستقلة اذ ان هذه الدولة ستشكل خطراً شديداً على وجود (دولة اسرائيل) ولكن اذا كان لابد من قيام دولة فلسطينية خارج حدود (اسرائيل) فأن اقامتها ستلقي الترحيب[٨٥].

لقد نال (ايهود باراك نصيباً وافراً من شتائم الحاخام (يوسيف) وانتقاداته فهو لديه (العنزة الجرباء) ،ويبدو ان مرد تلك الانتقادات والشتائم تعود بسبب اشتراكه في مفاوضات مع الجانب الفلسطيني بغية ايجاد تسوية سليمة للمشكلة الفلسطينية مما دفع الحاخام (يوسيف) إلى انتقاده قائلاً هذا النبي آدم لاعقل له ؟ انه يركض خلفهم بجنون فقط ليصنع سلاماً ،أهذا سلام؟

مضيفاً ان (باراك) يريد بحماقته ان يصنع سلاماً مع افعى[٨٦] حيث ترى (شاس) ان ارض اسرائيل كلها تابعة لشعب اسرائيل بحكم وعد التوراة ،ويجب عدم اعادة اية منطقة للعدو ، ومواصلة تعزيز زخم البناء والمستعمرات في اجزاء الاراضي الاسرائيلة كاملة ، ومع هذا فانها لم تغلق الباب امام اية تسوية سياسية على حساب التخلي عن بعض المناطق المحتلة[٨٧]

اما الحاخام اسحاق بيرتس فقد اوضح ان الحركة على استعداد للتنازل عن هذه المناطق أو تلك من اجل السلام [٨٨].

وجاءت انتفاضة الاقصى لتكشف بوضوح عن الموقف الحقيقي (لشاس) حيال الفلسطينيين، بعد ان بات الحزب ينزلق اكثر فاكثر باتجاه اليمين ويعلن بشكل سافر عن معادة العرب [٨٩]، حيث واصل (شاس) دعوته إلى: « مواصلة وتعزيز المستوطنات لمختلف اجزاء ارض اسرائيل كافة » [٩٠] ،حيث ترفض (شاس) اي انسحاب اسرائيلي من اراضي العربية الواقعة تحت سيطرة الإسرائيليين .ولكن الأصولية الحاريدية لا تجيز الانسحاب من « الاراضي المقدسة» إلاّ للحفاظ على ما هو « أقدس » منها وهو «الفرد اليهودي » وهذا الموقف أوضحه الحاخام (عوفاديا يوسيف) بشكل واضح حينما واصل القول» انه لو استطعنا ان نعيد هذه المقاطعات التي قمنا باحتلالها إلى اصحابها تجنباً الحرب وإراقة الدماء » [٩١] ، وعلى هذه ارضية حددت (شاس) موقفها من القضية الفلسطينية اثناء المفاوضات التسوية العربية - الاسرائيلية لعام (١٩٩٢م)، اذ إنها على الرغم من حرصها على إظهار بعض التشدد بصدد هذه المسألة من حيث تأكيدها على حق اليهود في الاستيطان في تلك الاراضي، ورفض اقامة دولة فلسطينية داخلها الا انها لم تتحدث عن (وحدة ارض اسرائيل) وقبلت مبدأ (الارض مقابل السلام) بشرط ان يتم ذلك في استفتاء شعبي، يجري قبل توقيع السلام ولذلك عندما عرض اتفاق (غزة – اريحا) على الكنيست الثالثة عشر فان (شاس) لم تبد اي اعتراض عليه .وعلى هذا الاسس يمكن القول ان (شاس) تتطلع إلى بناء دولة يهودية خالصة استنادا إلى مبررات توراتية، الا إنها تمتلك

مفاهيم خاصة تجاه هذه المسالة ،فهي تتباين ،في موقفها حيال ترتيب الاوليات،اذ ترى ان حياة الإنسان اليهودي هو في مقدمة القيم الروحية جميعاً ، وهي تسبق مسالة المحافظة على التوراة وتسبق المحافظة على ما يسمى بوحدة (ارض اسرائيل) لذلك فأنها ترى ضرورة الانسحاب من المناطق العربية المحتلة عام (١٩٦٧م) وايجاد حل مناسب لسكانها اذا كان ذلك يحمي العنصر اليهودي من خطورة سفك الدماء[٩٢] .

اما موقف (ديغل هتواره / لواء التوراة) من القضية الفلسطينية فيلاحظ انه يتطابق إلى حد كبير من موقف (شاس) ،وذلك لان الحاخام (شاخ) الذي كان زعيماً لحركة (شاس) قد اصبح الزعيم الروحي الذي يوجه السلوك السياسي لحركة (لواء التوراة) خصوصا بعد خروجه من حركة (شاس) لقد كانت بصمات (شاخ) واضحة على موقف هذه الحركة رغم توكيده على حق اليهود (ارض اسرائيل) [٩٣].

حيث واصل (ديغل هتواره) دعوته إلى التوسع فقي بناء المستوطنات ،ورفضة قيام اي دولة فلسطينية منفردة في الاراضي العربية .الا انه كان يردد دائماً على لسان زعيمه (شاخ) دعوته إلى التسوية والتفاوض حتى ولو اقتضى الامر الانسحاب من المناطق العربية المحتلة عام (١٩٦٧م) ،بل انه كان من أوائل القوى الأصولية الداعية إلى التفاوض مع (منظمة التحرير الفلسطينية) من اجل منع المزيد من سفك الدماء[٩٤].

حيث اكد (شاخ) بأن المسألة لا تتعلق بالأرض، بل ببقاء الشعب اليهودي، ذلك أن الحفاظ على حياة الفرد اليهودي تأتي في مقدمة القيم الروحية كلها وهي تسبق مسألة المحافظة على التوراة والارض[٩٥].

ذهب الزعيم السياسي للحزب (ديغل هتواره) الحاخام (ابراهام دافيتس) إلى حد الموافقة على التخلي عن مناطق محتلة ، وإقامة دولة فلسطينية متروكة السلاح ، وأعرب عن استعداده لتأدية التحية لعلم هذه الدولة [٩٦] .

وبناءً على ما تقدم , يتبين ان قوى الأصولية الحاريدية وهي بصدد طروحاتها المتعلقة بتسوية القضية الفلسطينية ومشكلة الاراضي العربية المحتلة لعام (١٩٦٧م) قد انقسمت على نفسها في اتجاهين اساسين هما :

الاتجاه الاول : - وهو الاتجاه الذي تمثله اغلبية قوى الأصولية الحاريدية (اغودات يسرائيل ، شاس، وديغل هتوراه) هذا الاتجاه وان كان قد تحدث عن الرباط الالهي المقدس الذي يشيد بـ (الشعب اليهودي) إلى ما يسمى بـ (ارض اسرائيل) الا انه لم يذهب كما هو الحال الأصولية الصهيونية إلى حد القول بانه لا يمكن تحقيق النهضة والبعث الدينيين للشعب اليهودي الا في فلسطين وحدها انما اكد على انه يمكن ان تتحقق النهضة الدينية حتى في «الشتات» .

ولذلك تردد اصحاب هذا الاتجاه في اضفاء الشرعية على (الدولة الاسرائيلية المعاصرة) كونها ليست ضرورة حتمية للنهضة الدينية ، فضلاً عن إنها لم تنشا على يد المسيح (المسيح المنتظر) الا إنها في نهاية المطاف تعاملت مع هذه (الدولة) تعاملاً واقعياً واضفت عليها نوعاً من الشرعية والاعتراف الواقعي ، وراحت تدافع عن وجودها ، ومن هذا المنطلق اضحت القضية الفلسطينية ومشكلة الارضي العربية المحتلة عام (١٩٦٧م) بالنسبة للقوى الحاريدية ليست مشكلة دينية بقدر ما هي مشكلة سياسية – امنية، يختص بها رجال الحكم في اسرائيل، الذين يقررون مستقبل هذه الاراضي طبقاً

للمتطلبات الامنية للدولة،الا إنها من ناحيتها كانت قد جوزت الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة وفقاً لمبرر ديني مفاده ان ذلك الانسحاب يحمي العنصر اليهودي من خطورة سفك الدماء [٩٧] اذ يرى اصحاب هذا الاتجاه ان حياة الإنسان اليهودي في مقدمة القيم الروحية كلها وهي تسبق مسألة المحافظة على التوراة والارض لانه بدون يهود يحافظون على التوراة لا توجد يهودية اصلاً .

اما موقف اصحاب هذا الاتجاه من عرب الاراضي المحتلة فيشوبه نوع من الغموض ، فهم وان كانوا قد قبلوا بفكرة (التعايش السلمي) مع العرب الا انهم لم يوضحوا فحوى الحقوق السياسية التي من الممكن ان يتمتع بها العرب في (اسرائيل)، خصوصاً وانهم يرفضون اي حل سياسي قد يسفر عن اقامة دولة فلسطينية مستقلة فوق تلك الاراضي باحتساب إنها تشكل خطراً محدقاً على حياة الإنسان اليهودي في (اسرائيل) فضلاً عن تعارضها مع نصوص الشريعة اليهودية.

الاتجاه الثاني:- وهو الاتجاه الذي تمثله حركة (ناتوري كارتا) التي لا تعترف اطلاقاً بالدولة الاسرائيلية المعاصرة ,بل تحسبها خطوة سياسية معرقلة لظهور (المسيح المنتظر) الذي يحق له وحدة انشاء الدولة الاسرائيلية وقيادتها ولذلك فان اتباع هذه الحركة ما زالوا ينتظرون ظهور المسيح وبالتالي فانهم لا يرون اي مغزى ديني لمسألة الاقليم الجغرافي ,بل ان من المهم لديهم هو العيش في الاراضي المقدسة بغض النظر عن الجهة التي تحكمها لان مجرد العيش في تلك الاراضي ينطوي في منظورهم على نوع من الطهر الروحي .

وعلى هذا الاساس فان (ناتوري كارتا) لا تقبل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فوقها فحسب،وانما تقبل حتى في ازالة الدولة الاسرائيلية المعاصرة نفسها [٩٨].

الخاتمة

تعود بدايات نشوء اغلبية القوى الأصولية الحاريدية إلى حركات دينية ظهرت في اوربا وانتقل نشاطها إلى فلسطين بعد تدفق موجات الهجرة اليهودية اليها بشكل كثيف منذ بدايات القرن العشرين وخاصة خلال المرحلة التي عاقبت وصول النازيين إلى السلطة في المانيا عام (١٩٣٣م)، وقد اشر الواقع الايديولوجي والسياسي داخل (اسرائيل) تقاطعاً بين موقف قوى الأصولية الحاريدية ونظرتها إلى (الدولة) وبين موقف الحركة الصهيونية وقادة (الدولة اليهودية).

وسعى الطرفان لتسوية الخلاف من خلال حل توفيقي ، اذ تدعو (الدولة اليهودية) إلى ايجاد علاقة بين المتدينين والعلمانيين بعيدة عن الصراع ، وتقوم على اساس الاحترام المتبادل والتفاهم والحوار للوصول إلى حلّ الخلاف حول النظرة إلى الدين و(الدولة) يقوم على اساس الاجماع لتوحيد المجتمع الاسرائيلي والمحافظة على تماسكه ،وبالمقابل كيف المتدينون الحاريديون موقفهم وتخلوا عن رفضهم (الدولة العلمانية)، واعتبروا قيامها عاملاً يمهد لقدوم المسيح المنتظر ، وقبلوا بوجود (الدولة) كواقع مادي وتأريخي مع استمرار رفضهم للعلمانية، وانخرطوا في العمل السياسي لإدراكهم ان اتخاذ موقف الرفض السلبي سيبعدهم عن التأثير في مجرى الاحداث السياسية ، بينما يمنحهم وجودهم على الساحة السياسية الفرصة والقدرة

على التأثير فيها لنشر افكارهم ومبادئهم لتحويل (الدولة مـن العلمانية إلى دولة دينية) بوسـائل بعيدة عن العنف تحفظ وجود (الكيان الاسرائيلي) ولا تمس التماسـك الاجتماعي لهذا الكيان . وقد اسـتطاعت قوى الأصولية الحاريدية ان تسيس اليهـود المتدينين الذين يبلـغ عددهم حوالي ثلث عدد السـكان في (اسـرائيل)،وتدفعه للمساهمة في دعم الحركة الصهيونية و(الدولة اليهودية), وهنـا تكمن الاهميـة الفكرية والدور السياسـي لقوى الأصولية الحاريدية [٩٩] .

تبـدو الاحزاب الاسـرائيلية (دينية كانت أم سياسـية) وكأنها مجرد صيغ متعـددة لتحقيق الهدف الصهيوني الواحد: اسـتعمار فلسـطين بقصـد (تعميرهـا) واقامـة دولـة يهودية على ارضهـا . ولابد من تاكيد حقيقة اساسـية وهي ان رغم تمسـك الاحزاب الدينية الشديد بحرفية التوراة ونصوص التقليـد الديني دعوتها لدولة يتوافـر في دسـتورها التـوراة والتي هي نقطة الخلاف الرئيسة مع الاحزاب العلمانية الاخرى الا إنهـا تلتقي مع بقيـة الاحزاب في الائتلافات الحكومية متناسـية كل خلافاتهـا وتجتمع حول الاهداف الرئيسية لتحقيق اهداف الصهيونية [١٠٠] .

الهوامش

١ - أحمد بهاء الدين شـعبان ،حاخامات وجنرالات الدين والدولة في اسرائيل ،الطبعة الاولى ، نوارة للترجمة والنشر ،١٩٩٦، ص١٧.

٢ - نديـم عيسـى خلف ،الأصوليـة اليهودية فـي الكيان الاسرائيلي ، رسـالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد ،١٩٩٥،ص٩.

٣- نديـم عيسـى خلف ،الأصوليـة اليهودية فـي الكيان الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص١٠ .

٤- نفس المصدر، ص١٢ .

٥ - علي حسـين احمد ،الاحزاب الحاريدية في اسرائيل – الفكر والممارسـة سلسلة تقارير ،وحدة الدراسات الفلسـطينية ،كليـة العلوم السياسـية ،جامعة بغداد ، العدد /١،بغداد ٢٠٠٢ ،ص١ .

٦- نديـم عيسـى خلف ، الأصوليـة اليهودية فـي الكيان الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص١٠٤ .

٧ - حميـد فاضـل حسـن ،الدولـة اليهوديـة فـي الفكر الاسـرائيلي، رسـالة دكتوراه ,مقدمة إلى كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ،٢٠٠٤ ،ص ٩١ .

٨ -غازي السـعدي الاحـزاب والحكم في اسـرائيل ,دار الجليل للنشـر والدراسـات والابحاث الفلسـطينية ، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٣١٥

٩- علي حسين احمد مصدر سبق ذكره، ص١ .

١٠- أنـور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمين الإسـرائيلي، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية العلوم السياسية /جمعة بغداد ،٢٠٠٤، ص٦٥ .

١١- -سـعيد تيم ،النظام السياسـي الإسرائيلي،دار الجليل للنشر ، لطبعة الاولى بيروت ،١٩٨٩،ص ٤٣٦.

١٢- علي حسين احمد ، مصدر سبق ذكره،ص ٢ .

١٣- سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص٤٣٦.

١٤- علي حسين احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

١٥-غازي السعدي ،مصدر سبق ذكره،ص٣٢٤.

١٦- سعيد تيم ,مصدر سبق ذكره ,ص٤٣٧.

١٧ -احمد بهاء الدين شعبان ،مصدر سبق ذكره ،ص٢٣.

١٨ - أنور سعيد الحيدري ، القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي،مصدر سبق ذكره ،ص٦٥.

١٩- علي حسين احمد ، مصدر سبق ذكره، ص ٣.

٢٠- سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص٤٣٧ .

٢١ - أحمد بهاء الدين شعبان،مصدر سبق ذكره، ص٢٣.

٢٢- رشيد عمارة ياس ،العامل الديني واثره في الكيان الاسرائيلي ، رسالة ماجستير غير منشورة ،مقدمة إلى كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد،١٩٩٢،ص ١٥٣.

٢٣ - نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

٢٤- غازي السعدي ،مصدر سبق ذكره،ص٣٢٧.

٢٥- علي حسين احمد ، مصدر سبق ذكره،ص٣ .

٢٦- نفس المصدر ،٤ .

٢٧- نديم عيسى خلف ، الأصولية اليهودية في الكيان الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص١٢٥.

٢٨- غازي السعدي ،مصدر سبق ذكره،ص٣٢٨ .

٢٩- أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص١١٩

٣٠- رشيد عمارة ياس ، مصدر سبق ذكره،ص١٥٩.

٣١- مصدر سبق ذكره،ص١٥٩.

٣٢- أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص١١٩.

٣٣ - نديم عيسى خلف ، الأصولية اليهودية في الكيان الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص١٢٦.

٣٤- أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠.

٣٥- أنور سعيد الحيدري، القضية الفلسطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص ٧٦.

٣٦ - أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص١٢١.

٣٧ - سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص٤٨٠.

٣٨ - أنور سعيد الحيدري،القضية الفلسطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

٣٩* - للاستفاضة انظر :المصدر السابق .

٤٠- أنور سعيد الحيدري ، الحاخام عوفاديا يوسيف ، اوراق قارة ،وحدة الدراسات الفلسطينية ،كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ، ع١١٦ ، بغداد ،٢٠٠٣ .

٤١- علي حسين احمد ،مصدر سبق ذكره،ص٥ .

٤٢- سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص ٤٨٠ .

٤٣- أنور سعيد الحيدري، القضية الفلسطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص ٦٩.

٤٤ -علاء حليل ،شاس في الطريق إلى الهاوية ،جريدة المشهد الاسرائيلي ، ٢٠٠٢ .

٤٥ - أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

٤٦ - أنور سعيد الحيدري، القضية الفلسطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص ٧٣.

٤٧ - المصدر السابق,ص ٧١.

٤٨* التائبين : يطلق هذا المصطلح على العلمانيين الذين تحولوا إلى متدينين والتحقوا بالمؤسسات الدينية، حيث يتمتعون بالخدمات التي تقدمها تلك المؤسسات فضلاً عن الامتيازات التي يحصلون عليها عن طريقها واهمها الاعفاء من الخدمة العسكرية.

٤٩- رشيد عمارة ياس ، مصدر سبق ذكره،ص١٥٨ .

٥٠ - سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص ٤٨٢ .

٥١- علاء حليل ،مصدر سبق ذكره .

٥٢ - أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص٢٥

٥٣* - حبد حسيدية : حركة يهودية حسيدية لا صهيونية ولا اسرائيلية ظهرت خلال القرن الثامن عشر ، مقر قيادة الحركة حالياً في بروكلين في مدينة نيويورك والتجمع الثاني للحركة في اسرائيل في(كفر حبد) بين القدس وتل ابيب تدير دار للنشر والطباعة وتمتلك صحيفة خاصة بها ومحطة اذاعية في فرنسا.

٥٤- أنور سعيد الحيدري،القضية الفلسطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص٧٥.

٥٥ - نديم عيسى خلف ، الأصولية اليهودية في الكيان الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص١٣٢ .

٥٦- علي حسين احمد ،مصدر سبق ذكره,ص٥.

٥٧- أحمد بهاء الدين شعبان، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

٥٨- رشيد عمارة ياس ' مصدر سبق ذكره'ص١٦٢.

٥٩ - أحمد بهاء الدين شعبان'مصدر سبق ذكره' ص٢٥.

٦٠- أنـور سـعيد الحيدري' القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي 'مصدر سبق ذكره' ص٧٥.

٦١- سعيد تيم 'مصدر سبق ذكره 'ص ١٥ .

٦٢- علي حسين احمد' مصدر سبق ذكره'ص٨.

٦٣- أنور سـعيد الحيدري' القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي 'مصدر سبق ذكره' ص٣١١

٦٤- المصدر السابق 'ص ٣١٠ .

٦٥ - سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره 'ص ٤٤١ .

٦٦- أنور سـعيد الحيدري' القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي 'مصدر سبق ذكره 'ص٣١٠.

٦٧ -د. نديم عيسى خلف ،الأصولية الحاريدية والتسوية' مجلة العلوم السياسـية ،كلية العلوم السياسية .جامعة بغداد ، السنة الثانية عشر ،العدد ٢٤'تموز،٢٠٠١ .

٦٨ - أنور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ،ص٣١١ .

٦٩ - د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٣٨

٧٠ -رشـيد عمارة ياس ،الاصوليه الحاريدية والتسوية ، مصدر سبق ذكره ،ص ٣٨.

٧١ - د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٣٧ .

٧٢ - أنور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص٣١١.

٧٣ - د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٣٨ .

٧٤ - أنور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص٣١١

٧٥ - غازي السعدي ،مصدر سبق ذكره،ص٣٣٠ .

٧٦ - أنور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص٣١٣ .

٧٧ -المصدر السابق ، ٣٣٨ .

٧٨ - المصدر السابق، ص ٢٦٩ .

٧٩- د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٤١.

٨٠- أنـور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره، ص٣٠٩

٨١ - أنور سـعيد الحيدري،القضية الفلسـطينية في فكر اليمن الاسرائيلي،مصدر سبق ذكره ، ص٣١٢-٣١٣

٨٢ -المصدر السابق ،ص ٣٤٠.

٨٣ -المصدر السابق ،س٣٥٣.

٨٤ - غازي السعدي ،مصدر سبق ذكره،ص٣٢٧

٨٥ - د. نديم عيسى خلف ،الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره، ص١٣٨.

٨٦ -انـور سـعيد الحيدري ، الحاخام عوفاديا يوسـيف ، سلسـلة :اوراق قارية ،مركز دراسـات الدولية ،كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ، العدد /١١٦ ،ص ٣١.

٨٧- سعيد تيم ،مصدر سبق ذكره ،ص٤٨١.

٨٨ - د. نديـم عيسـى خلـف ، الأصوليـة الحاريديـة والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٣٩.

٨٩- انور سـعيد الحيدري،شـاس والفلسـطينين ،سلسلة : اوراق فلسـطينية , مركز الدراسـات الدولية ،كلية العلوم السياسـية / جامعة بغداد ، العدد /٨٥ ، السـنة الثالثة ، س٣ .

٩٠-انور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في الفكر اليمين الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ، ص٣١٠ .

٩١- المصدر السابق ،ص ٣١١.

٩٢- د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠.

٩٣- رشـيد عمارة ياس ،الاصوليه الحاريدية والتسوية ، مصدر سبق ذكره ،ص ١٨١.

٩٤ - د. نديم عيسى خلف ، الأصولية الحاريدية والتسوية، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠.

٩٥- انور سـعيد الحيدري، القضية الفلسـطينية في الفكر اليمين الاسرائيلي ،مصدر سبق ذكره ، ص٣١٠

٩٦- المصدر السابق، ص ٣١٣ .

٩٧ - د. نديم عيسى خلف , الأصولية الحاريدية والتسوية, مصدر سبق ذكره , ص٤٢.

٩٨ - نفس المصدر ,ص ٤٣.

٩٩ -علي حسين احمد , مصدر سبق ذكره ,ص ٩ .

١٠٠ غازي السعدي ,مصدر سبق ذكره,ص١٢٤.

الكتب :

١- أحمد بهاء الدين شعبان ،حاخامات وجنرالات الدين والدولة في اسرائيل ،الطبعة الاولى ، بيروت ،١٩٩٦.

٢- سعيد تيم ،النظام السياسي الإسرائيلي ،دار الجليل للنشر ،الطبعة الاولى، بيروت ،١٩٨٩.

٣-غازي السعدي، الاحزاب والحكم في اسرائيل ،دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية ، الطبعة الاولى ،بيروت، ١٩٨٩.

البحوث والدراسات

١- أنور سعيد الحيدري ،القضية الفلسطينية في فكر اليمين الإسرائيلي ،رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ،٢٠٠٤.

٢- حميد فاضل حسن ،الدولة اليهودية في الفكر الاسرائيلي، رسالة دكتوراه ، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ،٢٠٠٤ .

٣- رشيد عمارة ياس ،العامل الديني واثره في الكيان الاسرائيلي ، رسالة ماجستير (غير منشورة)،مقدمة إلى كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد ،١٩٩٢.

٤- نديم عيسى خلف ، الأصولية اليهودية في الكيان الاسرائيلي ،رسالة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ،١٩٩٥.

المقالات والدراسات :

١-أنور سعيد الحيدري ، الحاخام عوفاديا يوسيف ،اوراق قارة ،وحدة الدراسات الفلسطينية ،كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ، ع١٦ ،بغداد ،٢٠٠٣.

٢- انور سعيد الحيدري،شاس والفلسطينين ،سلسلة : اوراق فلسطينية ، مركز الدراسات الدولية ،كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ، العدد /٨٥ ، السنة الثالثة ،آب ،٢٠٠١ .

٣- علاء حليل ،شاس في الطريق إلى الهاوية ،جريدة المشهد الاسرائيلي ، ٢٠٠٢ .

٤-علي حسين احمد ،الاحزاب الحاريدية في اسرائيل – الفكر والممارسة سلسلة تقارير ،وحدة الدراسات الفلسطينية ،كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد ، العدد /١،بغداد ٢٠٠٢.

٥- د. نديم عيسى خلف ،الأصولية الحاريدية والتسوية، مجلة العلوم السياسية ،جامعة بغداد ، السنة الثانية عشر ، العدد ٢٤ ،تموز ،٢٠٠١ ،ص ٣٧.

the concept of Jewish fundamentalism

Assistant professor Fawzi Abbas fadhil

center for internal studies

Abstract

The religious fundamentalist movement in Israel kas an important and real role in controlling the presidency and overthrowing governments

No government can be formed in Israel without its participation (although member of this movement are not politically concerned in the arrow sense of the term, they care about their budget in the first place

they hold ministries of the future Education Housing Lands immigrants and control a vital ministry such as the ministry of Education

It is said that they have a great influence within the army

There is a military rabbinate that responsible for intellectual

and religious guidance within the armed forces It conducts all

personal affairs related to military personnel

It supervises religious military schools and graduates generations that are full of absolute hatred of the Arabs The Rabbinate also has the tesponsibility of issuing fatwas that sanctify practices and crimes committed by soldiers agaist Arabs

The penetration into the army has brought quite a number of Orthodox officers to higher ranks

In our research we will address the concept of fundamentalism in general and the attitude of the fundamentalist forces of the Haredim on the Palestinian

الصلاة والتراتيل والادعية في بلاد الرافدين

د.خمائل شاكر أبو خضير (*)

الملخص

شغلت الديانة مكاناً بارزاً في حياة أقوام بلاد الرافدين وشعوبهم ، والذي يدل على ذلك وفرة المدونات والنصوص الدينية التي خلفها لنا أصحاب هذه الحضارة العريقة. والتي تعد من أروع النتاج الأدبي التي وصل إلينا من أدباء العراق القديم ، وان ما وصل إلينا من نصوص مسمارية كثيرة باللغتين السومرية, والبابلية والتي تشير إلى أن الإنسان العراقي القديم مارس طقوس عديدة من اجل عبادة الالهة والتقرب اليها ، كان من بين هذه الطقوس الصلاة التي عدت أُولى طقوس العبادة في الديانة السومرية وحلقة وصل قوية بين الأرض والسماء ,أو بين الإنسان والإله، وارتبطت بممارسات محددة تتقدمها التطهير التام, والوضوء بغسل اليدين والركوع والسجود ,ورفع اليدين إلى الآلهة والتمتمة ببعض الابتهالات والأدعية. وبذلك شكلت الصلاة طريقة لاتصال الفرد بالإله بقصد تحاشي غضبه وعقابه وكسب رضائه واستعطاف بركاته. وعبَّرت عن الورع والخوف والخشوع ومحاولة تحقيق السلام الروحي للفرد وضمان مسيرة حياة المتعبد وتحقيق أُمنياته وتطلعاته من حيث الرخاء والصحة والأولاد وطول العمر. وفي غير ذلك، أي عند معصية الخالق يُعتبر الشخص مسؤولاً عن مصيبته ومرضه وخيبته في غياب الحماية الإلهية.

من هنا جاءت أهمية بحثنا في إبراز ماهية الصلاة وأنواعها التي كان يؤديها الإنسان العراقي القديم , وما تضمنته من معاني وأغراض فضلا عن الطريقة التي كان العراقي القديم يؤديها واهم الحركات التي كان يمارسها للتعبير عن طاعته وولائه للإلهة ؛ لذلك ركزنا في بحثنا على عدد من المحاور وهي

أولاً : ماهية الصلاة واهم النصوص الأدبية التي ذكرت فيها الصلاة وحثت عليها

ثانياً : أنواع الصلوات التي كان يؤديها العراقي القديم والغرض منها .

(*) تدريسية/ كلية التربية الاساسية /الجامعة المستنصرية

ثالثاً : أهم التراتيل و الادعية الدينية المقدسة التي كانت ترافق أداء الصلاة .

المقدمة

للديـن أهميـة كبيرة في حياة الشـعوب القديمـة، بل من أهم العوامل المؤثرة في سـير حياتها، وأسلوب تطور حضارتها، فالمعتقدات الدينية والأفكار الدينية تحدد الإطار العام لسلوك الإنسـان وحياته عاداته وتقاليد أعرافه وقوانينه وتكـون الخلفية المؤثرة في حياتـه الاجتماعية والفكرية والسياسـية وقلما نجد أي عمل قام به الإنسـان القديم أو أي أثـر تركه إلا وكان للدين فيـه تأثير لذلك كانت دراسـة المعتقدات الدينية فـي منطقة وادي الرافدين ذات أهمية كبيرة في فهم حياة السكان[١].

لـذا شـغلت الديانـة مكانـا بـارزا في حياة أقوام بلاد الرافدين وشـعوبهم، والذي يدل على ذلك وفـرة المدونات والنصـوص الدينية التـي خلفها لنا أصحاب هـذه الحضارة العريقة والتـي تعد مـن أروع أنواع النتـاج الأدبي مما وصل ألينـا من أدباء العـراق القديم [٢]، والتي تضمنـت جملة من شـعائر دينيـة كالصلوات، وتقديم الأضاحي، والاحتفالات بالأعياد الدينية، واستشـارة الفال، وطرد الشـرور، والشياطين من الأجساد والبيوت [٣].

ومن اجل عبادة الإلهة مارس الإنسـان طرقا شـتى منهـا الدعاء إليها وإنشـاد التراتيل الدينيـة بتمجيدهـا وأداء صلـوات معينة وقت الشـعور بالحاجة إلى مسـاعدة الإلهة، كما كان جزء من العبادات تقديم القرابين والأضحية [٤]،

فضلا عن ذلك أن ما جاء إلينا من نصوص مسـمارية كثيـرة مكتوبـة باللغتين السـومرية والاكديـة تحمـل موضوعات مختلفـة كان من بينها أنواع الصلوات والأدعية والتراتيل الدينية المختلفة[٥].

إذ تعطينـا هـذه المؤلفـات والنصوص المكتشـفة صـورة كاملة عن فحوى الشـعور الديني الذي كان يهيمن على الشـعور كله لدى هـؤلاء الناس اتجاه كل ما هـو مقدس لهم[٦]، لذا نجد أن القلق وعدم الأمان للأشـياء الفانية يسـتوجب اسـترضاء الإلهة للحصـول على قـرار مرض ومن اجـل التخلص من الذنوب والخطايـا التي يرتكبها الإنسـان كل ذلك دفع بالإنسـان العراق القديم إلى أن يكـون متدينا بالمعنـى العميق لهذه الكلمـة[٧]، وان ما جاء مـن طقـوس يومية التـي كانت تقـام في بلاد الرافديـن هي بمثابـة الدليل على هـذا التدين وخشـية الإنسـان مـن الإلهـة والخشـية من ارتـكاب الخطيئة ودليل على توازنه العقلاني والأخلاقـي أمام متطلبات النفـس كما إن هذا التديـن يشـير إلـى تقـواه وخوفه مـن الإلهة والكهنة وأمام نفسـه قبل كل شـيء[٨]،

كمـا انـه لا يوجـد دين بلا طقـوس, وهي من مسـتلزمات الدين وتتجلـى العبادة بإجراء الطقـوس وتضـع الأسـاطير بعـض أسـس الطقـوس ومظاهرهـا ويسـتمر أداء الطقوس لأن الأسـطورة أكدت إجراءها فيما مضى وقد أوضح موريس ليمـان[٩]. أهمية الطقوس لدى القدمـاء بقولـه: «إن الطقوس تؤكـد الاحتياج الـذي يجعـل الإنسـان والطبيعـة يتعاونـان، والطقوس أسـلوب من التعبير للنفوذ في العالم الـذي لا يخضـع للتجربـة ولإجـراء مقايضة معه» وهنا تجدر الإشـارة إلـى أن المقصود بالطقوس الدينيـة اليومية هي التي تمارس كل يـوم وتمثل الشـائعة والتقليدية ونجد في إحدى

نصائـح الحكمـة ما يشـجع علـى القيـام بهذه الطقـوس[١٠]:

أعبد إلهك كل يوم

وقدم له القرابين والصلوات

التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور

قدم قربانك طائعا لإلهك

لأن ذلك يتناسب مع الآلهة

قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم

وسوف تثاب على ما تفعل

عندئذ سيكون بينك وبين الآلهة اتصال كامل

إن التبجيل يولد الخطوة
والقربان يطيل الحياة

ومن اجل عبادة الإلهة مارس الإنسـان فـي بـلاد الرافدين طرائـق شـتى للتعبير عن أشكال العبادة المختلفة منها الدعاء إليها وإنشاد التراتيـل الدينية التي تشـيد بتمجيـد الإلهة[١١]، لأنـه كان يشـعر أن الإلهـة هـي رمـز الخير الدائـم وهذا ما دلت وأشـارت إليـه العديد من التراتيـل الدينية[١٢]، يضاف إلـى تلك العبادات القيـام بصلوات معينـة وقت شـعوره بالحاجة إلى مسـاعدة الإلهـة فضلاً عن تقديـم القرابين والأضاحي للإلهة[١٣].

لـذا عدت الصلاة من اهـم الطقوس الدينية التـي كان يمارسـها سـكان بـلاد الرافدين لما لها مـن دور مهم في حياتهم بشـكل عام وحياة الفـرد بشـكل خاص وذلـك من خـلال تحويل الشـعور الديني الملهم للإلهة إلى كلمات يطلب من خلالها الإنسـان الرحمة وغفـران الخطايا والذنـوب وتحريـره من كل اثر سـيء وتزيل الشـر عنه وهذا ما دلت عليـه إحدى نصوص التراتيـل التي يوجهها المتعبد في صلاته للالهة عشتار[١٤] :

ارفعي عذاباتي

وسأغني بحمدك

لك قد صليت: اغفري لي خطيئتي

اغفري لي ذنبي وإجحافي

وأفعالي المخجلة واعتدائي

تجاوزي عن أفعالي المخجلة ، تقبلي صلاتي

فكي قيودي ، حققي انعتاقي

سـددي خطاي باسـتقامة ، مبتهجـا كبطل دعني اخل الطرقات مع الأحياء...

هنـا نجـد أن الصـلاة شـكلت طريقـة الاتصـال الفردي بالإله لقصد تحاشـي غضبه وعقابـه وكسـب رضائـه واسـتعطاف بركاته وعبـرت عـن الـورع والخـوف والخشـوع ومحاولة تحقيق السـلام الروحي للفرد وضمان مسـيرة حياة المتعبد وتحقيـق أمنياته وتطلعاته من حيـث الرخـاء والصحـة والأولاد وطول العمر وفـي غير ذلك أي عنـد معصية الخالق يُعد الشخص مسـؤولا عن مصيبته وخيبته في غياب الحماية الإلهية [١٥].

المبحث الأول : ماهيّة الصلاة والتراتيل في بلاد الرافدين :

كانت الصلاة من أهم المراسيم التي يقوم بها سكان بلاد الرافدين وهي الجهد والعمل الثاني[١٦]، الرئيس في العبادة وتشمل هذه العملية تحويل الشعور الديني إلى كلمات أو إسماع الإلهة الشعور طيب الذي يكنه لها العبد لتبقى راضية [١٧]، وهذا الشعور والصلوات تدل على مدى تعلق سكان بلاد الرافدين وتقربهم من الإلهة وهي تدل كذلك على نبل المشاعر ونبل التعبير والتصرف اتجاه الإلهة [١٨].

وتعد الصلاة الرابط الذي يوصل الفرد بالإلهة وهي أشبه ما تكون بمحادثة بين الفرد والإلهة يمكن له من خلالها أن يأخذ الحظوة عند الإلهة وينال كل ما يرنو إليه ويتق شر ما يحدث له في الحياة مقابل اعترافه من خلال أداءه للصلاة بتذليل النفس أمام الإلهة وتمجيد صفاتها واعترافه بفضلها ليس فقط بنعمه خلقها له بل اعترافه بما تمنحه الإلهة من بركات وافعال حسنه له [١٩]، وهي بذلك تكون مظهر من مظاهر تعلق الإنسان بخالقه، وواجب من واجباته الدينية سواء أكانت صلاة فرد أو صلاة جماعة ، وهي مناجاة (الإله) الله ،وطلب ما يحتاج إليه الإنسان مع الشكر على المراحم الإلهية [٢٠]، وهنا نجد في الصلاة يتجسد عنصران مهمان هما عنصر الشكل الإلهي ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه وعنصر الطلب من الإله الذي يُسأل فيجيب وهي من العبادات التي لم تنفك أي شريعة أو ديانة منها وان اختلفت صورها وطريقتها حسب كل شريعة أو ديانة[٢١].

كما أن الصلاة تشير إلى المسؤولية الفردية التي تدفع بالإنسان الرافديني إلى أداءها، لأنها ضرورة دينية مهمة وهناك من النصوص ما يؤكد أهمية القيام بالصلاة ومواظبة الإنسان عليها في احد نصوص الحكمة والنصائح إذ جاء فيها[٢٢] :

اعبد إلهاك كل يوم

قدم له القرابين والصلوات

التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور

قدم قربانك طائعا لإلهك

لان ذلك يتناسب مع الإلهة

قد له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم

سوف تثاب على ما تفعل

عندئذ سيكون بينك وبين الإله اتصال كامل

أن التبجيل يولد الحظوة

والقربان يطيل الحياة والصلاة تكفر عن الذنب.

ولا تعد الصلاة كواجب ديني فحسب، بل هي من ضروريات التي يعتمد الإنسان عليها، إذ أن السبيل للتمتع بحماية الإلهة والطريق الذي يصل به الإنسان إلى النجاح هو عن طريق عبادة الإلهة إذ يشير احد الباحثين[٢٣]، إلى ذلك بقوله ((يستطيع الإنسان أن يعتمد على الإرادة الإلهية بواسطة الصلاة والقربان، والقدر هو قبل كل شيء أرادة إلهية وليس شريعة تنظيم بالتفاصيل مجموع مجريات العالم)). لذا فالصلاة تعد احد القيم الأخلاقية الفاضلة التي تؤدي بالإنسان إلى حياة صحيحة وناجحة.

أولاً . التسمية:

ان مـن أهم معانـي الصلاة الأساسـية هي الدعـاء والبركـة والاسـتغفار وجذرها (صل) الـذي يعنـي الميـل والانحنـاء ، ثـم الركـوع والسـجود[٢٤]، ولقد وردت الصـلاة في العديد مـن الكلمات والمصطلحات التـي وصلت ألينا من اللغتين السـومرية والاكديـة وحتى البابلية والأشـورية ولكنها لا تسـتعمل بحسب معرفتنا الحاليـة لمعنـى الصلاة من الركوع والسـجود وإنمـا هي تدل على الصلاة والتقرب من الإلهة والتبرك بهـا، فقد وردت في اللغة السـومرية عدد من الكلمات والمصطلحات التي تشير إلى معنى الصلاة ومن هذه الكلمات =šU-IL-LA niš qāti[٢٥]، والتـي تعنـي الصلاة ، أما كلمة šU-MU-MU[٢٦]، فهي تعني بارك أو صلى

وهناك كلمة أخرى دلت على الصلاة باللغة السـومرية وهي SUD٤ [٢٧] والتي تسـير إلى الفعل صلى .

أمـا فـي اللغـة الاكديـة فقـد وردت كلمـة niš qati| [٢٨] أي الصـلاة ، وجـاء كلمـة karbabu او ikribu [٢٩]، مشـيرة إلى معنى الصلاة أو التقرب باللغة العربية .

وهنـاك كلمة أخرى دلت على الصلاة في اللغة الاكديـة وبقيت مسـتعملة حتى فـي العصرين البابلـي والأشـوري وهـي كلمـة šullu أو (šulum)[٣٠]، أمـا كلمـة teslitu فهـي كلمة مشـتقة من أصل (sulu) وهي تشير إلى صلاة الركوع والسجود[٣١].

أمـا في النصوص البابلية القديمة فقد وردت كلمتان بابليتان تشيران إلى معنى الصلاة والى فعل (يصلي) وهما (enenu)[٣٢] و(maharu) كمـا تطلق على المتعبد الذي يقوم بالصلاة أمام الإلهـة طلبا للرحمـة[٣٣]، وهي تقابـل كلمة أو لفظـة الاكديـة (mut nenu) التي تشـير إلى المصلي نفسه[٣٤].

أما لفظة (ba›alu) فهي لفظة اكدية وردت في النصوص البابلية والتي تعني (صلاة) التي يؤديها المتعبد خشوعا وتضرعا أمام الإلهة[٣٥].

امـا تسـمية الصـلاة نفسـها فهـي آرامية الأصل أخذت من أصل كلمة (ص ل ا) (صلا) ومعناهـا ركع وانحنى ، اذا كانت تكتب الصلاة (صلوتـو =slouto) (صالوته) (صلوته) في لغـة بني ارام[٣٦]، ثم اسـتعملت في التعبير عن الصلاة بالمعنى الديني المعروف ثم اسـتعملها اليهـود بعد ذلك فأصبحت لفظة آرامية عبرانية ومن بعـد ذلك دخلت إلى العربية قبل الإسـلام عن طريق أهل الكتاب[٣٧].

أما عن كيفية أداء الصلاة فقد كانت الصلاة في بلاد الرافدين بشعائر طقوسية لازمتها دوما وخصت هذه الشـعائر الطقوسية بكل إتقان في مقطع عند نهاية كل صلاة إذ يخاطب الشـخص الذي يقـوم بأداء الصلاة أو الكاهـن الموكل إذ يقوم بحركات وإشارات خاصة فضلا عن تقديم القرابين بحسب الزمان والمكان[٣٨].

ثانيا. طريقة أداء الصلاة:

فـي البـدء وقبـل القيـام بـأي طقـوس سـواء للصلاة أو غيرها كان التطهير والغسـل من أهم الأشـياء التي واظب عليها سـكان بلاد الرافديـن، لأنـه يعـد واجبـاً طقوسـياً ملازماً للعبادة ولاسـيما قبل البدء بالصـلاة ، واحتلت شـعائر التطهيـر مكانة محوريـة ضمن عموم الشعائر الدينية الشائعة, وكانت تهدف بالدرجة الأولـى إلـى إزالة مظاهـر القـذارة الخارجية المتنوعـة وكذلك الدناسـة الداخلية، وقد برزت ضرورتهـا خـلال ممارسـة شـعائر المعابـد

والشعائر الخاصة وكذلك في القصر الملكي وكذا في مجال الممارسات السحرية , وأبرز وسائل التطهير الماء ولاسيما المياه الجارية والزيت كما كان ثمة بعض النباتات التي تتمتع بخاصية التطهير وبعض الخلاصات المعدنية، وقد شهدت المعابد ممارسات تطهيرية يومية وأخرى سنوية[٣٩]، وخير مثال على ذلك ما كان يتبعه الكهنة في مراسيم الاحتفال بعيد رأس السنة الاكيتو[٤٠] التي كانت تستغرق احد عشر يوماً إذ كان هذه الأيام وما تضمنته من مراسيم لا تتم إلا بالتطهير والغسل في نهر دجلة والفرات سواء غسل وتطهير الإله أو تطهير القائمين بالمراسيم[٤١]. أما عن كيفية أداء الصلاة فقد اختلف أداءها ما بين الصلاة الفردية والصلاة المشتركة الجماعية، إذ يتبادر إلى الذهن والسؤال عن الطريقة المتبعة هل هي عبارة عن حركات وإشارات وهل تتم بشكل كلمات مسموعة أم تمتمة أم يبقى في حالة تأمل ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نقول أن أشكال الصلاة وطريقتها في بلاد الرافدين اختلفت حسب نوع الصلاة إذ يمكننا من خلال المعاني والمصطلحات التي أطلقت على الصلاة نستطيع أن نستنتج طرائق أداء الصلاة كانت تتم بشكل بكاء ونواح أمام تمثال الإله وقد أطلق على وضع الشخص الباكي عند قيامه بالكلامه بأسم (karabu) [٤٢]،أو كانت تتم بإصدار صوت عالي مسموع خاصة عندما يرافق الصلاة أدعية معينة من اجل طلب المساعدة من الإلهة وهنا مصطلح باللغة الاكدية يطلق على من يقوم بالصلاة والسؤال بصوت عالي أو مسموع (eresu) وهو مصطلح اكدي يطلق على هذا النوع من مراسيم الصلاة [٤٣].

كما كان يرافق ذلك رفع اليد أمام الوجه والتخاطب مع الإلهة أو الركوع أو السجود أمام تمثال الإله أو وضع اليد او الكفوف الواحدة فوق الأخرى خشوعا وتقديسا[٤٤]، كما يقوم المتعبد بإحراق البخور وسكب السوائل المقدسة، وقد استدل على ذلك من خلال بعض المنحوتات والتماثيل الفنية وهي تصور الكهنة التي توضح الطريقة التي كان يتم فيها أداء الصلاة والتبرك للإلهة.

تماثيل الكهنة وهم في حالة تعبد والصلاة [٤٥]

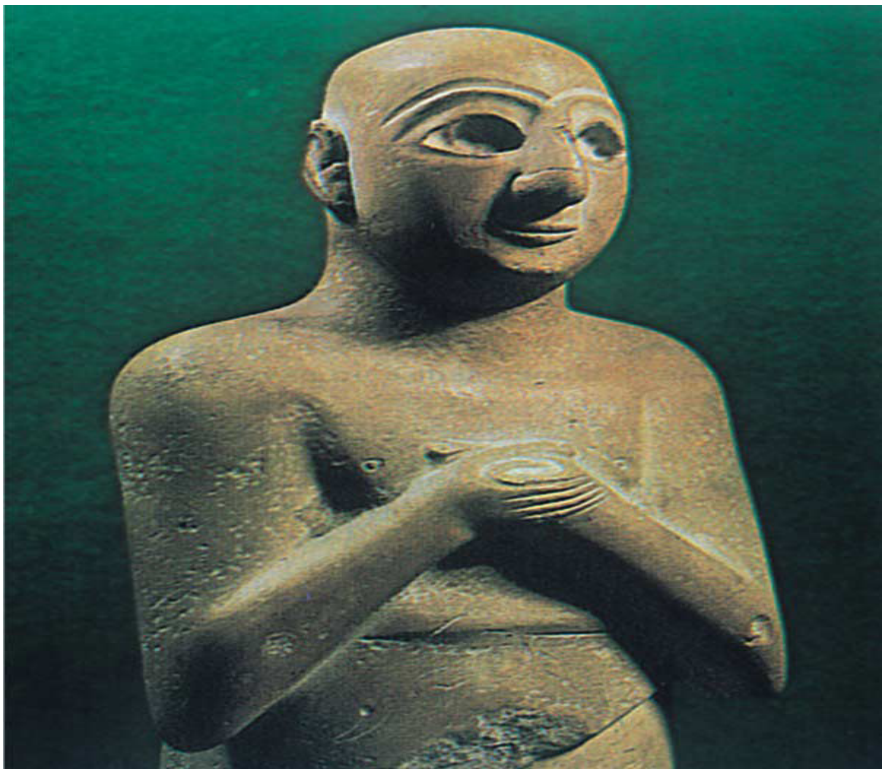

تمثال حفيد ملك أوروك لوكال كيسالكي (منتصف الألف الثالث ق.م) وهو في وضع المتعبد[٤٦]

المبحث الثاني . أنواع الصلوات وموضوعاتها :

مـن خلال اسـتقراء النصوص الخاصة بالأدعيـة والتراتيـل يمكـن أن نميز عـدداً من الالفـاظ والمصطلحات التي تطلق على الصلاة ويمكـن مـن خلالهـا أيضاً الإشـارة إلـى نوع الصـلاة التي يؤديهـا المصلي والغـرض منها وهنـاك نوعان رئيسـان للصـلاة وهي الصلاة الجماعية أو الرسـمية التي تتم في حالة حدوث الكـوارث أو دمار لمدينة معينـة والتي تتم فيها الصلاة باشـتراك الناس والكهنـة وحتى الملك، أمـا النوع الثاني فهي الصلاة الفردية التي تأخذ الطابع الشخصي، إذ يعتبر في هذا النوع الصلاة كواجب ديني على كل فرد وهذا بدوره يكشـف الدور العميق الذي تلعبه الصلاة بالنسـبة للفرد وان هـذا العمـق الديني تفرضـه الواقعية الذي بواسطته يصبح الإنسان أكثر إدراكاً وحضوراً في حالة مخاطبة الإله[٤٧]، وهناك نماذج متعددة لهذا النوع من الصلاة ونورد على سبيل المثال صـلاة الصالـح المعذب إلـى الإلـه نابو وهو يصف النص حالة المعـذب الصالح في كلامنا عن التراتيل والأدعية.

أما أنواع الصلوات التي عرفها سكان بلاد الرافدين هي :

١- Su.il.la = Shuillas والتي تشير إلى صلاة رفع اليد لان كلمة (su) تعني يد و(il) تعني رفع وهي صلاة خاصة بالطقوس التي تقام أو تتلى داخل المعبد أمام الإله [٤٨].

تعد هذه الصلاة ذات طراز أدبي ويمكن أن نصنفه من أدب العبادة المعروف باسم (امس سال Eme.Sal) السومرية والتي يرادفها بالاكدية (emesa;;u) [٤٩]، وقداستعملت في العبادة العامة ضمن طقوس (بالاكbalag)[٥٠]، و(ايريشيما eresemma)[٥١]، وهي مراثي وشعائر الحزن والتي كونت سلسلة تعرف باسم (كالاتوkalatu)[٥٢]، رغم أن صلاة (شو الا Su.il.la) منتظمة بتصانيف طويلة كما هو الحال في (امي سال Eme.Sal) ولكنها تعتبر جزء منها [٥٣].

وان رفع اليد ووضعها أمام الفم هو نشاط صلواتي ذا نمط خاص يرتبط بالتعويذة أو رقية لرفع اليد (INIM.SU.IL) والتي ترتبط بالأحزان الفردية أو الصلوات الفردية وهي تشكل رسائل اتصال مع السماء أو الجانب الإلهي[٥٤]، إذا تبدأ هذه الصلاة عادة في الابتهالات إلى اله معين وتمجيده ثم يعقب ذلك توسلات المصلي وشكواه وبعدها تنتهي الصلاة بإزجاء المديح والثناء للإله استباقا لتحقيقه دعوات المصلي[٥٥].

٢- Namburbis وهي تسمية تتكون من مقطعين تشير إلى معنى (الإفراج عن) وهذه اللفظة كانت تطلق على الصلاة التي يؤديها سكان بلاد الرافدين لتحقيق غرض معين لاسيما دفع وطرد الأرواح الشريرة[٥٦]، إذ كان أداء هذه الصلاة يعتمد على ما يلاحظونه من إشارات وطوالع سيئة ناتجة من العرافة أو حلم معين أو ولادات مشوهة أو قد تكون احد سلوكيات الحيوانات الغير طبيعية لذلك تؤدى هذه الصلاة على عدة أيام إلى أن يتأكد صاحبها من زوال الطالع السيئ وهي ذات طقوس معقدة وأثناء هذه الصلاة يتم تحضير مستلزمات معينة منها الماء المقدس وتمثال يمثل الشخص المتضرر كما تحضر في هذه الطقوس مجموعة من الأطعمة التي تقدم للإلهة التي تشهد هذه الصلاة ومنهم الإله شمش والإله انكي (ايا) والإله سالوخي (الإله مردوخ) كما يتم حرق البخور ثم العمل على إنشاد الترانيم التي تثني على الإلهة منها اله الشمس باعتباره اله العدالة والإلهة انكي (ايا) اله الحكمة والسحر إذا يتم بعد ذلك طرح وقراءة المشكلة بشكل رثاء يطلب من الإلهة أن تخلص المتضرر من الشر الذي لحق به [٥٧].

٣- dingir-šà-dib-ba وهي الصلاة الموجهة للإلهة الشخصية وأيضا تسمى صلاة التكفير والاعتراف بالخطأ والتي تؤدى للإلهة الشخصية[٥٨]، وتختلف لهجتها عن باقي أنواع الصلوات وهي ذات لهجة حميمة إذا يكون الإله أكثر اتصال بالشخص الذي يؤديها وأكثر دراية بما يطلبه كما تستخدم هذه الصلاة لتهدئة غضب الإله الشخص .

٤- ér-šà-.un-gá وهذه التسمية تشير إلى الصلاة التي تقام لرثاء قلب الإله واسترضائه وهذه الصلاة بالرغم من أنها اكتشفت مكتوبة باللغة السومرية إلا أن بعض السطور والنصوص وجدت لها ترجمات باللغة الاكدية والغاية من هذه الصلاة هو مخاطبة الإله بشكل جماعي أو من قبل طائفة معينة من الكهنة يطلق عليهم لقب (kalû)[٥٩]، حيث

يتم مخاطبة الإله بصيغة معينة من اجل أسباب معينة ولكن لا تستخدم او تقام لدفع الكوارث العامة مثل دمار مدينة حدوث فيضانات أو خلافات تتعلق بأمر الدولة وسياستها [٦٠]، وإنما تأتي بمصالح ومطالب شخصية وهي بذلك لا تختلف عن صلاة dingir-šà-dib-ba ، بيد أن صلاة Ershaungas فهي صلاة عامة لا توجه للإله الشخصي فحسب كما أن هذه الصلاة تقام بحضور كهنة المعبد من طبقة الكالو ،إذ أظهرت التنقيبات والترجمات العديد من النصوص التي تشير إلى هذه الصلاة كانت موجهة إلى الإله انو والإله شمش والإله مردوخ والإلهة عشتار وهناك نسخة من هذه الصلاة وجدت في مكتبة الملك أشور بانيبال يرجع تاريخها إلى الألف الأول ق.م[٦١].

وتبدأ هذه الصلاة بتوجه دعاء تمهيدي تختلف معانيه ومضامينه حسب اختلاف الموضوعات فقد يكون تمجيداً او يكون رثاء أو تباكياً أو التماساً ويعد الرثاء من ابرز الموضوع في هذه الصلاة والصلوات الأخرى وكان يتضمن الرثاء بعض التفاصيل التي تشير إلى الأخطاء التي ارتكبها المتعبد ضد الإله ويرجو الصفح عنه وهنا نجد أن المتعبد سيكون في حالة رثاء والتماس كما نجد أعمال طقوسية ترافق هذا العمل مثل الركوع والسجود وتقبيل قدم الإله مع التأكيد والاعتراف بالخطيئة وطلب السماح ومن ثم يطلب الداعي او المتعبد استعادة رضا الإله واستعاده الصحة والرفاه إليه وفي بعض الأوقات في مثل هذه الصلاة يعمد المتعبد في صلاته إلى طلب الوساطة من الإلهة الأخرى لاسترضاء الإله الغاضب أو الذي ارتكبت بحقه المعصية أو المراد تحقيق غرض منه كتوسيط الإله انليل أو احد الإلهة الكبار ويختم صلاته بالدعاء والثناء على الإلهة والوعد بعدم ارتكاب المعصية أو الخطاء مرة أخرى وهو بذلك يأخذ صفة الطابع التكفيري للصلاة[٦٢]، وختام الصلاة تكون متشابه في كل أنواع الصلوات الباقية بحمد وتمجيد الإلهة وذكر أفضالها على المتعبد وغالبا ما يأتي دعاء الخاتمة باللغة السومرية[٦٣].

٥- Ikribus : صلاة التبرك[٦٤]، رغم أن هذه التسمية تطلق على الصلاة بشكل عام الا انها هنا تتميز بنوع من الصلاة خاص بالعرافة وان طقوس هذه الصلاة تتم بذبح حيوان معين وقراءة الطالع ومن ثم الدعاء وطلب معرفة مسالة معينة فضلا عن التأمل للتقرب إلى الإلهة ومعرفة الإجابة على ما طلب فيه مساعدتها وان كل خطوة من هذه الخطوات الطقسية يطلق عليه لفظة (Ikribus) [٦٥].

٦- Tamitus مع أن هذه التسمية غامضة إلا أن هناك بعض العلماء من أشار إلى أنها تعني صلاة المسالة (الاستخارة بالمعنى العربي) وتؤدى هذه الصلاة من اجل طلب مساعدة الإلهة في أمر معين واستطلاع رأيها بالقبول أو الرفض قبل البدء به وقد شاع استخدام هذه الصلاة في الإلف الأول ق.م وان كان موجود في العصور السابقة ولكن بنطاق ضيق[٦٦]، وان هذه الصلاة في الاغلب تقدم للإله شمش وادد وتكون بصيغة الالتماس والاستعلام عن الشيء وكانت صيغة الاستعلام بشكل سؤال وهناك نصوص طويلة عثر عليها المنقبون تتضمن سلسلة طويلة من الأسئلة مثل ذلك خسوف القمر ، أو السؤال عن حال المرأة إذا ما كانت حامل وهل تبقى على قيد الحياة أو السؤال عن سير العمل كان يكون عمل عسكري) وكانت هذه الصلاة تؤدى من قبل العرافون الذين كانوا يملكون أمكانية الإجابة

عن الأسئلة بمسالة الإلهة وترك بعض الثغرات المحتملة والتي تؤدي إلى رد واضح وهذا يسمى بالبنود او جانب ترك او التجاهل وكانت تسلم الإجابات مكتوبة وتسلم إلى الشخص المعني من اجل الحفاظ على الخصوصية بشكل خاص[٦٧] .

الصلاة الملكية وهذا النوع من الصلاة كان يؤدى من قبل فئة معينة ومقتصرة على الطبقة المالكة ولم تكن تؤدى كل الوقت وفي حالات معينة داخل المعبد إذ عثر العلماء على هذا النوع من الصلاة تعود إلى زمن الملك سرجون الأشوري (٧٢١-٧٠٥ ق.م) وهذه الصلاة وجدت منقوشة على أعتاب معبد الإله سين وادد وننورتا وكانت صيغة هذه الصلاة ذات عبارات مليئة بالثناء لما أعطته الإلهة من رخاء وانتصارات وحياة أفضل للملك سرجون[٦٨]، وهناك صلاة أخرى تعود إلى الملك نبوخذ نصر(٦٠٤-٥٦٢ق.م) والتي أداها بعد أن جلب هيكل اليهود إلى بابل[٦٩]

المبحث الثالث .التراتيل والأدعية:

يعرف الدعاء على انه الطلب من ادنى الى اعلى[٧٠]، وله اهمية بالغة اذ يؤثر تاثيرا مباشرا في نفس الانسان لانه يشعره بالطمأنينة والقبول والاجابة واداء الطاعة وهو في نفس الوقت طقس من الطقوس المحببة التي تربط الانسان بوشائج القربى الى من يدعوه [٧١].

وقد وردت كلمة دعاء في اللغة السومرية بصيغة (SUIL-LA) تقابلها باللغة الاكدية كلمة (tsqatim n١)[٧٢].

وهذه الادعية في بلاد الرافدين هي خطاب ديني بين الشخص أو الكاهن والإله ويكون هذا الخطاب ذا نغمة شعرية نجدها مرتبة في فصول عديدة تسمى التراتيل أو الترانيم وان اللغة المستخدمة في ذلك هي اللغة السومرية والبابلية[٧٣]، وان هذه الصلوات سومرية ضمن طقوس الاكدية والبابلية والأشورية إذ أعيد كتابة الصلوات والتراتيل في العصور اللاحقة باللغة الاكدية مع إضافات تقليدية باللغة العامية وهذه الصلوات والتراتيل والادعية التي تنشد فيها كان القصد منها كما ذكرنا سابقا هو من اجل التوسل في طلب المساعدة ويمكننا تصنيفها حسب نغماتها وحسب استعمالها[٧٤] .

ونلاحظ أن أهم ما يميز التراتيل والادعية في بلاد الرافدين أنها تحتوي على الكثير من عبارات التكرار لصفات الإلهة[٧٥]، كما أنها استعملت الأسلوب الأدبي الفني سواء كان شعراً أو نثراً وهي تعتبر نتاج فني كما نلاحظ في هذا النوع من التراتيل أو المزامير أنها تحمل صور التشبيه التي تربط الطبيعة والكون والظواهر المختلفة التي تحيط بالإنسان[٧٦]، ولما كان مبدأ التشبيه من المبادئ الأساسية التي تتصف بها الديانة في بلاد الرافدين حيث أنهم شبهوها بكل شيء وفردوها بالسمو والخلود الذي استأثرت به منذ بداية الخليقة[٧٧]،لذا من الأمور الطبيعية أن يعكس الأدب العراقي القديم الديني نمط الحياة التي كان يعيشها منظموا الشعر والترانيم من حيث وصف الأرض والسماء والنخيل الذي يعتبر شجر العطاء حتى أنهم جسدوا إلهتهم عشتار بالزُهرة وهي أجمل الكواكب السماوية[٧٨].

ومن هذه الأناشيد والتراتيل ما يمكن نصفها على انه دعاء يرافق الصلاة أو هو نوع من التسبيح موجه الإله معين او قد يكون ترتيله ثناء وذكر صفات الإله وتمجيده وهناك نوع من التراتيل تكون عبارة عن أدعية توسل واستغفار

توجــه لكل لإله يذكر فيها الذنــوب التي ارتكبها المتعبــد ويطلب التكفير والغفران وهنا ســنذكر نمــاذج من هــذه الأدعية والتراتيــل منها ما هو سومري وأخر بابلي :

ترتيلة للإله انليل Enlil - Elil

هــذه الترتيلــة الســومرية نظمــت مــن اجل القضاء على الشــرور والبغضاء والســوء بالاســتعانة بالإلــه انليــل ســيد والــه مدينة نفر ومناجل جلب الاستقامة والعدل إليه وهي قصيدة أو ترتيلة طويلة اقتبسنا منها بعض الأبيات :

انليــل ذو الســلطان الشــامل المطلــق والكلمة السامية المقدسة

يقدر المصائــر والأقدار إلى الأبــد ، فلا تبديل لأوامره

الــذي تــرى عيناه خفايــا البلاد وتســبر أغوار الارضين

حين يجلس الأب (انليل) على المنصة المقدســة ويتحلــى بالســيادة والملوكيــة تجســد لــه الهة الأرض طائعين

الرب العظيم ذو السيادة والقدرة ، المتسامي في الســماء والأرض العليم بكل شــيء والمتمرس بالأحكام

لقد أقام بيته في دور – انكي

في نفر أقام (كبش المقدمة) المبجل مسكنه

فلا يجرؤ أن يقترب منها اله (بدون أذنه)[٧٩]....

ترتيلة (اينخيدوانا) للالهة انانا عشتار Ishtar, Innina

هــي صلاة أو ترتيلة طريفــة نظمت باللغة الســومرية على لسان الكاهنة العليا (انخيد وانا) ابنه الملك سرجون الاكدي وهي كاهنة معبد اله أور (نانا، اوننار)[٨٠]، وخلاصتها وخاصة لقسم الثاني من الصلاة يؤكد أن صلاة هذه الكاهنة قد حظيت بالقبول من الإلهة عشتار[٨١].

يــا ملكــة الملــكات العظيمــات، يــا مــن أصبحــت أعظــم مــن أمــك التــي أنجبتــكِ لحظــةَ خرجتِ مــن الرّحــم المقــدس، عارفة، حكيمة، وملكة علــى كل البقاع، يا من ضاعفتِ كل المخلوقات الحية والبشــر لقد نطقتُ بأغنيتكِ المقدّســة. أيتها الإلهة الواهبة للحيــاة، المولودة للإلوهيــة، يا من أســبّح تهليلها،الرحيمة، المرأة الواهبة للحياة، يا مشعّة القلب،

لقــد نطقــتُ بأغنيتــي أمامــك حســب مــا يناســبُ ألهتــكِ دخلــتُ أمامــكِ إلــى معبــدي المقــدس، أنــا الكاهنــة نخيدوانــا حاملــةً ســلّة البخور، أنشــدُ ترنيمتكِ الســعيدة، لكننــي الآن لم أعد أســكن المعبــد المقدس الذي شــيدته يــداك. أتــى النهــار، لدتنــي الشــمس وأتى ظــلّ الليــل، وأغرقتنــي الريــح الجنوبية صوتــي الرخيــم الحلــو كالعســل صار نشــازاً وكل مــا أعطانــي المتعــة تحــول إلــى غبــار. آه، أيها الإثم، يا ملك الســماء، يا قدري المرير، إلى الإله(آن)بلّغي شكواي، و(آن)سوف خلّصني أنا إنخيدوانا،أتضرّع إليك، إنانا، ودموعي مثل شراب حلو. أنا، من أنا بين المخلوقات البريّة!... أه،أيتهــا الملكــة التــي ابتكــرت النــواح مركــبُ النــواح سيرســو فــي أرض معاديــة وهناك سأموت، أنشدُ الأغنية المقدسة.

دعاء إلى الإلهة عشتار Ishtar, Innina

هـذا الدعاء أو في الأصـل صلاة ترافقها رقية طقسية تخاطب فيها الإلهة عشتار بصفتها آلهة الشجاعة والحرب كأعظم آلهة بين الإلهات ويصـف فيهـا المتوسـل غمه المريـر ويصلي لإعادة رخائه ليسـبح بالشكر والحمد هو وجميع من يرونه من الإلهة وهذا الدعاء وجب في معبد ايسـاكيلا في بابل وقد استنسخ من نص أقدم منه في مدينة بورسيبا(٨٢).

أيا عشتار ، ملكة كل الشعوب التي تقود البشرية باستقامة

أيـا أرنينـي (٨٣)، المبجلـة إلـى الأبـد أعظـم الاجيجي(٨٤)

أيا أقوى الأميرات ، مبجل اسمك

أنت حقا نور السـماء والأرض، ايا ابنة سـين المقدامة

أيـا مالكـة كل القـوى الإلهيـة التـي تلبس تاج السلطان

والتي مع ذلك تهب صداقة على الدوام

أيتهـا الجبارة،سـيدة المعركـة التـي تخضـع الجبال..(٨٥)

يستمر المصلي في النصوص اللاحقة بذكر صفـات ومحامـد الإلهة عشـتار ومن ثـم يبدأ بتوسلاته وبكائه بقوله

انظري إلي أيا سيدتي اقبلي صلواتي

انظري إلي بإخلاص واسمعي توسلي

عدي بعفوي ولتلطف روحك

رأفـة بجسـمي التعيـس المملـوء بالارتبـاك والانزعاج

رأفة بقلبي العليل المملوء بالدموع والعذاب

رأفـة بأحشـائي الشـقية (البائسـة ، التعيسـة) (المملوءة) بالارتباك والإزعاج ...

ثـم مـن بعد ذلـك يسـتمر بذكر مـا حل به ويدعو بصفات الإلهة عشـتار ويتوسـلها ومن ثـم يطلب أن ترضى عنه وتصفح حتى يحل به الخير والرضا منها بقوله

انظري إلي بإخلاص واقبلي توسلي ؟

حتـى متـى ، أيا سـيدتي سـتبقين غاضبة فيتحول عني وجهك؟

حتى متى ايا سـيدتي ستبقين ساخطة فتبقى روحك هائجة؟

حولـي عنقـك الذي وضعتـه ضـدي ، حولي وجهك نحو منة جيدة

كماء من فتحة دعي عواطفك تنطلق

دعيني أطأ أعدائي كالأرض

اخضعي كارهي واجعليهم يجثون أمامي

ودعي صلواتي وتوسلاتي تصل اليك

لتحل رحمتك العظيمة علي

ودعي أولئك الذين يرونني في الطريق يمجدون اسمك

أما أنا فدعيني امجد إلوهيتك وجبروتك أمام ذوي الرؤوس السوداء

ثم بعد ذلك يختم المتعبد دعائه قائلا:

أن عشتار حقا مبجلة ، أن عشتار حقا ملكة السيدة حقا مبجلة السيدة حقا ملكة

(انيني) ابنه (سين)المقدامة ليس لها ند.

صلاة وترتيلة لكل اله

هـذه الصـلاة والترتيلة لم تكـن موجه الى اله معين بل هـي موجهة لجميع الالهة وان الغرض منها هو طلب الخـلاص من عذاب يعتقد الكاتب بأنه ينتج عن انتهاك حرمة القانون الإلهي ويسند طلبه هنا إلى حقيقة كون تجاوزاته لم تقترف عمدا وهو لا يعرف حتى الإله الذي اقترف الذنب بحقه وهذه الصلاة كتبت باللهجة السومرية (emesal) مضافـا إليهـا ترجمة أكديـة بين السـطور وقد

عثــر على لوح من هذه الصــلاة في مكتبة الملك اشوربانيبال (٦٦٨-٦٣٣ق.م) [٨٦]، وهو مستنسخ من أصل أقدم منه وجاء في هذه الصلاة :

عسى أن يهدأ هياج قلب ربي نحوي

عسى الإله الذي هو مجهول أن يهدأ نحوي

عسى الإلهة التي هي مجهولة أن تهدأ نحوي

عسى الإله الذي اعرفه أو لا اعرفه أن يهدأ نحوي

عسى الإلهة التي اعرفها أو لا اعرفها أن تهدأ نحوي

عسى قلب الهي أن يهدأ نحوي

عسى قلب ألهتي أن يهدأ نحوي

عسى الإله (الذي غضب علي) أن يهدأ نحوي ...

ثــم يعتــرف المتعبــد فــي الســطور الباقية بالاعتراف بان الجنس البشــري جاهل بطبيعته ولا يعرف سبب الذنب الذي اقترفه في قوله:

الإنسان أبكم لا يعرف شيئا

البشر كل الموجودات ، ماذا تعرف؟

أكان مقترفا إثما أو فاعلاً خيراً

انه لا يعرف حتى ذلك

أيا سيدي لا تكسر بخاطر عبدك

انه منغمر في مياه مستنقع خذ بيده

الذنب اقترفه ، حوله إلى خير.

الهفوة التي ارتكبها ، دع الريح تحملها بعيداً

وسيئاتي العديدة تنزع عني كالرداء....

أيتهــا الإلهــة التــي اعرفهــا أو لا اعرفهــا خطيئات (ي) سبع سبعات ارفعي خطيئاتي

ارفعي خطيئاتي وسأعني بمجدك

عسى قلبك ، كقلب أم حقيقة أن تهدأ نحوي

كأم حقيقة(و) أب حقيقي عسى أن يهدأ نحوي .

الخلاصة

يتضح لنا من كل ما تقدم أن الصلاة هي من أهم الواجبات التي كان يقوم بها ســكان بلاد الرافدين اتجاه إلهتهم وان ســبب لجوء الإنسان العراقي القديم إلــى الصلاة، لاعتقاده أن الإلهة ربمــا تغفر له ذنوبه،وتبعد عنه الشــر، وتجعله ســعيدا أن اعتــرف هــو بخطيئته وذنبــه الذي اقترفه ، فضلا عن ذلك اعترافه المطلق بفضل الإلهة وما تقدمه له من خيرات .

كما أن الصلاة والغرض الذي تؤديه هو بمثابة الرابط الذي يقرب بين الإنســان والإلهة بغيــة مغفــرة الخطايــا والذنوب التــي ارتكبت وهــذا بحد ذاته يعد موقفــا أخلاقيا عاليا عبرت عنه الشــخصية العراقية التي عاشــت في بلاد الرافدين ونمت فيها نظام قيمي عبر عن جوهر الحضارة البشــرية وخلاصة التجربة الإنسانية فكانــت تمثل بحق مرحلة نقاء ذهني وحضاري تمثلت فيه روح الفضائل الأخلاقية .

كما وأنها تشكل نقطة مهمة في حياة إنسان بلاد الرافدين لأنها الوسيلة التي يستطيع التعبير من خلالها علــى عدد من الجوانب المهمة منها التكفيــر عــن الخطأ والذنب الــذي ارتكبه بحق الإلهة وإرادتها واعترافه المطلق بذلك .

اعتــراف الإنســان بمــا للإلهــة من قدســية وأهميــة في حياته لما يقدمه من فروض الطاعة واعترافــه من خلال أداء الصــلاة بأهميتها في حياتــه وفضل الإلهة وإرادتها المســيطرة عليه وعلــى الكون الواجب منه الاعتــراف بها .كما

أن الصــلاة هــي الإطار والحلقة التي يســتطيع الإنسان من خلاله التقرب من الإلهة والإفصاح لهــا عما يدور في خلده ومــا يريد أو يطمح من الإله تحقيقه له من خلال مناجاتها بطريقة تشير إلى مدا تمســكه بها وضعفه وحاجته إلى تدخلها وعــدم قدرته في تصريف أي أمر إلا من خلال رضا الإلهة .

وربمــا نســتطيع القــول من خلال مــا تقدم ان هــذه الصلوات وهذا الاســلوب في التضرع والخشــوع كان يصل عن طريــق الكهان الذين ربما يكونوا من الذين ارسلوا من الله الى البشر (انبياء و رســل) ولكننا لم نصل إلى حقيقة ذلك بســبب قلة المصادر المكتوبة التي توضح ذلك وربما في المســتقبل ومع المزيد من المكتشفات الاثريــة نســتطيع ان نصــل إلى حقيقــة هؤلاء الكهنــة ومن اين تأتيهم الافــكار والتنبؤات عن كيفية اداء الصلاة والســبب من وراءها بشــكل حقيقي وصائب.

ومهمــا يكــن نســتطيع القول بــإن الصلاة جــاءت معبرة عن الــروح الدينيــة والأخلاقية للفــرد العراقي ومدى ســمو العــادات الفاضلة لديه ومــدى تدينه لأنها تجعله دائــم التفكير في عواقب التي ســتحدث له في حالة ارتكابه خطأ بحــق الإلهة وبحق أرادة الإلهة وهو بذلك يمثل صورة أطاعة الصغير للكبير أو العبد للسيد .

الهوامش

١- علي، فاضل عبد الواحد وآخرون، جوانب من حضارة العــراق, العــراق في التاريــخ ، بغــداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م، ص٢٠٨.

٢- باقــر، طــه، مقدمة في أدب العــراق القديم بغداد: دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٦م، ص٢٠٠.

٣- الأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم بغداد: دار المنشــورات الثقافيــة، ١٩٨٨م ، ص٤٦؛ قاشا، ســهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم بيروت: التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٠م ، ص٢٢٨.

٤- ســليمان عامــر، العراق فــي التاريخ القديــم ، موجز التاريخ الحضــاري، الموصل: دار الكتاب للطباعة، ١٩٩٣م ، ج٢، ص١٢٠.

٥- باقر، المصدر الســابق، ص٢٤٨؛ سليمان ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٨٨.

٦- بوتيــرو، جان، لديانة عند البابليين،تــر: وليد الجادر دمشق: مركز الإنماء الحضري، ٢٠٠٥م، ص١٤٠.

٧- المصدر نفسه ، ص١٤٠.

٨- للمزيد : انظر الماجدي، خزعل، متون سومر , بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م ، ص٣١٣.

٩- نقلا عــن : بقة، بلخير، اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية ســومر وبابل٢٠٠-٥٣٩ق.م، رســالة ماجســتير غيــر منشــورة ، جامعة الجزائــر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / قسم التاريخ، ٢٠٠٨م، ص٥٣.

١٠- بارنــدر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشــعوب ، تــر: إمام عبد الفتــاح إمام الكويت : عالــم المعرفة ، ١٩٩٣م ، ص٢٣.

١١- سليمان ، مصدر سابق ، ج٢، ص١٣٣.

١٢- بوتيرو ، مصدر سابق ، ص١٧٦.

١٣- سليمان ، مصدر سابق، ص١٣٣.

١٤- الوائلي، فيصل ، ترانيم وأدعية سومرية واكدية ، مجلة سومر، العدد ١،٢ , بغداد: ١٩٦٤م ، ص٧٣؛ الوائلي، من أدب العراق القديم ترانيم وأدعية سومرية، بغداد: دار الوراق للنشر ، ٢٠٠٧م، ص٦٥.

١٥- بقة، مصدر سابق، ص٥٤.

١٦- كان العمل الأول في العبادة التي يقوم بها سكان بلاد الرافدين هو محاورة الإلهة وتمجيدها وتقديم الأضاحي لها للمزيد من المعلومات انظر (بوتيرو ، مصدر سابق، ص١٤١)

١٧- المصدر نفسه ، ص١٤٤.

١٨- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة : زكي نجيب محفوظ(القاهرة: مطابع الرجوى، ١٩٧١م)، مج١، ج٢، ص٣١.

١٩- بارندر ، مصدر سابق، ص٢٣.

٢٠- علي، جواد ، تاريخ الصلاة في الإسلام (بغداد : مطبعة الضياء، د.ت)، ص٦.

٢١- المصدر نفسه، ص٦.

٢٢- المصدر نفسه ، ص٢٣.

٢٣- فرانكفورت، هنري واخرون ، ماقبل الفلسفة، تر: جبرا ابراهيم جبرا ، ط٢(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م)، ص٢٤٢؛ الجبوري، ادب الحكمة، ص١٧١.

٢٤- باقر، طه ، من تراثنا اللغوي القديم مايسمى في العربية بالدخيل (بغداد: بيت الوراق، ٢٠١٠م)، ص١٣٤.

٢٥- لابات ، رينيه، قاموس العلامات المسمارية ، تر: الأب البير ابونا ووليد الجادر(بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٤م)، ص١٦٣.

٢٦- المصدر نفسه، ص١٦٣.

٢٧- المصدر نفسه ، ص٥٣

٢٨- المصدر نفسه، ص٣٦٠.

٢٩-المصدر نفسه، ص٥٣، ٣٣٨؛ الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية (ابو ظبي: المكتبة الوطنية، ٢٠١٠م)، ص٢١٤.

lenzi ,Alan, Reading akkadian prayer and Hymns An Introduction, USA,2011,p.46.

٣٠- الجبوري، المصدر السابق، ص٥٣٢؛ مرعي، عيد، اللسان الاكدي , دمشق: الهيئة العامة للثقافة، ٢٠١٢م)، ص٢٩٣.

31- lenzi , O.p.cit , p.26.

32- Civil,M, et.all, The Chicago Assyrian Dictionary(CAD) , chicago,1995,vol.4,p.162.

33- CAD ,vol.10,p.344.

34- CAD ,vol.10,p.344.

٣٥ - قاشا ،مصدر سابق، ص٢٣٥.

٣٦- علي، تاريخ الصلاة،مصدر سابق، ص٧.

٣٧- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م)، مج ١٤، ص٤٦٤؛ علي، تاريخ الصلاة ، ص٨.

٣٨- اوبنهايم، ليو ، بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق(بغداد: دار الحكمة ، ١٩٨١م)، ص٢١٩.

٣٩- زودن، ف.فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق إسماعيل دمشق: دار الثقافة للنشر والتوزيع،٢٠٠٣م، ص٢١٦.

٤٠- عيد الاكيتوّ:وهو يوم الاحتفال بعيد رأس السنة في العصور المبكرة من حضارة بلاد الرافدين وتعود بداية الاحتفال الى حدود منتصف الالف الثالث ق.م. وهذا الاحتفال كان يقام مرتين في السنة تارة في الخريف وتارة في الربيع وقد ارتبط هذا العيد في المدن السومرية القديمة بأسم آلاله ننار (للمزيد انظر : الراوي ، سيبان ثابت، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب - قسم الآثار ، ٢٠٠١ م ، ص ٧٢-٧٣.

٤١- للمزيد من المعلومات عن عيد الاكيتو انظر الأحمد، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧؛ باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢ بغداد: دار الارشاد، ١٩٨٦م،ج١.

42-CAD, vol.5, p.192.

٤٣- قاشا ، مصدر سابق، ص٢٣٤-٢٣٥.

٤٤- الماجدي، المصدر السابق، ص٣١١. تجدر الاشارة هنا الى ان لوضع البروك اهمية دينية استمرت حتى فترة ظهور الاسلام ومنها اشتقت كلمة التبرك بالاله من خلال البروك اليه او السجود امامه لإيصال المتعبد دعواه الى أي اله (نقلا عن : قاشا، المصدر السابق، ص٢٣١) وهنا نقول لو تفحصنا جيد المراسيم الصلاة وحالات الخشوع في الصلاة والركوع والسجود والدعاء في حالة السجود نجدها مشابهة تماماً لصلاتنا الحالية ونقول برائينا ان ما كان سائد من حالة عبادة من إشارات وحركات في العصور السابقة جاء الإسلام فصقلها بالطريقة الصحيحة والسليمة والتي قرب الإنسان إلى الله لأنها تعد الهوية والرابط بين الإنسان والإله .

٤٥-الاحمد،مصدر سابق، ص٤٦.

٤٦-المصدر نفسه .

٤٧- صاحب، زهير، ذاكرة الطين(بغداد: دار عدنان للطباعة،٢٠١٣م)، ص١٤.

٤٨-قاشا، مصدر سابق، ص٢٣١.

٤٩- بوتيرو ، المصدر السابق، ص١٤٥.

50-Frechatte, Christopher.G ,Mesopotamian Ritual-prayers of ((hand-lifting) (Akkadian Suillasa), Münster, 2012, p.5.

٥١- والتي تعني لغة النساء (لسان النسوة) وهي عبارة عن أناشيد دينية كتبت بالعصر البابلي القديم وهذه الأناشيد أو التراتيل هي نوع من الأدب السومري الوحيد الذي استمر وجوده إذ عثر على نماذج تعود إلى العصر الأشوري الحديث وكانت هذه التراتيل تأتي على لسان امرأة من الإلهة أو البشر (انظر: علي ، فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة(بغداد، ، ١٩٨٩م)، ص٤٠؛ سليمان ، عامر، اللغة الاكدية الموصل: جامعة الموصل، ١٩٩١م، ص١.

٥٢- Balag: وهو نوع من المراثي الحزن الشعائرية التي كان كاهن ال (كالو) يقوم بإنشادها بمرافقة اله موسيقية تعرف باسم (بالاك Balag) والتي يرادفها بالاكدية (ersemma) او(Balungu)

(انظر : قاشا: مصدر سابق، ص٢٣٦.

٥٣- ايريشماERSEMMA وهي صيغة الاكدية المأخوذة عن السومرية ma.se.er وتعني مرثية حزن أو شعر ديني تعبدي انظر: قاشا: مصدر سابق، ص٢٣٦.

٥٤- قاشا، مصدر سابق،ص٢٣٦.

٥٥- المصدر نفسه، ص٢٣٧.

٥٦- المصدر نفسه ، ص٢٤٠.

57- Hallow , w.w Lamentations and Prayers in Sumer and Akkad , in Civilization of the Ancient Near East ,new York , 1995,p.1876.

باقر،مقدمة في أدب العراق القديم، ص٢٠٠؛ قاشا، المصدر السابق، ص٢٣٩.

58- lenzi, Op.cit, p.36.

59- Ibid, p.38-39

60-CAD, vol.

٦١- طبقة الكالو وهي طبقة خاصة من الكهنة اختصوا بانشاد التراتيل والنحيب والبكاء وغناء الرثاء والاشتراك في مراسيم العزاء والدمار والكوارث وقد كانت مهمتهم هي استرضاء الإلهة وتهدئة غضبها بنشيدهم وكانت أناشيدهم ترافقها آلات والنقر على الدفوف والسنطور والمزامير وكانوا يتبعون لهجة خاصة في إنشاد تراتيلهم , للمزيد انظر: لابات ، المصدر السابق، ص٨٠؛ حسين، ليث مجيد، الكاهن في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة(جامعة بغداد/ كلية الآداب، ٢٠٠م ، ص٨٤-٩٠.

62- lenzi, Op.cit, p.43.

63- Ibid, p,44.

64- Ibid, p,45.

65 - Ibid,p.43.

٦٦- باقر، مقدمة في أدب العراق القديم ،مصدر سابق، ص٢٠٠.

67 - Ibid,p.47.

68 - Ibid, p.49.

69- Ibid, p.50.

70-Ibid, p.50.

71-Ibid, p.50.

٧٢- فاضل، فاتن موفق، الادعية لافي المعتقدات العراقية القديمة، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد ٣، العدد٨،٢٠١١م، ص٣.

٧٣- المصدر نفسه، ص٣.

74- Blak, J. Grorge , & postgate , N , Aconcise Dictionary of Akkacdian , Wiesbaden ,2000 ,p.256.

فاضل، مصدر سابق، ص٢٥.

٧٥- انظر باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٢٤٨.

٧٦-بوتيرو ، المصدر السابق ، ص١٤٥.

٧٧-كونتينو، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سايم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م)، ص٣٥١.

٧٨- علي، فاضل عبد الواحد، الأدب، حضارة العراق بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م ، ج١، ص٣٥١.

٧٩- المصدر نفسه، ص٣٢٢.

٨٠- بوتيرو ، مصدر سابق، ص٢٤.

٨١- باقر، مقدمة في أدب العراق القديم،ص٢٠٥.

٨٢-علي، فاضل عبد الواحد ، سومر ملحمة وأسطورة، ط٢ , بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ،٢٠٠٠م)، ص٣٥؛ الجبوري، صلاح سلمان رميض، أدب الحكمة في وادي الرافدين , بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠م، ص٤٦-٤٧.

٨٣- المصدر نفسه، ص٢٠٦

84- Pritchard, james B, Ancient near eastern texts relating to the old testament Reading from Ancient Mesopotamia,1969, p.17.

٨٥- أرنيني:وهو الاسم الأخر للإلهة عشتار وربما اشتق من الاسم السومري (اينانا) , ،

انظر:الوائلي، المصدر السابق، ص٦٠.

٨٦- الاجيجي :وهو اسم عام لإلهة السماء العظيمة (انظر:الوائلي، المصدر السابق، ص٦٠)

٨٧- الوائلي، فيصل ، من أدب العراق - ترانيم وأدعية سومرية وأكدية ، مجلة سومرمجلد ٢٠، العدد ١و٢ ، ١٩٦٤م، ص ٦٩-٧٠.

٨٨- قاشا، المصدر السابق، ص١٢٨؛ الوائلي، من أدب العراق القديم، ص٩٨.

المصـادر

١- ابـن منظـور، جمـال الديـن أبو الفضـل محمد بن مكـرم الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، لسـان العرب ، بيـروت: دار الكتـب العلميـة، ٢٠٠٣م.

٢- الأحمد، سـامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد: دار المنشـورات الثقافية، ١٩٨٨م.

٣- ارنـدر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشـعوب ، تر: إمام عبد الفتاح إمـام الكويت : عالم المعرفة، ١٩٩٣م.

٤- اوبنهايـم، ليو ، بـلاد ما بين النهرين، تر: سـعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد: دار الحكمة ، ١٩٨١م.

٥- باقـر، طه، مقدمة في أدب العـراق القديم بغداد: دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٦م.

٦- باقر، طـه، مقدمة في تاريخ الحضـارات القديمة، ط٢، بغداد: دار الإرشـاد ، ١٩٨٦م.

٧- باقـر، طه ، مـن تراثنا اللغوي القديم ما يسـمى في العربية بالدخيل ، بغداد: بيـت الـوراق، ٢٠١٠م.

٨- بقـة، بلخير، اثر ديانة وادي الرافديـن على الحياة الفكريـة سـومر وبابـل٢٠٠-٥٣٩ق.م، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة ، جامعـة الجزائر ، كلية العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة / قسـم التاريـخ، ٢٠٠٨م.

٩- بوتيـرو، جـان، لديانـة عنـد البابليين،تـر: وليـد الجادردمشق: مركز الإنماء الحضري، ٢٠٠٥م.

١٠-الجبوري، صلاح سـلمان رميـض، أدب الحكمة في وادي الرافديـن بغـداد: دار الشـؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠م.

١١- الجبوري، علي ياسـين، قامـوس اللغة الاكدية , ابو ظبي: المكتبة الوطنية، ٢٠١٠م

١٢- حسين، ليث مجيد، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجسـتير غير منشـورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب ، ٢٠٠م.

١٣-ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة : زكي نجيب محفوظ ، القاهرة: مطابع الرجوى، ١٩٧١م.

١٤- زودن، ف.فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تـر: فـاروق إسـماعيل, دمشـق: دار الثقافة للنشـر والتوزيع،٢٠٠٣م.

١٥- سـليمان ، عامـر، اللغة الاكديـة الموصل: جامعة الموصل، ١٩٩١م.

١٦- سـليمان ، عامر.، العراق فـي التاريخ القديم, موجز التاريـخ الحضاري،الموصـل: دار الكتاب للطباعة، ١٩٩٣م.

١٧- صاحـب، زهير، ذاكرة الطين ، بغـداد: دار عدنان للطباعة ،٢٠١٣م.

١٨-علـي، جـواد ، تاريـخ الصلاة في الإسـلام , بغداد : مطبعة الضياء، د.ت.

١٩-علـي، فاضـل عبـد الواحـد وآخـرون، جوانب من حضـارة العـراق, العراق فـي التاريخ ,بغـداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣م.

٢٠-علي، فاضل عبد الواحـد وآخرون، الأدب، حضارة العراق، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م

٢١-علي، فاضل عبد الواحد وآخرون ، من ألواح سـومر إلى التوراة، بغداد، د.م ، ١٩٨٩م.

٢٢-علي، فاضل عبد الواحد وآخرون ، سـومر ملحمة وأسـطورة، ط٢ بغـداد: دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، ٢٠٠٠م

٢٣- قاشا، سهيل، تاريخ الفكر في العراق القديم ، بيروت: التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

٢٤- كونتينـو، جـورج ، الحيـاة اليوميـة في بـلاد بابل واشـور، ترجمة: سـليم طه التكريتـي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م،

٢٥- لابـات ، رينيـه، قاموس العلامات المسـمارية، تر: الأب البير ابونا ووليد الجادر، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٤م.

٢٦- الماجـدي، خزعل، متون سـومر , بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م .

٢٧- مرعي، عيد، اللسان الاكدي ، دمشق: الهيئة العامة للثقافة ، ٢٠١٢م

٢٨-الوائلـي، فيصل ، من أدب العـراق - ترانيم وأدعية سومرية وأكدية ، مجلة سومر مجلد ٢٠، العدد ١و٢، ١٩٦٤م .

٢٩-الوائلي، فيصل، من أدب العراق القديم (ترانيم وأدعية سومرية)، (بغداد: دار الوراق للنشر ، ٢٠٠٧م).

30- Blak, J. Grorge , & postgate , N , Aconcise Dictionary of Akkacdian , Wiesbaden ,200

31- Civil,M, et.all, The Chicago Assyrian Dictionary(CAD) , chicago,1995.

32- Frechatte, Christopher.G ,Mesopotamian Ritual-prayers of ((hand-lifting) (Akkadian Suillasa), Münster, 2012.

33- Hallow , W.W, Lamentations and Prayers in Sumer and Akkad , in Civilization of the Ancient Near East ,new York , 1995.

34- lenzi ,Alan, Reading akkadian prayer and Hymns An Introduction, USA,2011.

35- Pritchard, james B, Ancient near eastern texts relating to the old testament, Reading from Ancient Mesopotamia,1969.

Prayers and hymns in Mesopotamia

Dr..Khamayil Shakir Abu Khdair

Abstract

Religion occupied a prominent place in the lives of folks and the people of Mesopotamia, which is evidenced by the abundance of blogs and religious texts left behind us the owners of this ancient civilization, which is one of the finest types of literary production, which arrived to us from ancient writers Iraq. And that what came to us from the many cuneiform texts in both the Sumerian, Babylonian, which indicates that the old March the Iraqi man many rituals for worshiping gods and closer to it, it was between this prayer ritual that promised the first ritual of worship in the religion Sumerian and link strong between the earth and the sky, or between human and god. The specific practices associated with the minivan full cleansing and ablution washing hands and kneel and raise your hands to the gods and Mumbling some prayers and supplications,. Thus prayer formed a way to connect the individual god intent to avoid his anger and his punishment and gain satisfaction and propitiation blessings. She expressed piety, fear and reverence and try to achieve spiritual peace to the individual and to ensure that the march of life worshiper and achieve his wishes and aspirations in terms of prosperity, health, and boys and longevity. In the other, when any disobedience to the Creator is the person responsible for his illness and misfortune and disappointment in the absence of divine protection.

Hence the importance of our research in highlighting the nature and types of prayer which was performed by the old Iraqi man, and its contents from the meanings and purposes as well as the way in which the old Iraqi was performed and the most important movements that have been exercised to express his obedience and loyalty to the goddess.

المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة ومواجهة الارهاب الفكري

د.عماد الكاظمي(*)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المعصومين.

إنَّ الحديث عن الإسلام حديث عن شريعة إنسانية كاملة، تحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة، لو تمسك الإنسان بنظامها التشريعي، الذي سنَّه الله تعالى، إذ قال عزوجل في وصف مصدر التشريع الإسلامي: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(١)، ففي نظامه الهداية للبشرية بصورة عامة، والبشارة للمؤمنين بصورة خاصة، وكُلُّ ذلك لأنَّ المشرّع هو الله تعالى الكامل المنزَّه من أيّ نقصٍ، الغني عن الخلق أجمعين، فأي نظام يضعه غير الله تعالى يحتمل النقص والحيف، فالمتأمل في آيات الله تعالى يرى ذلك التكامل في جميع جوانبه الحياتية، العبادية منها والاجتماعية التي تدل على كمال الخالق وما يصدر عنه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٢)، فالآية صريحة في تشريعها على تلك المفردات العظيمة التي فيها دوام الحياة وقيموميتها في أحسن حال، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣)، والآيات كثيرة قد سمع بها جميع المسلمين وغيرهم، فضلاً عن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا قرآنًا ناطقًا يجسّدُ تلك المعاني الإنسانية الخالدة حتى آل الأمر بأولئك الأعراب أنْ يدخلوا في دين الله أفواجًا لما رأوه من عظمة الخلق والمنهج، فوضعوا أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وكُلَّ ما يملكون بين يدي الله ورسوله وخلفائه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

(*) تدريسي/ الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية (لندن)/ فرع العراق

دَعَاكُـمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [٤] فعلموا أنَّ الحياة الحقيقية هـي الحياة الإنسـانية التـي تتجلى فيهـا معاني الإنسـانية العظيمة، وليسـت حياة الغلبة والقوة والقهر والاعتداء على الأنفس والأعراض، تلك الحياة التي كانوا قد آعتادوا عليها وكما بينها الله بوصفه: ﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُـمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾. [٥]

فهذه إشراقة من تعاليم الإسلام الذي آستطاع المسلمون من خلاله أنْ يصلوا إلى شرق الأرض ومغربها، ويُأسسوا لدولتهم العظيمة، فضلاً عن القلوب التي آمتلكوها فلا تعد ولا تحصى، بعد أنْ رأت ما فيه من تعاليم إنسـانية عظيمة، عجزت جميع المذاهب والفلسفات والنظريات المادية أنْ تأتي بمثل نظامه الأكمل.

إنَّ ذلـك التأريـخ والمجد العظيم للمسـلمين لـم يبقَ على حالـه من العز والكرامـة والرفعة لأسباب متعددة، كان من أهمها آختلاف المسلمين في تأويل النص القرآني وتعدد الآراء والأقوال، فضلاً عن آبتعادهم عن مصدر التشريع الأساسي الـذي خلَّفـه النبي في أمتـه، ووعدهـم بالهداية والسـعادة إنْ تمسكوا به، وهما (القرآن والعترة) كمـا تضمنه حديثه المتواتر والمشـهور بحديث الثقليـن، فاختلـف على إثر ذلك المسـلمون إلى طرائـق مختلفة، كُلٌّ يدَّعـي الهداية والصواب، وكان من تلك الفِرَق (الخوارج) والتي آنقسـمت على آتجاهات متعددة [٦]، أولئك الذين يَرَوْنَ في أنَّ ما يؤمنون به هو الحق، وكُلُّ ما سـواه باطل وضلال، وَمَنْ لم يؤمن به فهو ضال يجب قتله، وآمتدت بعض تلك الأفكار الضالة المنحرفة إلى يومنا، ليسـتغل وجودها أعداء الإسـلام فيهيؤوا لها ما تحتاج إليه من أجل إحيائها وبعثها؛ لتؤدي تلـك الجهات وأذنابها بهـذه المجموعات دورها المشؤوم في ضرب الإسلام معنويًا وماديًا؛ لئلا يؤدي رسـالته العظيمة الخالـدة في المجتمعات الغربيـة التـي تتطلع إلـى الأنظمـة التي تحقق سعادتها، بعيدًا عن الحياة المادية المجردة، فكان مـن ذلك ما نراه اليوم على السـاحة الإسـلامية والعربية من ظهور عصابات ما يعرف بـ(داعش) في أعرق بلد للحضارة الإنسانية وهو (العراق)، والتي أدت ذلك الدور الإرهابي الإجرامي باسـم الدين الإسلامي، تشـويهًا ودعوة لتشويه معاني الإسلام العظيمة، فكان القتل والتفجير والتهجير والسبي وقطع الرؤوس وسـفك الدماء رسالتهم الإسـلامية الحديثة التي يريدوا أنْ يروّجوا لها، لذلك وجـب على علمـاء الدين الإسـلامي، بل والديانات السـماوية الأخرى أنْ يتبرؤوا من كُلِّ تلك الأعمال الوحشـية التي لا يمكـن مطلقًا أنْ تنسب لله تعالى مهما آختلفت الديانات، بل وعلى جميع المفكرين والمثقفين والمؤسسات العلمية أنْ ينشروا في المجتمع مساوىء هذه الفئات الضالة المضلة التي تريد أنْ تفسـد في الأرض، فسـادًا ماديًّا ومعنويًّا، مـن خلال المؤتمرات والبحوث واللقاءات ونشر التعاليم الحقيقية للدين الإسلامي، فالديـن الذي يرتبـط بالله تعالى هـو الدين الذي يدعو إلى كرامة الإنسان وتعظيمه كما قال تعالى في دعوته الإنسانية العامة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيلًا﴾ [٧]، وهـذه الصفحات هي محاولـة لمواجهة الخطر الوحشـي لأولئك المجرمين، فعلينا أنْ نعدَّ العدة ما آستطعنا من قوة الفكر والعقيدة، والعلم والثقافة لمواجهتهم ميدانيًّا، من خلال طريقين أساسيين: الأول: بيـان أفكار تلك الفئـات الهدامة الضالة. والآخـر: تثقيـف المجتمع نحو تعاليم الشـريعة الإسـلامية المقدسة التي لا شائبة فيها. وفي ذلك

خدمــة جليلة للعلم والمجتمــع، ولعراقنا الجريح الذي يســتحق أنْ نقدم لــه كُلَّ ما نملك لتحصينه من كُلِّ الأعداء، وقد قسمت البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين فخاتمــة ووصايا، تناولت في المبحث الأول: التعاليم الإنســانية في الشــريعة الإسلامية المقدســة، وفي المبحث الثاني: أسس الدعوة إلى الشــريعة الإســلامية المقدسة، وذلك بمطلبين: المطلــب الأول: الدعوة الحســنى في الشــريعة الإسلامية، وفي المطلب الثاني: أهمية الأمــر بالمعروف والنهــي عن المنكــر وآداب القتال في الشريعة الإسلامية.

نســأل الله تعالــى أنْ يتقبــل هذه المشــاركة بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

تمهيد: الإرهاب لغةً وٱصطلاحًا.

الإرهاب (لغة):

قــال ٱبــن منظــور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((رَهِبَ بالكســر يَرْهَــبُ رَهْبَــةً، ورُهْبًا بالضــم ورَهَبًا بالتحريك أَي خافَ، ورَهِبَ الشــيءَ رَهْبًا ورَهَبًا ورَهْبةً خافَه .... وتَرَهَّبَ غيرَه إذا تَوَعَّدَه)). (٨)

الإرهاب (ٱصطلاحًا):

قــال الراغب الأصفهانــي ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((رَهَــبَ: الرَّهْبَــةُ والرَّهْــبُ مَخَافَةٌ مَــعَ تَحَرُّزٍ وٱضطِــرابٍ، قال تعالى: ﴿لأَنْتُمْ أَشَــدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ (٩)، الرَّهْبُ أي الفَزَعُ)). (١٠)

وورد في تعريفه: ((وضعُ الغيرِ تحتَ ســلطانِ رهبةٍ لإكراههِ على عملٍ، أو الامتناعِ عنه))(١١)

ومن التعريف اللغــوي والاصطلاحي لهذه المــادة (رهب) يمكــن القــول: إنَّ المعنى يدور حول الخوف والإخافة، ســواء كان ذلك الخوف في الجانب الإيجابي كخوف النفس من الله تعالى أو مما يهددها، أم في الجانب الســلبي من إخافة الآخرين بغير حقٍّ مشروع وتهديدهم.

ولكن هــذا الاســم للفعل (رهب) نســتطيع القول إنه قد غادر وهجر ذلك المعنى ليســتعمل -اليــوم- فــي كُلِّ عمــلٍ يهــدد الآخريــن ويبث فيهــم الرعب، لذلك عَرَّفَهُ مجمــع اللغة العربية بقولــه: الإرهابيون: وصفٌ يطلــقُ على الذينَ يسلكونَ سبيلَ العنفِ والإرهابِ لتحقيقِ أهدافهِم السياسية. (١٢)

ويمكننــا أنْ نعرفــه من خلال مــا تقدم بأنه: سبيل العنف والإكراه الذي تمارسه بعض الفئات من أجل الانقياد لأطروحتها، وإلغاء سواها.

وهــذا التعريــف لــه مصاديــق متعــددة في تأريخنا الإســلامي، فلو أننا حاولنا دراسة جميع الفِــرَقِ التي كانت تتخذ من الإرهاب وســيلة في تحقيق أهدافها لرأينا أنَّ الغاية السياســية للسلطة والحكــم هي الأســاس، وإنْ كانــت تحت غطاء عقيــدة بصورة عامة، وقد يكون من أجل تحقيق أهــداف مذهبيــة محــددة دون الحصــول علــى مكاسب سياسية للحكم. (١٣)

فالمجموعــات التــي نراها اليــوم في جميع الأماكن ولا ســيما التي تتخذ من الإسلام شعارًا لهــا من أجــل تحقيق مكاســبها وأهدافهــا بالقتل والاعتداءات علــى الآخرين، إنما هي منظمات إرهابيــة تريد أنْ تحقق ذلك من خلال شــعارات إســلامية ولكنها في الحقيقة هي بعيدة عن أبسط تعاليم الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الرحمة والعفــو والتســامح والحوار الهــادف، وما يراه الجميــع مــن أعمال وحشــية يدل علــى بطلان دعوتهم وأهدافهم.

فالإرهــاب الفكــري ناتج عــن ٱنحراف في الفكــر بإفراط أو تفريط؛ لذلــك يمكن لأي متتبع لحقيقة الإســلام وتعاليمه المقدســة ومــا تقوم به

تلك المنظمات الإرهابية باسم الإسلام أنْ يرى تلك المفارقات الكبيرة بين الدعوة والتطبيق، والصدق والتمويه على الآخرين، وعلى أساس هذا قد يسأل الباحث الذي يبحث عن الحقيقة الناصعة التي تحافظ على تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة والعلاقات الإنسانية بأسئلة متعددة تدور حول ما تقدم منها:

- هل المشكلة في تعاليم الإسلام ؟ أم في تطبيق تعاليمه عند المسلمين؟

- ماذا يريد الإسلام من المسلمين ؟ و ماذا يريد المسلمون من الإسلام؟

- هل الإسلام أصبح جزءً من مشكلة عالمية أم حلاً ؟

- هل بعض المسلمين هم أساس المشكلة الإرهابية ؟ أم هناك عوامل أخرى ؟

وغيرها من الأسئلة التي تدور بين الباحثين للوصول إلى الحل الأمثل في مواجهة هذه المشكلة العالمية التي تهتك أبسط تعاليم الإنسانية، ومبادىء حقوق الإنسان التي وضعتها الشريعة الإسلامية المقدسة والمنظمات الإنسانية.

ونحاول في هذه الصفحات الموجزة أنْ نبيّن وجهة نظر الشريعة الإسلامية المقدسة بمبحثين:

- الأول: التعاليم الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة.

- الثاني: أسس الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة.

المبحث الأول:

التعاليم الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة.

في هذا المبحث نبيّن بإيجاز -شديد- بعض التعاليم الإسلامية المقدسة التي تؤكِّد عظمة المُشَرِّع والتشريع من خلال نظامه الإنساني المتكامل الذي يرافق حياة الإنسان منذ ولادته حتى موته، وما يتعلق بذلك من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكِّد تلك المبادىء العظيمة، فالآيات الشريفة المتعددة التي تضمنت المعاني الإنسانية السامية تخالفها تمامًا تلك الأفعال الإرهابية التي تقوم بها تلك المنظمات الإرهابية باسم الشريعة الإسلامية المقدسة، ولنتأمل بعجالة في بعض تلك الآيات.

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾. (١٤)

إنَّ الآية الشريفة تشير إلى مفاهيم إنسانية عظيمة فالآية الشريفة تؤكِّد عظمة الإنسان عند الله تعالى عامة من دون النظر إلى أي آنتماء ديني له، أو مكاني، أو زماني، أو غير ذلك، بل بمجرد كونه إنسانًا مخلوقًا في هذا الوجود، لذلك أشار بقوله (بني آدم) فلم يخاطب المسلمين أو النصارى أو غيرهم، بل هي دعوة إنسانية عامة، تبين معاني التكريم الإلهي للبشرية كُلِّها بما يأتي:

١- التكريم الإلهي للإنسان دون تركه سدى من غير نظام يحفظ له كيانها الإنساني في المجتمع.

٢- تسخير الله عز وجل ما في الوجود لخدمة الإنسان ليتنعم بهذه النعم الإلهية، وهذا يدلُّ على مكانته عند الله تعالى، وذلك من خلال قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

٣- العناية الإلهية بتوفير الرزق المادي والمعنوي لعباده عامة، وهذا يدل على عظمة العبد عند ربه ومقامه لذا كان الاعتناء منه بتوفير خير الرزق وأعظمه من طيبات النعم لا خبائثها، إذ قال عز وجل: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

٤- التفضيل من الخالق للإنسان دون سواه من المخلوقات الأخرى من جميع الجوانب المادية والمعنوية، وتسخير تلك الموجودات لهذا المخلوق الذي فضله الخالق، فقال عز وجل:﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. (١٥)

فهذ التكريم الذي كرم الله تعالى به الإنسان يدل على عظمة الإنسان من جهة، وعالمية الإسلام من جهة أخرى، فالخطاب كما تقدم خطاب عام، يهدف إلى وضع أسس عامة للبشرية على وفق نظام يحقق سعادتها بالإقناع والحوار، وعدم تجاهل الآخرين، وهذا ما تؤكده الدراسات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة، يقول الدكتور فؤاد كاظم المقدادي: ((إنَّ من الأصول الأصيلة التي يقوم عليها الإسلام والدعوة الإسلامية هي أنها عالمية، وخالدة، وشاملة للإنسان في كُلِّ زمان ومكان، فإنَّ خطابه شاملاً للبشرية جمعاء، وإنَّ دعوته إلى إقامة العدل الإلهي وتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان قائمة على الدليل والحجة التامة، التي يجب أنْ يصل بيانها إلى كُلِّ إنسان في كُلِّ زمان ومكان)). (١٦)

إنَّ ما تقدم باختصار يبين عظمة الإنسان عند خالقه، ودعوة للتفكُّر والتأمل في عظمة الخالق والمخلوق، بل دعوة جلية لاحترام وتكريم الإنسان وعدم الاعتداء عليه مطلقًا، إلا إذا ٱرتكب أمرًا يستحق عليه عقابًا؛ لذلك نرى التشديد العظيم من الله تعالى في جريمة قتل الإنسان بغير حق، إذ قال عز وجل عند وقوع أول جريمة قتل في الأرض من قبل قابيل تجاه أخيه هابيل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. (١٧)

فالإنسان يلمس فيما تقدم قيمتين مهمتين، الأولى: قيمة أولية مشتركة بين بني الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، والأخرى: قيمة مكتسبة يحصل عليها الإنسان بحركته التكاملية، ضمن مسارَيْها المعنوي الخلّاق للنفس الإنسانية، والتصديقي العملي البنَّاء للحياة الاجتماعية. (١٨)

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (١٩)

إنَّ هذه الآية الشريفة من الآيات المباركة التي تبين وتدعو إلى التعايش السلمي بين البشرية كلها لذلك كان ٱبتداء الخطاب من الله تعالى بخطابه للناس فضلاً عن أي ٱنتماء لهم، ويمكن إجمالاً قراءة الآية الشريفة من بيان ما يأتي:

١- عالمية الشريعة المقدسة من خلال قوله عز وجلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فلفظ الناس يؤكِّد الدعوة الإنسانية العالمية للشريعة الإسلامية المقدسة، وهذا ٱعتناء من المُشَرِّع لعباده، وما فيه من دلالة على مقامهم عند الله تعالى.

٢- العناية الإلهية في إيجاد المجتمعات الإنسانية في هذه الدنيا، بعد الإيجاد الفردي وتسخير ذلك لخدمة الناس من خلال التعارف بينهم في المجالات المتعددة الكثيرة التي لا يمكن حصرها، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

٣- بيان مقياس الكرامة والتقرب عند الله تعالى، ووضع أُسس ذلك في المجتمع، وهو «التقوى»، فتقوى الله تعالى هي السبيل للوصول

إلــى رضاه والكرامة عنده، وبذلك تجريد للنفس عن النزعات الشــهوانية ورذائل الأخلاق والتي منها الاعتداء على الآخرين وممتلكاتهم.

وفــي هذه الآية المباركة يمكــن بيان قيمتين مهمتين في الحركة الاجتماعية للإنسان، الأولى: قيمــة التناظــر والتماثــل في الأصل الإنســاني الأولــي بين الشــعوب والأمــم، والأخرى: قيمة التكريم والتفاضل الإنساني المكتسب بين الناس أفرادًا وجماعات. (٢٠)

إنَّ هاتيــن الآيتيــن الكريمتين تبيــن الأبعاد الإنسانية التي يبتني عليها نظام الشريعة المقدسة من خــلال مخاطبتــه –ٱبتــداء- البشــرية كُلَّها، ومن ثم يكــون بعث الرســل والأنبياء ودعوتهم إلى الإيمان بشــريعة إلهية، وترك الباب أمامهم مفتوحًا للتفكُّر والتأمل في ٱختيار طريق الصلاح والهدايــة أو لا، وهذا ما أكَّــده الخطاب القرآني في عدد من آياته الشريفة، إذ قال تعالى في بيان الحجة وتمامها من إرسال الأنبياء (عليهم السلام) وتبليغهم الرســالة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِــرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيــمٌ * وَالَّذِينَ سَــعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِيــنَ أُولَئِــكَ أَصْحَابُ الْجَحِيــمِ﴾ (٢١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَــنِ ٱهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِــهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِــلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُــمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٢٢)، فلنتأمل فــي هذا الأســلوب الإلهي الأممي الرســالي في الدعــوة من حيث تــرك الاختيار في الإيمان من بعد القناعة والدعوة الحسنى.

بل إنَّ الإســلام في كثير مــن الموارد جعل الإكراه أمــرًا مرفوضًا في الدعــوة إليه، وإنما هو قائم على الإيمــان والاعتقاد، وإقامة الحجة بالدليــل العلمــي الذي يؤيد الهــدف من دعوته، يقول ســيد قطب: ((إنَّ قضيــة العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية ٱقتناع بعد البيان والإدراك؛ وليســت قضية إكــراه وغصب وإجبــار، ولقد جاء هــذا الدين يخاطب الإدراك البشــري بكُلِّ قواه وطاقاته، يخاطــب العقل المفكر، والبداهة الناطقــة، ويخاطب الوجــدان المنفعل، يخاطب الكيان البشــري كلــه، والإدراك البشــري بكُلِّ جوانبه؛ في غير قهر .... إنَّ حرية الاعتقاد هي أول حقــوق الإنســان التي يثبت لــه بها وصف «إنسان»، فالذي يسلب إنســانًا حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ٱبتداء، والإسلام -وهو أرقى تصــور للوجود وللحياة، وأقــوم منهج للمجتمع الإنســاني بلا مــراء- هو الــذي ينــادي بأنْ لا إكراه في الدين، وهــو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين)). (٢٣)

وفي ذلك نظرة واضحة حول تعامل المشرِّع مع الناس كلهم، من خلال تشــريع الأنظمة التي تحافظ علــى كيان الجميع مــن الناحية العقائدية والاجتماعية وغيرهما.

ولعــل في ذلك يكمن الســر في نجاح الدعوة الإسلامية القائمة على ٱحترام معتقدات الآخرين، من غير لجوء إلى أي قوة وإجبار، ينقل الشــيخ «حســن الصفــار» عــن حاكــم المســتعمرات الفرنسية بأفريقية في كتابه «الديانات في أفريقية الســوداء»: ((إنَّ ٱنتشار دعوة الإسلام في أغلب الظروف لم يقم على القسر، وإنما قام على الإقناع الذي يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولاً ولا طولاً إلا إيمانهم العميق بربهم، وقد يسَّر ٱنتشار الإســلام أمرًا آخر مهم أنــه دين فطرة بطبيعته، سهل التناول، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكليف والتطبيق في مختلف الظروف)). (٢٤)

وهذا ما نراه ظاهرًا في سيرة وبعثة الأنبياء إلى أممهم، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٢٥]، فالآية واضحة من حيث المعاني والدلالة على هذه النعمة في هداية البشرية نحو صلاحها وكمالها، وللعلامة الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) في تفسيره بيان وتوضيح مهم جدًّا للآية إذ يقول: ((الآيةُ تبيِّنُ السببَ في تشريعِ أصلِ الدينِ وتكليفِ النوعِ الإنسانيّ به، وسببَ وقوعِ الاختلافِ فيه، فالاختلافُ اختلافان: اختلافٌ في أمرِ الدينِ مستندٌ إلى بغي الباغينَ دونَ فطرتِهم وغريزتِهم، واختلافٌ في أمرِ الدنيا وهو فطريٌّ وسببٌ لتشريعِ الدينِ، فالدينُ الإلهيُّ هو السببُ الوحيدُ لسعادةِ هذا النوعِ الإنسانيّ، والمصلحِ لأمرِ حياتِهِ، يصلحُ الفطرةَ بالفطرةِ، ويعدِّلُ قواها المختلفةَ عند طغيانِها، وينظمُ للإنسانِ سلكَ حياتِهِ الدنيويَّةِ والأخرويةِ، والماديةِ والمعنوية)). [٢٦]

فالدين هو الأساس في حَلّ الخلافات والاختلافات التي تحصل بين الناس؛ لأنه النظام الأكمل الذي يحقق السعادة للإنسان، وذكر الشيخ «ناصر مكارم الشيرازي» مراحل سبعة يمر بها الإنسان لها أثر في تهذيب سلوكه وتأثُّره في تعامله وتفاعله مع رسالة الأنبياء (عليهم السلام). [٢٧]

المبحث الثاني:

أسس الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد وضعت حدودًا معينة في بيان أُسس وسبل الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وأغلب تلك الأُسس قائمة على الدعوة والحوار وما يتعلق بهما، ويمكن قراءة ذلك من خلال ما تضمنته الآيات المباركة في ذلك تصريحًا تارة، وتلميحًا أخرى، ومَنْ يتلو القرآن تلاوة تدبُّرٍ وتأمُّلٍ -كما هو المفروض- لرأى عظمة الدعوة في الشريعة الإسلامية وسلميَّتها، فضلاً عن الروايات الواردة في السُّنَّة الشريفة، فلم يلجأ المسلمون إلى القتال والحرب إلا في مجالات محدودة جدًّا ووفق نظام إنسانيٍّ، غير عدوانيٍّ مطلقًا، وسوف نبين ذلك بمطلبين: الأول ما يتعلق بالآيات الشريفة التي تؤكِّد أُسس الدعوة الحسنى في الشريعة الإسلامية، والثاني ما يتعلق بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب الجهاد؛ لنرى بعد ذلك عظمة التشريع الإسلامي وأبعاده الواسعة التي يمكننا نظامه من تحقيق السعادة للبشرية، وبيان زيف وبطلان المنظمات الإرهابية التي تدَّعي الإسلام، وتطبيق أحكامه، والدعوة إليه بالقتل والتخريب والدمار.

- المطلب الأول: الدعوة الحسنى في الشريعة الإسلامية.

إنَّ الحسنى والسلم والسلام من أهم سبل الدعوة إلى الإسلام، بل إلى جميع الشرائع الإلهية، وهذا يمكن استنباطه من نصوص الشريعة المقدسة، ونحاول بإيجاز ذكر بعض تلك الآيات الشريفة وما يتعلق بها، والتي هي بمثابة فقرات نظام الشريعة الإسلامية.

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (٢٨)

إنَّ الآية المباركة واضحة الدلالة في الدعوة إلى الحوار مع أهل الديانات الأخرى من غير المسلمين فيما يتعلق بعبادة الله تعالى والدعوة إليه، وذلك بالاتفاق على كلمة قد اجتمع الناس عليها وهي التوحيد والعبودية لله تعالى دون سواه، وهذه الدعوة تدلُّ على الروح السامية لتعاليم النظام الإسلامي من خلال فتح الحوار والمجال أمام الآخرين للتفكُّر والتدبُّر في الدعوات السلمية الموجُّهة إليهم، فإنْ قُبِلَتْ هذه الدعوات فهو خير، وإنْ رُدَّتْ فالأمر مسلَّمٌ إلى الله تعالى في إقامة الحجة عليهم في الدنيا، لذا قال الله مخاطبًا المسلمين في حال عدم قبول دعوتهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وفي ذلك غاية السلم والسلام في الدعوة الإسلامية، قال العلامة الطباطبائي في بيان ما يتعلق بالآية الشريفة: ((إنَّ النبوةَ انبعاثٌ إلهيٌّ ونهضةٌ حقيقيةٌ يُراد بها بسط كلمة الدين، وإنَّ حقيقة الدين تعديل المجتمع الإنساني في سَيْرِهِ الحيوي، ويتبعه تعديل حياة الإنسان الفرد، فينزل بذلك الكل منزلته التي نزله عليها الفطرة والخلقة، فيعطي به المجتمع موهبة الحرية وسعادة التكامل الفطري على وجه العدل والقسط، وكذلك الفرد فهو فيه حُرٌّ مطلق في الانتفاع من جهات الحياة فيما يهديه إليه فكره وإرادته، إلا ما يضر بحياة المجتمع، وقد قُيِّدَ جميع ذلك بالعبودية والإسلام لله سبحانه، والخضوع لسيطرة الغيب و سلطنته)). (٢٩)

وهذا كلام في غاية الأهمية والدقة والعمق في التفكير لبيان عظمة الدعوة، وأُسسها التي تقوم عليه، وليس ما نراه من أبشع صور الإجرام الذي يُراد منه تشويه صورة الإسلام والمسلمين للوقوف أمام الدعوة إليه.

فالحوار أساس الدعوة في إقامة العلاقة بين أصحاب الديانات والمعتقدات المختلفة، ولا يكون عن طريق القوة وفرض الرأي على الآخرين بالقهر والاستبداد، أو تكفير الآخرين لأدنى سبب، فالتكفير واتهام الناس في أديانهم أمر مرفوض شرعيًّا وعقليًّا، والذين كانوا يسلكون هذا المنحى إنما ينطلقون من جهلهم بحقائق الإسلام، ومن ابتعادهم عن أخلاقه وتعاليمه الحضارية السامية، وبذلك يشكلون خطًّا شاذًّا منحرفًا في ثقافة الأمة وتأريخها. (٣٠)

* قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتي هيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾. (٣١)

إنَّ هذه الآية الشريفة من الآيات التي بيَّنت سُبُل الدعوة إلى الله تعالى، فهي تشير إلى أمور مهمة ثلاثة في الحوار مع الآخرين والتسليم لله تعالى عن طريق الدعوة والمجادلة، وقد بينت الآية الشريفة أنَّ الدعوة قائمة على أساس ذلك ويجب التمسك به في الخطاب مع الآخر وإقناعه بالإيمان في الشريعة المقدسة، بل والتقييد كذلك:

١- الحكمة. أي بالعقل والدعوة العقلائية التي تهذب الفكر عن الشبهات والانحراف.

٢- الموعظة الحسنة. أي الكلمة والأسلوب الذي يفتح القلوب لاستماعها والتأثُّر فيها.

٣- المجادلة بالأحسن. أي الحوار الهادف المتكامل وفق الطريقة الحسنة التي يتفق عليها المتحاورون، وليس التعصُّب الأعمى لفكرة معينة.

وفي ذلك كمال السلم والتسامح والوئام في الشريعة المقدسة بتعاملها مع الآخرين، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، وفي ذلك درس بليغ للذين ينادون للحوار بين الأمم والديانات، قال الشيخ «ناصر مكارم الشيرازي» في بيان الآية الشريفة: ((إنَّ الآية الشريفة تبيّن أهم الأوامر الأخلاقية الأساسية التي ينبغي التحصُّن بها عند مواجهة المخالفين على أساس منطقي، ويمكن تسمية ذلك بالأصول التكتيكية ومنهج المواجهة في الإسلام ضد المخالفين، كما وينبغي العمل به كقانون كلي شامل لكُلِّ زمان ومكان، فالحكمة أول خطوة على طريق الدعوة إلى الحق وهي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم، أو النفوذ إلى داخل فكر الناس ومحاولة تحريك وإيقاظ عقولهم، كخطوة أُولى في هذا الطريق، والموعظة الحسنة وهي الخطوة الثانية في طريق الدعوة إلى الله، بالإفادة من عملية تحريك الوجدان الإنساني، وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر دقيق وفاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، والمجادلة بالتي هي أحسن هي الخطوة الثالثة وتختص بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة؛ ليكون مستعدًّا لتلقي الحق عند المناظرة)). [٣٢]

فهاتان صورتان قرآنيتان عن حقيقة الدعوة في الشريعة الإسلامية المقدسة، والتي تمثل النظام الأكمل للبشرية، دون سواه من الأنظمة الدنيوية التي تقوم على أساس الأغراض الدنيوية فقط، من خلال الحوار، والدعوة الحسنة، القائمة على العلم والمعرفة، والاعتراف بالآخر، وعد الرضوخ للأسباب التي تؤدي إلى الانحرف في التفكير، أو الإرهاب الفكري الذي يعتمد على عوامل وأسباب تمهد له ذلك.

ويشير الباحث الشيخ «حسن الصفار» إلى أهم العوامل والأسباب التي لها علاقة في نشوء هذا النوع من الإرهاب، فيذكر ثلاثة من ذلك وهي:

١- العامل الفكري: ويكون بسبب التفاوت في العقول والأفكار، وٱختلاف مستويات الإدراك والمعرفة فيحصل التباين في فهم معتقدات الدين وتفسير تعاليمه.

٢- العامل السياسي: فالفراغ يخلق حالة من التنافس على السلطة، والرغبة في المصالح تشجع على حدوث الانشقاقات والخلافات، وقد يستعار لها غطاء عقيدي لتبريرها وكسب المؤيدين.

٣- العامل الخارجي: وهو ما يسعى إليه أعداء الإسلام لتشجيع حالة الاختلاف والانشقاق في ذلك الدين، أو المجتمع لإضعاف وحدته وشلِّ فاعليته. [٣٣]

- المطلب الثاني: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب القتال في الشريعة الإسلامية.

في هذا المورد نحاول أن نسلط الضوء على الأسلوب التطبيقي العملي في الشريعة المقدسة، وبيان بعض تلك السُّبُل المتعلقة بذلك، ومن أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما له من منزلة في حفظ النظام الاجتماعي، والجهاد عند الاضطرار إليه، وذلك من خلال التأمُّل والتدبُّر في بعض الآيات والروايات، فالله تعالى من خلال نظامه الكامل في الشريعة الإسلامية المقدسة أراد لهذه الأمة أنْ تكون خيرًا من الأمم السالفة، بل مطلقًا، وذلك من خلال التمسك بتعاليم الشريعة المقدسة والعمل بها كما أنزلت -وليست مزاجية أو ٱنتقائية-، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٤)، فإنَّ قـوام الخير لهذه الأمة لا يكون إلا بسـببين رئيسـين من أسـس صلاح الفرد والمجتمع نحو الخير والسـعادة، أحدهما يتعلق بين العبد وربه، أي فـي نطـاق الفرد وهـو (الإيمان بـالله) وما يترتب عليه، والآخر يتعلـق بين أفراد المجتمع أي فـي النطاق العـام وهو (الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر)، وإنَّ هذا لا يكون من غير وضع شروط وضوابط له، يجب على المسلمين القيـام بها بعد توفرها، وليـس جزافًا، وقد بيَّنت الشريعة المقدسة تلك الشروط التي يجب معرفتها قبل القيام بالدعـوة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها:

معرفة المعـروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا تجب على الجاهل.

احتمال ائتمـار المأمور بالمعروف بالأمر، وآنتهاء المنهي عن المنكر بالنهي.

أنْ يكون الفاعل مصرًّا على ترك المعروف وارتكاب المنكر.

أنْ يكون المعروف والمنكر منجزًا في حق الفاعـل، فـإنْ كان معذورًا فـي الفعل أو الترك لم يجب.

أنْ لا يلـزم مـن الأمـر والنهـي ضرر في النفـس أو في العرض أو فـي المال على الآمر أو على غيره من المسلمين لم يجب. (٣٥)

إنَّ هذه الشـروط التي وضعهـا الفقهاء تدلُّ على أهمية التقيُّد في الدعوة، فضلاً عن مراتب النهي عن المنكر والتي تبدأ بالقلب فاللسان فاليد مـن دون إحداث جرح أو قتـل، وكُلُّ ذلك يؤكِّد عظمة الشريعة المقدسة ونظامها المتكامل، بل إنَّ مـا يدل على عظمة التشـريع هو آسـتمرار الدعوة إلى الإيمان بالإسلام والتمسك بتعاليمه، إذ قـال تعالى في الآية نفسـها: ﴿وَلَـوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ففي ذلك دعوة صريحة إلى آعتناق الدين الإسـلامي من قبل الآخرين؛ لما فيه من روح وحياة حقيقيتين للبشرية كُلِّها.

وهنا يمكن أنْ يُطرح السؤال الآتي: إذا كان الدين الإسـلامي يدعو أهـل الكتاب (النصارى واليهود) وغيرهما إلى الإسـلام وهو على يقين بأنَّ الإنسـان لو تُرِكَ وفطرته لآمن بالإسـلام، فلماذا لم يلتزم بعض المسـلمين بذلك من خلال أعمالهم الإرهابية التي يقومون بها ؟

فالجـواب واضح من خـلال الاطلاع على الأفكار التي يؤمنون بها، والغايات التي يريدون تحقيقها، فأمـا أفكارهم ففيها من الانحراف عن تعاليم الشريعة المقدسة التي تم بيانها فيما تقدم، وأمـا الغايات التـي يريدون تحقيقهـا هو جعل النـاس عبيدًا لتلك الأفكار المنحرفة، فضلاً عن تدخُّل بعض الأطراف المعادية للإسلام وتشجيع تلـك المنظمات على تحقيـق أفكارها ورغباتها لضرب الإسلام من خلال تشويه تطبيق تعاليمه بأمثال هؤلاء؛ لتبقى صورة الإسـلام مشـوَّهة -لا سـمح الله- غير ناصعة أمام غير المسلمين، فتقف تلك الأعمـال الإجرامية عائقًا في الدعوة للإسـلام، وهذا ما هـو حاصل اليـوم فعلاً في العالم العربي المسلم، من قيام تلك المجموعات الإرهابيـة الأعرابية المدعومـة بالفكر والمال والسلاح لقتل المسـلمين،وإدخال السرور بذلك علـى أعداء الإسـلام من صهيونيـة عالمية(٣٦) والآيـات فـي الحـث علـى الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر كثيرة، وقـد دعا القرآن في آية أخرى إلى الأمر نفسـه بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (٣٧) وأما فيما يتعلق بالجهاد ووجوب الدفاع فالإسلام

حريـصٌ على حفظ النفوس والدفاع عن حقوقها عامة، وعن المسـتضعفين من الرجال والنسـاء والولدان خاصة؛ لأنَّ النظام الإسـلامي شريعة متكاملة غايتها الإنسـان ومـا يتعلق به، فالجهاد لم يشـرَّع مـن أجل مصالـح دنيويـة زائلة، بل مـن أجل أهـداف عظيمة، يعد مـن أهمها حفظ النفوس من الهتك والاعتداء، وصيانة الحرمات والممتلـكات، وفي ذلك قال تعالـى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٣٨)، فالمستضعَفون كما تبين الآية الشريفة يستصرخون المؤمنين في نصرتهم وهذا ما تبينه الآية الشـريفة من خلال الأمور الثلاثة الآتية:

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِـنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) وفي ذلك دعوة لبيان عظمة الظلم الواقع عليهم، وتلبُّس الحاكمين به.

(وَاجْعَلْ لَنَا مِـنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) وفي ذلك دعوة منهـم إلى أنْ يكـون لهم أولياء فـي رفع الحيف والظلم عنهم، وما يلاقونه من أذى الظالمين.

(وَاجْعَـلْ لَنَا مِـنْ لَدُنْكَ نَصِيـرًا) وفي ذلك دعوة منهم واستغاثة للتأييد والنصر والدفاع من أجلهم؛ لتحقيق النصر الأكيد على الظالمين.

ويمكننـا أنَّ نـرى ممـا تقدَّم أهمية تشـريع الجهـاد في رفع الظلم عـن المؤمنين ونصرتهم وخلاصهـم من كُلِّ أذىً يصيبهـم، فليس الجهاد هـو اعتداء على الآخرين وإيقـاع الظلم والأذى بالمؤمنيـن الذين قـد يختلفون معهـم في بعض أصـول العقيدة كما نراه من هـؤلاء الإرهابيين وأعمالهم الإجرامية في العراق كُلَّ يوم، فالإسلام فـي جميع تعاليمه يحافظ علـى المبادىء العامة التي تلتزم بها الأمم وتحترمها؛ إيمانًا منه بأهمية وعظمـة حفظ ذلك، ولا سـيما ما يتعلق بالنفس، وذلك من خلال التمسك بالعلاقات العامة القائمة بين المجتمعـات ابتداءً، ثم تهذيبهـا بعد ذلك إنْ كان فيها انحرافًا مخالفًا للشـريعة المقدسة، ومن أروع تلـك التجليات في نظامه هو احترام الأيام في القتال التي كانت تؤمن بها الجاهلية يومذاك، ومنها الأشـهر الحرم، وهذه من أعظم الدعوات للتمسك بالقيم والمبادىء، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّـهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَـرَ شَـهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَـوْمَ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَـكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. (٣٩)

وهنـاك روايـات كثيـرة قد أكَّـدت وجوب التمسـك بآداب القتال حفاظًا على أساس الدعوة إلى الشـريعة المقدسـة القائمة على الحسـنى، والتأمـل في تلك الروايات يبيّن ذلك، ونذكر في هذه الصفحات روايتين شريفتين:

١ - كان رسـول الله (صلـى الله عليـه وآله) إذا بعثَ سـريةً دعا بأميرِها فأجلسَـهُ إلى جنبهِ، وأجلسَ أصحابَهُ بين يديه، ثم قال: سـيروا بسـمِ اللهِ وباللهِ، وفي سـبيلِ اللهِ، وعلى ملةِ رسولِ اللهِ (صلـى الله عليه وآله) لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثِّلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أنْ تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا صبيًّا، ولا امرأةً، وأيُّما رجلٍ من أدنى المسلمينَ وأفضلِهم نظرَ إلى أحدٍ مـن المشـركينَ فهو جارٌ حتى يسـمعَ كلامَ اللهِ، فإذا سـمعَ كلامَ اللهِ عز وجل فـإنْ تَبِعَكُمْ فأخوكُمْ في دينِكم، وإنْ أَبى فاستعينوا باللهِ عليهِ، وأبلغوهُ مأمَنَهُ.(٤٠)

إنَّ في هذه الرواية تمام الإنسـانية والحسنى حتـى فـي القتـل والحرب مـع الأعـداء، وهي مصـداق لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [٤١]، فلو تأملنا في الرواية وما تضمنته من معانٍ ومبادىء إسلامية لتعرَّفنا حقيقة الدعوة إلى الله في شتى سبل الدعوة، فيجب عند القتال بعد أنْ يكون خروجهم بأمر من الله، وفي سبيل الله أنْ يجتنب المقاتلون:

١- الغدر، لما فيه من مخالفة أدنى التعاليم الإنسانية.[٤٢]

٢- الغل.[٤٣]

٣- التمثيل.[٤٤]

٤- قطع الشجرة.[٤٥]

٥- قتل الشيخ والصبي والمرأة.[٤٦]

٦- عدم الابتداء بالقتال إلا بعد إقامة الحجة.[٤٧]

فليت أولئك الذين يدَّعون الإسلام والدعوة إلى دولة إسلامية كما يزعمون بهتانًا وكفرًا أنَّ يتأمَّلوا في كيفية القتال مع المشركين، فضلاً عن المسلمين، وهل أنهم تمسَّكوا بواحدة من هذه التعاليم المقدسة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أم أنَّ سبيلهم الوحشية والقتل لتحقيق مآربهم.

٢- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): لاَ تُقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى يَبْدَؤوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اَللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ اَلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اَللَّهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِرًا، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَهِيجُوا اَلنِّسَاءَ بِأَذًى، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ.[٤٨]

إنَّ من أعظم ما تؤكِّده الرواية الشريفة هو التعامل مع النساء والرفق بهم وإنْ اعتدوا على المقاتلين بقول أو سَبٍّ، فينبغي أنْ يُعفا عنهنَّ، فإنَّ هذه هي النظرة الإسلامية المثلى للتعامل مع المستضعفين، وليس ما تقوم به تلك العصابات الإجرامية من قتل وسبي واعتداء عليهن.

ختاماً نقول: إنَّ ما تقدم بإيجاز من نظرة الشريعة المقدسة في الدعوة إلى الإسلام هو غيض من فيض، لا يمكن لأي باحث أنْ يحيط به مهما بلغ من العلم؛ لأنها شريعة عظيمة صادرة من المطلق ومصدر الكمال والإنسانية، والإنسان محدود ولا يمكنه أنْ يبلغ ذلك أبدًا، إلا بما فتح الله عليه من أبواب العلم والحكمة، ولكن يجب على الدولة عدم التواني مطلقًا في القصاص من أولئك المجرمين وإقامة الحدود عليهم، لأخذ الحق للمظلومين، وقطع دابر شرورهم ومفاسدهم، والقصاص منهم من أعظم الأعمال التي تقرِّب إلى الله من الناحية الدينية والدنيوية، وسبب للعدالة الاجتماعية، وقد روي في عظمة ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله:((إقامةُ حَدٍّ من حدودِ اللهِ خيرٌ من مطرٍ أربعينَ ليلة في بلادِ اللهِ))[٤٩]، وليس هناك أي انتظار في تطبيق الحكم على المجرمين بدواعٍ مختلفة مختلَقة كما يحدث اليوم حيث السجون تمتلىء بأولئك المجرمين ولا تطبيق للعدالة بحقهم، حتى آل الأمر أنهم يعيشون في السجون عيشة المترف متأمِّلاً لمَنْ يهرّبه من سجنه، أو يدفع رشوة لقلب الحكم عليه، والروايات قد أشارت إلى وجوب تنفيذ الحدِّ بكُلِّ مَنْ يثبت عليه الجُرم دون أدنى انتظارٍ وتمهُّلٍ، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((متى وجبَ الحدُّ أُقيمَ، وليسَ في الحدودِ نَظِرَةٌ))[٥٠]، ولا يخفى أنَّ الشريعة المقدسة قد وضعت لكُلِّ جريمة عقوبة محددة لقطع دابر الجرائم والاعتداء على الآخرين، فضلاً عن أخذ الحق للمظلوم، وإقامة العدل في المجتمع.

فلو رجعنا إلى ما تم طرحه من أسئلة في أولى هذه الصفحات لأصبحت الرؤية –إجمالاً-

واضحة جلية دون أدنى شك، فلا توجد أي مشكلة في تعاليم الشريعة المقدسة، فهي تدعو إلى الإنسانية وتكاملها، والتخلُّق بمكارم الأخلاق، وإنما الخلل في الذين يطبِّقون هذه التعاليم، ولا سيما الذين يريدون أنْ يتَّخذوا من الدين سبيلاً لمآربهم الدنيئة.

والإسلام يريد من المسلمين أنْ يكونوا مثالاً يُقتدى بهم في تطبيق هذه المبادىء والتعاليم العظيمة؛ ليكون كُلُّ مسلم رسولاً إلى مجتمعه لإنقاذه من الضلالة والضياع.

والإسلام نظام متكامل يدعو إلى الكمال في شتى مجالات الحياة، بل إنَّ في تشريعاته الكمال في الحفاظ على الإنسانية لو تم الامتثال لتعاليمه في المستويات المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وله تمام القدرة على حل المشاكل العالمية مهما بلغت من التعقيد، والأعداء على يقين من ذلك.

إنَّ أعداء الإسلام يعلمون يقينًا بمدى عظمة الإسلام وتشريعاته، وقدرته في الهيمنة على كل الأنظمة الوضعية، وإقناع الناس في الدخول إلى الإسلام أفواجًا -وهذا ما حصل-؛ لذلك قاموا بمكر ودهاء باحتضان بعض المسلمين المنحرفين فكريًا وعقائديًا واجتماعيًا ودعمهم بكُلِّ ما يحتاجون إليه مالٍ وسلاحٍ وأفكارٍ ضالة ليقتلوا المسلمين وغيرهم من أجل الوصول إلى إحدى أهدافهم وأعظمها وهو تشويه صورة الإسلام بأنه دين الإرهاب والقتل والدماء والاغتصاب وغيرها، فضلاً عن تدمير البلاد الإسلامية، وزرع الأحقاد والفتن بين المسلمين، وانشغالهم في الاقتتال فيما بينهم وترك الصهيونية العالمية تدمر بلدانهم، وتنهب خيراتهم، وتغصب أراضيهم، وغير ذلك؛ لذلك نحن بحاجة إلى ثورة فكرية عامة لكشف هذه المخططات وزيفها وبطلانها، وإزالة اللبس والشك عن الآخرين في نظرتهم للشريعة الإسلامية المقدسة وما تضمنته من مبادىء إنسانية في تشريعاتها.

نسأل الله تعالى أنْ يجعل هذه الكلمات دعوة صادقة –على آختصارها الشديد- في بيان حقيقة وعظمة المبادىء الإنسانية للشريعة الإسلامية المقدسة، وأنْ تكون موعظة وتذكرة لمن هم أهل لها، وأنْ يتقبلها بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

خاتمة ووصايا:

- إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة هي نظام سماوي متكامل يصبو نحو تحقيق السعادة للبشرية كُلِّها من خلال تعاليمه التي تضمنتها الشريعة سواء في أبواب العبادات أم المعاملات بل في القتال والديات وإقامة الحدود والقصاص.

- إنَّ الإرهاب قد وُلِدَ مع النزعات الاعتدائية الأولى للإنسان فكان فرديًّا، ثم تطوَّر ليأخذ أطوارًا أخرى حتى صار بمستوى فِرَقٍ ومجموعات ومنظمات، بل دول قائمة على الاعتداء وهتك الحرمات وسلب الحقوق، قد آختلف القناع الذي يتسترون به فكان الدين أحد تلك الأقنعة المزيفة.

- إنَّ أعداء الإسلام حاولوا بجهود كبيرة من تربية بعض المنظمات المتطرفة لتكون لها أداة في ضرب المسلمين، وتشويه صورة الإسلام الناصعة أمام الآخرين تنفيرًا لهم من الدين الإسلامي، فضلاً عن آقتتال المسلمين فيما بينهم؛ ليكون الأمر يسيرًا في تحقيق مآربهم الخبيثة.

- يوصي الباحث بضرورة قلع جذور الإرهاب بكُلِّ أنواعه الفكري، والاقتصادي (المالي)، والسياسي، والعسكري، والجغرافي (الديموغرافي)، وبذل أقصى الجهود من أجل تحقيق ذلك من خلال الندوات العلمية، والبحوث

التخصصيــة، والاســتعانة بالخبــرات الفرديــة والجماعية.

- ويوصي الباحث بضــرورة التركيز على الإعلام بــكُلِّ أنواعه في تثقيــف عامة المجتمع حــول أســاليب الإرهابييــن الإجرامية، وبيان أعمالهم التي يقومون بها من أجل تحقيق أهدافهم.

- ضــرورة مراجعــة المناهــج العلمية التي تدرس في المدارس والجامعات وتضمينها أسس الشــريعة المقدسة، والدعوات إلى السلم والعيش الهادىء مع الآخرين، فضلاً عن ٱحترام الديانات الأخرى، وٱحترام المذاهب الإسلامية ورموزها دون الإساءة إلى أحدٍ منهم.

- المراقبة الشديدة لمصادر تمويل الإرهاب الماديــة والمعنويــة، فالماديــة من حيــث المال والسلاح والتقنيات الأخرى، والمعنوية من حيث فتــاوى التكفير والقتل والانتقــام التي تصدر من حاشية السلاطين والضالين وأعوان الكافرين.

- عدم التواني في القضاء على المجموعات والمنظمــات الإرهابية الفتيَّــة، وتركها لتتطوَّر وتعلن عن نفســها بعد ذلك ٱعتماداً على قدراتها الذاتيــة، أو تكون جاهزة للالتحــاق بالمنظمات الكبيرة.

- أهميــة تنفيــذ القصــاص العــادل بحــق الإرهابييــن المجرمين، والســرعة في التطبيق، وتطهيــر المحاكم مــن القضاة غيــر الكفوئين، وتوفيــر الحمايــة اللازمــة الماديــة والمعنويــة للكفوئين والنزيهين منهم.

- ضــرورة عقد الاتفاقيــات العالمية للقضاء على الإرهاب، ولا سيما الدول المتضررة منه، والــدول المجاورة للعــراق، على وفق المصالح المتبادلة والمشتركة.

الهوامش

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦

(٣) ســورة النحل: الآيات ٨٩-٩١ ، ولنتأمل في وصف الله تعالى لمصدر تشريعه ونظامه للبشرية فإنه:

أ - تبيان لكُلِّ شيء تحتاجه البشرية.

ب - كتــاب هدايــة إذا أرادت البشــرية طريــق الهدايــة والصلاح لنفسها.

ج - كتاب رحمة لما فيها من المعاني الإنســانية العظيمة التــي تدعــو إلى الحــب والخيــر والرحمــة والعفو والتسامح وغيرها.

د - كتاب بشارة لمن آمن به فيبشره بما أعده الله تعالى له لأجل تمسكه به بالإيمان والعمل.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٤

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

(٦) للتفصيــل ينظر: الشهرســتاني، عبــد الكريم: الملل والنحــل، تــص و تــع: أحمــد فهمــي محمــد، (دار الكتــب العلمية، بيــروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م): ٢٣٠, الســبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٤٢٨هـ) ٨١/٥ وما بعدها

(٧) سورة الإسراء: الآية٧٠

(٨) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم: لسان العرب، (مط الميرية ببــولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ). مادة (رهب).

(٩) سورة الحشر: الآية ١٣

(١٠) أبو القاســم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القــرآن، ضبط: هيثــم طعيمي، (دار إحيــاء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م) (رهب).

(١١) الفاروقــي، حــارث ســليمان: المعجــم القانونــي (المكتبة الإلكترونية الشاملة): ٧٧

(١٢) مجموعة مؤلفين: المعجم الوســيط، تحقيق: مجمع اللغــة العربية، (دار الدعــوة، تركيا، ١٩٨٩م،د.ط) (الإرهابيون).

(١٣) وفي دراسة إسلامية ناقش الشيخ «محمد السند»في محاضرات متعددة ما ورد من تعريفات لمفهوم الإرهاب المتداول في المنظمات الدولية العالمية وما يتعلق به، فذكر تعريفات ثمانية وناقش ما يتعلق بكُلٍّ منها، ومستوى أنطباقه على الواقع. للتفصيل ينظر: الأسدي، علي: الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، (مطبعة , وفا، قم، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ط٢): ٢٩٨-٣٢٥

(١٤) سورة الإسراء: الآية٧٠

(١٥) وقد ذكر المفسرون بتفصيل ما يتعلق بهذا التكريم والتفضيل الذي خص الله تعالى الإنسان من دون غيره من مخلوقاته. ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين: مفاتيح الغيب، تص: مجموعة دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ٣٧٢/٢١-٣٧٥، الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ١٥٢/١٥-١٦١

(١٦) المقدادي، فؤاد كاظم: الإسلام بين الأصالة والتغريب، (الناشر: مجمع الثقلين العلمي، ط٢، ١٤٢٧هـ، د.مط): ١٦٩

(١٧) سورة المائدة: الآية ٣٢

(١٨) ينظر: المقدادي: الإسلام بين الأصالة والتغريب: ١٨٣

(١٩) سورة الحجرات: الآية ١٣

(٢٠) ينظر: المقدادي: الإسلام بين الأصالة والتغريب:١٨٤-١٨٥

(٢١) سورة الحج: الآيات ٤٩-٥١

(٢٢) سورة يونس: الآية ١٠٨

(٢٣) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٦م): في ظلال القرآن، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م) ٤٢٥/٣

(٢٤) الصفار، حسن: التعددية والحرية في الإسلام، (الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠١٠م، د.مط): ٧٦

(٢٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣

(٢٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ١١٣/٢ وفيه بحث مهم ولطيف يبيّن أبعاد الخلق والغاية من بعث الأنبياء للتفصيل ينظر: ١١٣/٢-١٤٥

(٢٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م) ٦١/٢-٦٢

(٢٨) سورة آل عمران: الآية ٦٤

(٢٩) الميزان في تفسير القرآن ٢٨٥/٣

(٣٠) ينظر: الصفار: التعددية والحرية في الإسلام: ٢٥٠

(٣١) سورة النحل: الآية١٢٥

(٣٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢٦٩/٨-٢٧٠

(٣٣) للتفصيل ينظر: التعددية والحرية في الإسلام: ٢٠٣-٢١٠ ، وهناك بعض الحلول التي يمكن من خلالها تقليل مستوى الفرقة بين جميع المذاهب ورؤية كُلٍّ منها للآخر عن طريق التعارف بدراسة المذاهب والفرق بعناية وتجرد من مصادرها، وعدم آستقائها من كتابات الآخرين وتحليلاتهم، والحوار على أسس التجرد والموضوعية ونبذ التعصب والابتعاد عن المواقف المبيتة والأحكام المعدة سلفًا، والاتفاق على النقاط المشتركة بين مختلف الأطراف لتشكل الهدف المنشود. ينظر: المؤمن، علي: الإسلام والتجديد، (دار الروضة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م):٦٠-٦٢

(٣٤) سورة آل عمران: الآية١١٠

(٣٥) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، (بغداد، ط٢٦، ١٤١٠هـ، د.مط) ٣٥١/١

(٣٦) وقد صرح أحد الصهاينة بقوله: إنَّ حقيقة الربيع العربي هو ربيع لإسرائيل.

(٣٧) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

(٣٨) سورة النساء: الآية ٧٥

(٣٩) سورة التوبة: الآية ٣٦

(٤٠) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تح وتص: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران،

ط٣، ١٣٦٧ش) ٣٠/٥ كتاب (الجهاد) باب (إعطاء الأمان) الحديث ٩

(٤١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٤٢) الغـدر هـو ترك العهـد الذي يتعاهد الإنسـان مع الاخرين عليه، وقد نهت الشـريعة المقدسة عن ذلك في كثير من مواردها، فمما روي عن أمير المؤمنين (عليه السـلام): ((إياك والغدر؛ فإنـه أقبح الخيانة، وإنَّ الغـدر لمُهان عند الله))، وقوله: ((الغدر شـيمة اللئام)). الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديـث، (دار الحديث، الناشـر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ) ٢٢٣٠/٥

(٤٣) الغِـلّ هـو الخيانة والعـداوة، وقد نهت الشـريعة المقدسـة عن ذلك في كثير من مواردها، فمما روي عـن أميـر المؤمنيـن (عليـه السـلام): ((الغل داء القلـب))، وقوله: ((الغل يحبط الحسـنات)). ميزان الحكمة ٢٢٩٠/٥

(٤٤) أي التنكيـل بالإنسـان عند قتلـه أو بعده، وقد نهت الشـريعة المقدسـة عن ذلك في كثير من مواردها، فكان ممـا يوصي به أمير المؤمنين (عليه السـلام) عنـد الحرب: ((فلا تقتلوا مدبـرًا، ولا تجهزوا على جريـح، ولا تكشـفوا عـورة، ولا تمثِّلـوا بقتيل)). الكافي ٥٧/٥

(٤٥) وفـي ذلك كناية عن الإيذاء المبالغ فيه تجاه البيئة، وكل مـا يتعلـق بذلـك، فلا يجـوز الإيـذاء وتدمير الأرض ومـا فيهـا عنـد القتال، إنْ لم يكـن في ذلك ضـرورة أو أذى، فمـن قول النبـي (صلى الله عليه وآلـه): ((ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شـجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعًا)). وسائل الشيعة ٤٨/١٥

(٤٦) وفي هذا كمال التعامل الإنساني مع الضعفاء؛ لأنَّ أولئك قد لم يكونوا من أسـباب الحرب دون سواهم، أو لضعفهم عن قتال المسـلمين وإنما هم أهل للعدو، ولبيان أنَّ الإسـلام يريد قلع جذور الأذى والاعتداء وهؤلاء ليسـوا ممن يقوم بذلك، وخصوصًا ما ورد في النسـاء، ففي الحديث عـن الإمام الصادق (عليه السـلام): ((إنَّ رسـول الله «صلـى الله عليه وآله» نهى عن قتل النسـاء والولدان في دار الحرب إلا أنْ يقاتلن، فإنْ قاتلت أيضًا فأمسـك عنهـا ما أمكنك)). وسائل الشيعة ٥٠/١٥

(٤٧) وهذه هي سـيرة الإسلام إذا اُضطر إلى القتال فلا يكون إلا بعـد الدعوة والنصيحة وإقامة الحجة؛ لئلا يبقى عذر لهم عند مقاتلتهم، وسـيرة النبي وأهل بيته (عليهم السـلام) خير شاهد على ذلك. ومما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وإذا لقيتم عدوًّا للمسـلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإنْ هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم: ادعوهم إلى الاسلام فإنْ دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ...)). وسائل الشيعة ٦٠/١٥

(٤٨) الشريف الرضي، محمد بن الحسين: نهج البلاغة، شرح: الشـيخ محمد عبده، (دار المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ) ١٥/٣

(٤٩) ميـزان الحكمـة ٥٥٥/٢ باب (الحـدود) الحديث ٣٤١٠

(٥٠) المصـدر نفسـه ٥٥٧/٢ بـاب (الحـدود) الحديث ٣٤٣٣

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الأسدي، علي: الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، (مط وفا، قم، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ط٢).

٢- الخوئي، أبو القاسم (السيد) (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، منهاج الصالحين، بغداد، ط٢٦، ١٤١٠هـ، د.مط.

٣- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٤- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.

٥- السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

٦- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م): نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٧- الشهرستاني، عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، ١٢٤/١ تص و تع: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٨ الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

٩- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٦م): في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م.

١٠- الصفار، حسن: التعددية والحرية في الإسلام، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠١٠م، د.مط.

١١-الطباطبائي،محمدحسين(السيد)(ت١٤٠٢هـ/١٩٨٢م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

١٢- الفاروقي، حارث سليمان: المعجم القانوني ، المكتبة الإلكترونية الشاملة.

١٣- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): مفاتيح الغيب، تص: مجموعة دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٤- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي تح وتص: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٦٧ش.

١٥- المؤمن، علي: الإسلام والتجديد، دار الروضة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٦- مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، تركيا، ١٩٨٩م،د.ط.

١٧- آبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ.

to face them in the intellectual battlefield through adopting two approaches: First: unveiling the destructive thoughts of such denominations; and second: educating the community with the pure teachings of the Islamic Law.

In so doing, they will certainly serve knowledge, community, and our bleeding country which deserves every effort from us to maintain protection from all enemies.

I divided the study into an introduction, a preface, two chapters and a conclusion with recommendations. In Chapter One, I discussed the human teachings in the Islamic Sacred Law.

In Chapter Two, I considered the basics of Da'wah (Call) in the Islamic Sacred Law through two issues; the first shed light on the good Da'wah in the Islamic Law, while the second focused on the significance of enjoining the good and forbidding the evil as a religious duty and the ethics of fighting in Islam.

I sincerely ask the Almighty to accept this contribution of mine well.

Human Principles in the Islamic Sacred Law & Confrontation of Intellectual Terrorism

Dr .ALSheikh. Emad Al-Kadhimi

Abstract

In the name of God, the Most Beneficent, Most Merciful

All praise belongs to Allah, Lord of the worlds, and may peace and blessings be on His Chosen Messenger Mohammed and his blessed infallible progeny.

To talk about Islam is to consider a holistic human legislation whereby happiness can be fulfilled in this world and in the Hereafter, if only man complies with its teachings as decreed by the Almighty Who described the source of the Islamic legislation.

The Muslims history did not remain as glorious as before for many reasons. One of those reasons was the controversy of Muslim scholars over interpreting the Quranic text and the plurality of views. The second reason was that Muslims abandoned the main source of legislation that the Prophet recommended to his people and promised they would have guidance and happiness, once they got hold of it firm referring to the Quran and the Prophet's progeny mentioned in the famous Thaqalain Hadith which attained the level of Tawatur among the Muslim scholars.

I present these pages to the dignified scholars as an attempt in confronting the danger of those brutal criminals. The scholars have certainly prepared all weapons of education and knowledge

Contents

Editorial

Editor 7

Research and Studies

The approachment among Islamic sects Reading in the position and seek

Dr. Ali Haddad 24

The problem of proving the existence of God in Christian philosophy during the Middle Ages

Dr. Ihsan Ali Abdul Amir Al Haidari 44

Religious bliefs and the intellectual foundations of the Hasidic movement

Dr.Abeer Siham Mahdi 62

the concept of Jewish fundamentalism

Dr. Fawzi Abbas Fadhil. 84

Prayers and hymns in Mesopotamia

Dr.Khamayil Shakir Abu Khdair 104

Human Principles in the Islamic Sacred Law & Confrontation of Intellectual Terrorism

Dr.ALSheikh. Emad Al-Kadhimi 122

The Goals and Standard Publishing

The goals of Baytul Hikma

- Baytul Hikma is antellectual and scientific institution with moral entity and financial and administrative independence . Baytul Hikma is in Baghdad . Its goals;
- Studying the history of Iraq and the Arab and Islamic civilization.
- Laying the approach of dialogue between cultures and religions . Thus contributing to concolidate the culture of peace and the values of tolerance and coexistence between individuals and groups.
- Following- up the politiceal and economic global developments and their future effects on Iraq and Arab world.
- Paying attention to reserches and studies related to the issuses of social ، economic and political phenomena
- Interesting in reserches and studies that enhance the citizen rights and fundamental freedoms and the consolidation of democracy and civil society values.
- peoviding insightsand studies that serve policy and decision - making processes.

Puplishering standard

-The joumal puplishes researches that have not been puplished before . rhe researcher will be informed of decision of puplishing within three months from the date of receipt of the reserch- one copyof the resercher should be sent in Arabic with a summary in Enghlish of no more than (200) words. (provided that.

A -The researcher must be printed and saved on CD disk ،double - spaced and printing.

B -Pages should not exceed 200) pages ، (double-spaced and printing.

C -All sources and margins should be serially numbered at the end of the paper in double spaces printing.

-The researcher gets a free copy of the Journal that puplished the research.

-Researchers will not to be resturned whether puplished or not.

-The department has the right to puplish the research in accordince with the plan of the Journal edition.

Religion Studies

Quarterly journal issued by Department of Religion Studies In BaytAl-Hikma
No.(32) Baghdad-2017

Chief Editor
Dr.Ehsan Alameen

Secretary Editor
Dr.Mayas Dheyaa Baqer

The Advisory Committee
Prof.Dr. Abd AlAmeer Kadhim Zahed
Prof.Dr. Mohammed Jawd Al-turaihi
Prof.Dr. Anwar Aljaf
Prof.Dr. Salama Hassan kadhim Almusoee
Prof.Dr. Salim Jarjes Dkash Alysuae
Prof.Dr. Dhiaa Mohammed Mahmood
Prof.Dr. sadeeq Khalil
prof. Dr.Huda abas qanbar

Linguistic Correction
Dr. Irkan Rhem Gaber